MAG-810-05

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

و العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية و آدابها

سجل تحت رقم: 2140
بتاريخ: 31 ماي 2008
الرقم:

رسالة ماجستير

في الأدب المغربي القديم

النهضة الأدبية في المغرب العربي

من 296 هـ إلى 547 هـ

إعداد الطالبة :

- نوال ابراهيم

لجنة المناقشة

1- د.محمد طول	- جامعة تلمسان	رئيسا.
2- أ/د. محمد مرتاض	- جامعة تلمسان	مشرفا / مقررا.
3- د.محمد محي الدين	- جامعة تلمسان	عضوا.

2001م - 2002م / 1422 هـ - 1423 هـ

الإهداء

إلى العائلة الكريمة، و على رأسهم الوالدين الكريمين.

إلى كل أساتذتي الكرام، و على رأسهم أستاذي المشرف.

إلى روح جدتي الكريمة، التي كانت تأمل أن تراني في هذا اليوم.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي المتواضع هذا.

كلمة شكر

أوجه للأستاذ الكريم الدكتور المشرف على هذا العمل الشكر الجزيل، لإسباغه على هذا البحث فيضا كبيرا من رعايته وعلمه و خبرته الطويلة،

و أشكره على صبره الطويل و الجميل على أخطائي و هفواتي. فله مني كل التقدير و إن كانت كلماتي لا توفيه حقه، فجازاه الله خيرا.

و أجمل شكري لوالدي الذي كان لي وعما في جميع الأوقات و مساعدي و إلى أخي عبد الفتاح و أشكره على مساعدته.

إلى كل من أعانني بمساعدة على اقتناء الكتب، أو دلني عليها و أخصّ منهم بالذّكر، الأخ و الزّميل حاجي أحمد، و الأخ الجيلالي، والأخ عبد القادر من مكتبة دار الثقافة، الذي بذل ما في وسعه لإعانتي و مساعدتي، فجازاهم الله أحسن الجزاء.

إلى كلّ هؤلاء، لهم منّي الشّكر الجزيل.

المقدمة

لقد حزّ في نفسي قلّة الاهتمام بالأدب المغربي و إهمال له أحيانا، و هو ما يفضي إلى إلقاء اللّوم على طلاّب الدّراسات العليا الّذين يتهرّبون من مثل هذه البحوث، بحجّة قلّة الكتب أو انعدامها، فكان هذا في الواقع هو أحد الدّواعي لتناولي هذا الموضوع الذي أرى بأنّه يخدم بيئتنا وثقافتنا الوطنيّة.

و الجدير ذكره أنّ موضوع بحثي هذا، يدخل في سياق مجموعة من الموضوعات الكثيرة ، التي لا تزال تنتظر من ينفض عنها غبار السّنين، إذ إنّ الوقت الحالي يحتّم على الباحثين تضافر الجهود، لإخراج أدبنا المغربي من عالم النّسيان، وإبعاد المفاهيم الخاطئة الّتي حاولت وتحاول أن تؤكّد بأن لا وجود له؛ وبذلك نضع حدّا للانعزال الذي أريد للمغرب ولأدبه. والحافز على ذلك، يجب أن يكون الغيرة عليه بشكل كبير، والشّجاعة للخوض في غماره، وإخراج مكنوناته، وإحياء مآثر أدبائنا، باعتبار أنّ الماضي هو أساس الحاضر.

و ككلّ بحث فالصّعوبات موجودة لا محالة، و هو شيء طبيعي، إذ إنّ سهولة العثور على المعلومات و إيجادها جاهزة، لا يضفي على البحث حلاوة. و من هذه الصّعوبات قلّة المصادر و المراجع و صعوبة العثور عليها، كما أنّ التنقّل إلى أماكنها لم يكن متيسّرا أحيانا. و لكنّ هذا لم يحطّ من عزيمتي، فقد تمكّنت من العثور على مظانّ أخرى ساعدتني كثيرا في تحرير هذه الصّفحات و الاطّلاع على جانب مهمّ من الفترة المدروسة. و ما زاد الأمر صعوبة هو انعدام سنوات الولادات و الوفيات بالنّسبة للأعلام.

و للإحاطة بجوانب الموضوع، وضعت خطّة، و الّتي لا إخال نفسي سأبلغ من خلالها الكمال، و إنّما كانت كالجسر يوصل إلى بعض جوانب الموضوع؛ فانقسم بحثي هذا إلى تمهيد و ثلاثة فصول، و خاتمة، و قائمة للمصادر و المراجع، و فهرس للموضوعات، و ذيّلت بحثي بملحق لبعض أعلام هذه الفترة و نتاجاتهم.

فالتمهيد، خصّصته للحياة السياسيّة السّائدة آنذاك، للتعرّف على نوع المحيط الذي عاش فيه هؤلاء الأدباء، بإيجاز.

و الفصل الأوّل : تناولت فيه النّثر الفنّي على العهدين، انطلاقا من الرّسائل و الخطب إلى المناظرات و النقد الذي ظهر في العصر الصنهاجي.

و الفصل الثّاني : تحدّثت فيه عن الشّعر حيث وقفت عند الموضوعات التي تناولها شعراء العصر في مختلف الأغراض، و مواكبته للأفراح و الأعياد و كذا الانتصارات.

فالفصل الثالث : الذي تطرّقت فيه إلى ذكر المقوّمات الفنيّة لأدب تلك الفترة، الخاصّة و العامّة.

و أتبعت الفصول الثلاثة بخاتمة أبرزت فيها نتائج هذا البحث، و ألحقت الرّسالة بوقفة عند بعض أعلام تلك الفترة و نتاجاتهم.

أمّا عن المنهج الذي عالجت به هذا البحث، فهو المنهج التّاريخي التحليلي.

و فيما يتعلّق بمصادر هذا البحث، فقد تعدّدت و كثرت نوعا ما و إن كانت تاريخيّة سياسيّة أكثر منها أدبيّة، لأنني حاولت قدر المستطاع الاطّلاع على الكتب و الدّراسات التي تناولت الموضوع و التي استطعت الوصول إليها. فكانت جهود أوّليّة

لطائفة من الباحثين و الدّارسين، و بعض إسهاماتهم المشكورة في إرساء حقل الثّقافة العربيّة في هذه الرّبوع.

منها: ابن أبي دينار و كتابه: " المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس"، الّذي جمع فيه أهمّ الأحداث السياسيّة، ذاكرا حكّام تلك الفترة، و الّذي أفادني كثيرا في التّحقّق من السّنوات التي كان عليها الخلاف كبيرا، إلى جانب ابن عذاري المرّاكشي بكتابه: "البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب"، فقد كان خير دليل على الأحداث السياسيّة أيضا، بما أمدّني ببعض الخطب و الأشعار خلال الفترتين؛ و كتاب "العبر"، و "المقدّمة": لابن خلدون، و كتاب "عيون الأخبار و فنون الآثار": لعماد الدّين القرشي، و كتاب "زهر الآداب" : للحصري، و كتاب "العمدة": لابن رشيق في مجال النّقد، إذ توّجا الحركة الأدبيّة و النقديّة، و كان مثال النّقد الجيّد في العصر الصنهاجي؛ و كتاب "الخريدة..." : للعماد الأصفهاني، الذي كان خير عون في التّرجمة لبعض أدباء و فقهاء العصر، مع نصوص من إنتاجهم. و غيرها من المصادر و المراجع الّتي اعتمدت عليها انطلاقا من الأصل.

و أخيرا، فإنّ ما شاب هذا البحث من خطأ فهو من نفسي القاصرة عن فهم المرام، و لربّما فاتني أمر أو موضوع يرى أنّ ذكره واجب. و أرجو أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، سائلة المولى عزّ و جلّ أن يحقّق الغاية المرجوّة منه، و ينفع به طلاب العلم و أهله.

و إنّه ولي التوفيق.

تلمسان في: 2002/02/23

نوال ابراهيم

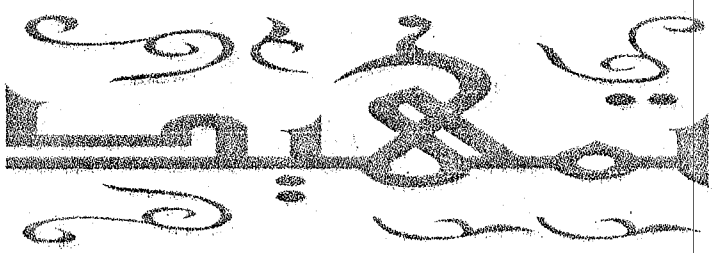

الحياة السياسية وأثرها على الحركة الثقافية

- عهد العبيديين (الفاطميين)
- عهد الصنهاجيين.

* عهد بني زيري.
* عهد بني حماد.

عندما انقضى العقد الأوّل من القرن الثّالث الهجري و قرب على مشارفه، أطلّ فجر دولة جديدة؛ بدا جليّا أنّ العهد غير العهد، و الحياة غير الحياة، و أنّ عهد الأغلبيّين قد آذن بالمغيب.

و إذا كانت الحروب سلاحهم الفتّاك، و جيشهم و أعوانهم مع سيوفهم حصانهم، فقد كان لها في مقابل ذلك حياة أدبيّة و فكريّة، و بلاط يجمع مشاهير الكتّاب و الشعراء، وأرض تستقبل الغريب و البعيد، الّذي كُتبت له الهجرة و ترك الدّيار.

و من هنا، كان هذا الزّمان، عصرا ذا قوّة و طاقة، لا من جهة الحروب فقط، بل تعدّاه إلى القيمة الكبيرة التي أولاها للأدب و أهله؛ و تفتّحت ملامح شخصيّات مغربيّة، على غير ما هو معهود، وارثة العلم من سابقتها؛ و بقيت العيون شاخصة إلى هذه الدّولة، حيث تغيّرت مجالات الحياة كلّها. و هكذا دخل العبيديّون فالصّنهاجيّون من بعدهم أرض المغرب.

و قبل أن نلج عالم الحياة السياسيّة، يجدر الوقوف قليلا عند مصطلح" المغرب"، باعتباره كان" يبدأ ممّا يلي إفريقيّة غربا، إلى سواحل المحيط...، المغرب الأقصى هو المغرب الحالي، و المغرب الأوسط، هو بلاد الجزائر... أما المغرب الأدنى فهو بلاد القيروان، أو ما يسمّى اليوم بتونس* "[1]

* - تونس: أو إفريقية، أسست عقب سقوط قرطاجنة في القرن الأول، أسسها " حسان بن النعمان"، لتقوم على حراسة هذه البلاد و تأمينها و صد غارات الروم عليها. اسمها في التواريخ "ترشيش"، و سميت إفريقية لأنها فرقت بين المشرق و المغرب، و قيل باسم أهلها الأفارقة.

[1] - "المغرب العربي": محمود شيت خطاب دار الفكر، بيروت، 1393 هـ/1973 م، ط2، ج1، ص 14.

و قد اختلف المؤرّخون و الجغرافيّون في تحديده وتبيان مدلوله،" فأضافوا إليه إسبانيا الإسلاميّة (الأندلس) و صقليّة؛ و اعتبرت "مصر" أيضا ضمن المجموعة، وعلى أيام العباسيّين ، صارت الشّام في الرّكب المغربي"[1].

و اتّسع بذلك مدلوله أكثر من اليوم، إذ كان ذلك نتيجة حتميّة أقبلت عليها البلاد كضرورة سياسيّة. فكانت كلّ حضارة تنظر إليه بعين مختلفة، و لكن المهمّ، هو المرتبة التي آل إليها على أيام كلّ ملك من ملوكها، رغم معاناة أرضه من ويلات الحروب، وتقسيم أوصاله حسب مطمع كلّ دولة، وكلّ و طريقته في التسيير و التّدبير.

و الفترة* الممتدّة من 296 هـ إلى 547 هـ، ما هي إلاّ جزء من تاريخ المغرب الكبير، حياة اتّسمت بالاضطرابات و الفتن و الصّراعات؛ فترة ضمّت العبيديّين** (الفاطميين)، الذين لم يلبثوا فوق أرض المغرب طويلا حتّى حطّت بهم مطامعهم أرض مصر، ثمّ سلّموا مشعل الحكم للصّنهاجيين، الذين خرجوا من سيطرة العبيديّين، و أضحوا ملوكا بعد أن كانوا عبيدا،و عدم الاتّفاق كان شيطانهم، فانقسم المغرب بينهم، جزء لبني زيري و جزء لبني حمّاد .

و كانت بدايتها مع العبيديّين، الذين استغلّوا الضّعف السّياسي و انقسام المغرب إلى إمارات***، و ما زاد الأمر سوءا المجاعة التي سادت آنذاك، فمهّدت الطّريق، و ابتلعت الإمارات

---

[1] - "في تاريخ المغرب و الأندلس": أحمد مختاري عبّادي.دار النهظة العربية، بيروت، (د،ط)، 1978، ص 9 (بتصرف)

* فترة استوفت حقّها من الدراسة على يد العديد من المؤلفين و المؤرخين. (أنظر صفحة المصادر و المراجع)

** عرفوا أثناء حكمهم بالمغرب، بالعبيديين نسبة إلى :عبيد الله المهدي، أوّل الخلفاء ، و لمّا انتقلوا إلى مصر، عرفوا هناك باسم الفاطميّين ،نسبة إلى فاطمة الزّهراء بنت النبيّ ﷺ .

*** الإمارات هي:إمارة الأغالبة (184ه-296ه)، الرستميّين (144ه-296ه)، دولة بني واسول (المدراريّين) (140ه-349ه)، الأدارسة (172ه-363ه) .

الواحدة تلوا الأخرى، و تمّ القضاء على إمارة بني الأغلب سنة 296هـ.فزحف أبو عبد الله الشّيعي إلى الأربس*، و نزلها في عساكر إفريقية، و قاتلها حتّى أخذها عنوة.

و غرست الدّولة الفاطميّة الشّيعيّة جذورها بعمق على أرض المغرب، انطلاقا من بذرة رعاها" أبو عبد الله الشيعي"** ، بعد أن زرعها في قبيلتي كتامة و هوارة ***.

فكان دخول مدينة رقادة**** سنة 296هـ، ثمّ مدن أخرى امتلكها المهدي بفضل أبي عبد الله، إذ وجد الطّريق إلى المغرب مهيّأ و معبّدا، و الفرصة المثلى لتوطيد الدعوة الشيعية.

و بعد أن أمسك بتلابيب هذه المنطقة، حوّل نظره نحو الإمارات التي سبق الإشارة إليها، أين أخضعها من دون أيّ عناء. و تحقّق أملهم في تأسيس دولة ترفع و تعلي مجدهم، بفضل أسطولهم البحري، و جيشهم القوي. و من ثمّ ارتسمت حدود دولتهم بالمغرب، فكادت تشمل حدود شمال إفريقيّة، من طرابلس إلى المغرب الأقصى،لكنّ سلطتهم لم تكن تتجاوز إفريقيّة وطرابلس و نصف المغرب الأوسط بولاياته: المسيلة، باغاية، أشير، تيهرت.

فكان أوّل خلفائها، عُبيد الله المَهدي، تاج الدّولة العُبَيديّة، و الذي تربّع على عرش الخلافة سنة 297هـ؛ انتقم من يهود سِجلماسة الذين أسروه، ثم استولى على رُقَادة رسميّا في السنة نفسها، و بعدها المدن التي سبق ذكرها.

---

* الأَربُس: مدينة في الجنوب الشرقي من مدينة الكاف، بعمل تونس قريبة من سبيبة .

** هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء الصّنعاني الشيعي، و يعرف أيضا بالمحتسب و بالمشرقي. وصل المغرب في حدود 280هـ، و هو المؤسس الحقيقي لهذه الدّولة. "الأعلام ... " ج ٢، ص 247، 248 .

*** كتامة و هوارة:من القبائل البربرية، الأولى ناصرت العبيديّين و اعتنقت مذهب الشّيعة، و الثّانية أخضعها الفاطميّون في طرابلس الغرب و برقة.

**** رُقَادَة: إحدى ضواحي القيروان.

و انتهت مرحلة التّأسيس الأولى بمصرع داعيته أَبي عَبد الله الشِيعِي سنة 298هـ،" بعد أن استبدّ بالأمر و أخذ في تغيير القلوب مع أخيه"[1]

كانت فترته تتميّز بالنّزاعات التي نشأت حول العرش، وبسلسلة من الثورات و الحروب الأهليّة، فتمرّدت عليه عدّة مدن، و لكنّه تحكّم في الأمور جيّدا، و استطاع نشر الأمان و تهدئة الأوضاع التي أثارها التشيّع جبرا .

و في سنة 300هـ، استولى على المهدية* كموضع يقيمه للحفاظ على الأمن، و لم يكتفِ المهدي بما استولى عليه، و إنّما كان يطمح إلى غزو الأندلس و مصر. فقد رأى أنّ احتلاله للأندلس، سوف يجعل المغرب الإسلاميّ كلّه خاضعا له، و بهذا ينقسم العالم الإسلاميّ إلى قسم شرقيّ تابع للخلافة العبّاسيّة السنّية، و قسم غربي تابع للخلافة الفاطميّة الشيعيّة.

إلاّ أنّ حلمه مات بتصدّي الحكومة الأمويّة في الأندلس له، و حصّنتها من كلّ جانب، وخاصّة الجانب المطلّ على المغرب، و على إثرها استحال غزوهم. و شعورهم بخطورة الوضع ببقائهم بالمغرب، و تقلّبات البربر، جعلهم يصمّمون على إخلاء الميدان و التحوّل إلى مصر[2]. فكانت الحملات الثّلاث على مصر بقيادة ابنه "القَائِم بأَمرِ الله**"، سنة 301هـ، ثمّ في سنة 307هـ، و أخيرا سنة 322هـ، وكلّها فشلت بسبب العباسيّين الذين وقفوا بالمرصاد .

---

[1]- "المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس" :ابن أبي دينار، ت:محمد شمام.
المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1967،ص56 (بتصرف) .

* المهدية: بلدة في تونس، بين سوس و صفا قس، جعلت مقرّا له بعد رقادة، ثم بنائها سنة 308هـ، و البداية كانت سنة 303هـ. و قال:"إنّما بيتها لتعتصم بها الفواطم و لو ساعة من نهار".

[2]-"في التاريخ العباسي و الفاطمي": أحمد مختار العبّادي. دار النهضة، بيروت، (د.ط)،1971، ص 235-238-242 .(بتصرف).

**كانت خلافته 12 سنة و 7أشهر، كنيته أبو القاسم، ولد بسلميّة؛ بويع و عمره 42 سنة

ثمّ واصل الاستيلاء على دول المغرب، تيهرت سنة 315هـ و جعلها قاعدة حربيّة له لردّ زناتة الموالية للأمويّين بالأندلس، ثم اختطّ مدينة "المسيلة" و سمّاها المحمديّة، و تكلّف ببنائها عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسيّة، و تواصلت فتوحاته إلى أن دانت أيامه و توفي سنة 322هـ عن عمر يناهز 63 عاما، بعد أن استمرّ حكمه 25 سنة و دفن بالمهديّة.

كتم أَبُو القَاسِم خبر موته قُرابة الشهرين إن لم يكن عاما كاملا، حتّى تمّ له الأمر. و هو ثاني خليفة للعبيديّين سنة 322هـ، سار على نهج والده، و استطاع أن يتبوّأ مكانة رفيعة؛ و لكنّ هذا لم يمنع من تمرّد الكثيرين عليه، لكنّه استطاع التحكّم في الأمور.

و على عهده سبى مدينة جِنوَة كما بلغ في المغرب مدينة فاس. ثمّ جادت نفسه بإعادة المحاولة لغزو مصر، محاولا بثّ دعوته في المحيط المصري، و لكن هذه المرّة وقفت أمامه الجيوش الإخشيديّة* .

ثمّ شُغِل عن الأمر بثورة أبي يزيد** ، الطّاغية الذي غيّر الأحوال و دمّر البلدان، و كان ذلك سنة 332هـ، بشنّ غاراته على بلاد البربر. ذاع صيته و اشتهر بإحلاله الفساد و التّخريب و نهبه للبلدان، نزل كالصّاعقة على بَاغَاية و قُسطيليّة، مجّانة و بلد الأُربُس، و اقتتل مع أهل باجة و القيروان، و فعل بأهلها ما لا يفعله أعداء الدّين.

---

* الإخشديون: أصلهم من إيران، جاءوا إلى الحكم في سوريّة و مصر، على أعقاب الدولة الطولونيّة، قضى عليهم الفاطميّون.

** "أبو يزيد مخلّد بن كيداد بن سعد بن مغيث"، من قبيلة زناتة البربريّة، نشأ في توزر جنوب تونس. يدعى بالنِكَاري الإباطي، لاختلاطه بالخوارج. بدأت دعوته سنة 231هـ، و ظهرت سنة 316هـ،و جاهر الدّولة العبيديّة بالعداء سنة 332هـ،و سمّي "بصاحب الحمار" لأنّه كان يركب حمارا رماديّ اللّون. قاد الثورة و عمره 60 سنة، فتكون ولادته سنة 270هـ، أمّا وفاته فكانت سنة 336هـ. من صفاته أنّه كان أعرج. المغرب العربي تاريخه وثقافته: م ب، ص 169.

فاستعان إثرها القائم بقبائل البربر، و كان ذلك سنة 333هـ، لينجدوا المهديّة التي حاصرها صاحب الحمار؛ غير أنّ الفشل كان مصيرهم، لولا النّفوس المهديّة الّتي أرجعته على أعقابه عند وصوله إلى سور المدينة سنة 334هـ، و كانت مواجهتهما عديدة و لعدّة مرّات.

و كانت بهذه السنة الأخيرة لحكم "القائم بالله"، لتنتقل الخلافة إلى ولده المنصور، و الحرب مازالت مشتعلة؛ فخرج لقتال الطّاغية.

و بعد عدّة مناوشات وطول هروب و تنقّلات عديدة، حيث استقرّ الأمر بالطّاغية على جبل كيانة – موقع بناء قلعة بني حمّاد–، أين اشتبك بجيش المنصور بالقرب من المسيلة؛ و كانت سنة 336هـ سنة نهاية مُخَلَّد بن كيداد، هَمٌّ أقلق العبيديّين و هزّ أمنهم. و في ذلك يقول مبارك الميلي: ". . .قُبض أبو يزيد مثخّنا بالجراح، فأمر المَنصُور* بمداواته و الإحسان إليه، لكنّ الدّم نزفه فمات في آخر محرّم، فأمر المنصور بسلخه و حشو جلده قطنا، و طيف به في البلاد ثم صلب[1]". وعلى إثرها بنى المنصور مدينة "المنصوريّة" سنة 337هـ تبرّكا بانتصاره، و هناك تسمّى بأمير المؤمنين. و في سنة 341هـ توفي المنصور، و تقلّد ابنه أبُو تَميم معد** الخلافة.

---

* هو أبو الطّاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله، ولد بالمهدية سنة 299هـ، وقيل 302هـ،ولّي و عمره 32 سنة. يعتبر المؤسّس الثّاني للدّولة،ذلك بعد تغلّبه على أخطر ثورة جابهته (ثورة أبي يزيد)، توفّي سنة 341هـ و عمره 40 سنة.

[1] – "تاريخ الجزائر في القديم و الحديث": مبارك الميلي

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1989،ج2، ص148

** "المعز لدين الله أبو تميم معدّ بن المنصور"، ولد بالمهديّة سنة 319هـ، بويع بعهد من أبيه في حياته، كان رابع الخلفاء و الأخير بالمغرب، ولّي و عمره 22 سنة . تميّز بالعلم و الشجاعة، أوّل من حكم مصر، توفّي سنة 365هـ وعمره 45 سنة، مع الذكر أنّه فتح مصر سنة 358هـ.

اقتفى أثر سابقيه من الخلفاء، و لم يسلم عصره من التمرّد، فبفضل قائده جوهر الصقلّي كاتبه، استطاع إخضاع المغرب كلّه؛ و سنة 347هـ تشهد على قوّته و قوّة جيشه، كان الأمير زيري منهم الذي سار و عمل على إطفاء نار المتمرّدين.

أمّا إذا نظرنا خارج ميدان الحروب و الثورات، و بالضّبط إلى المجتمع و ما احتواه من الأجناس، نجد أنّ سكّان الدّول المغربيّة، كانوا متكوّنين من أجناس و قبائل اختلفت ما بين: "البربر و العرب، و الرّقيق المجلوب من السّودان، و الرّوم و الصّقالبة و غيرهم. كما اختلفت طبقاتهم: كالتجّار والفلاّحين والعلماء . . ، وتقدّمت اقتصاديّات البلاد، وكلّ هذا الاهتمام كان لمزاحمة بني العبّاس في الملك والسّياسة. ولا نغفل أيضا عن المنشآت الّتي ثبّتوا بها أقدامهم، وبها قرّبوا العلماء والأدباء" [1] .

وكلّ تلك الأحداث والصّراعات والتمرّدات التي مرّت بها دولتهم، كانت نتيجة لمذهبهم الشّيعي * الذي هزّ الفكر المغربي هزّات عنيفة، طبعت المجتمع بوضوح. ومن هنا سخّروا الشعر والأدب ككلّ لنشر دعوتهم، كما سعوا للقضاء على المذهب السنّي، وعلى إثره تحرّكت الجموع مناصرة أو معادية لهذا التيّار، مجبرة أو مرغبة، فضيّقوا الخناق وكبتوا الأنفاس. فكان هذا التيّار نقمة على حياة البلاد ونعمة على الثّقافة الّتي ازدهرت.

---

[1] - "المغرب العربي تاريخه وثقافته": رابح بونار
الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط) ، 1968، ص187 .(بتصرف)

* الشيعة: لقب اصطلاحي خاص بإحدى الفرق الإسلاميّة، التي ترتكز في دعوتها على تفضيل آل البيت، ولا سيما منهم: "عليّ بن أبي طالب" (ض). وكانوا أوّل حزب سياسيّ في الإسلام منهم: فرق الشّيعة الإماميّة، الإماميّة الإسماعيليّة والإمامية الزيدية. ومذهب الإسماعيلية، هو المذهب الرسميّ للدولة، مدخول بعقائد الرّوافض المقتبسة من المجوسيّة والمانويّة والمزدكية والدهريّة، يحوي أفكار شرقيّة، كما يمتاز بأرستقراطيّة دينيّة متعالية، وهو يجاهر بالعداوة لأهل السنّة كلّهم. المقدّمة: لابن خلدون.
دار إحياء التّراث العربي،بيروت،(د،ط)،1408هـ-1988م، ص 196 .(بتصرف)

العهد الصنهاجي:

وبخروج العبيديّين من المغرب، تولّى الصنهاجيّون* الحكم بأمر من المعزّ** الخليفة الفاطمي، وبلغو بذلك درجة الملوك وذاع صيتهم، بعد أن كانوا عمّالا لهم.

وُلّي زيري على أشير التي كانت من أعظم مدن المغرب سنة 342هـ، ثمّ اختطّ بعد ذلك لنفسه عدّة مدن. وفي سنة 360هـ، انتقل أمر الصنهاجيّين إلى قائدهم الثّاني بلكين بن زيري، فبدأ حكمه بالثأر من زناتة حيث فتك بهم جميعا، فأجلاهم عن الزّاب ثمّ عن المغرب الأوسط سنة 363هـ؛ وهذا ما زاد إعجاب المعزّ به، ليولّيه هو وبنيه من بعده، وسمّيت الدّولة باسمهم:" الدولة الزّيرية الصنهاجية ". كان لهم في بادئ الأمر إفريقية والمغرب كافّة، ما عدا طرابلس وصقليّة، وذلك سنة 361هـ -مع أنّ المعزّ بعث له يأمره عدم الدّخول إلى المغرب - وتابع مسيره للاستيلاء على الأقطار المغربيّة، حتّى أخضع المغرب كلّه واستطاع تحقيق الإمارة على إفريقيا الشماليّة.

و في سنة 373 هـ، تسلّم المنصور بن بلكين أمر الحكم، و الحرب على أشدّها و التمرّد يطغى شيئا فشيئا، و لا سيما من الجانب الزّناتي، و من جانب أهله أيضا. و على أيامه عقد لأخيه حمّاد على أشير***.

---

*تعد صنهاجة من أوفر قبائل البربر. "تاريخ العلامة ابن خلدون" : كتاب العبر وديون المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن خلدون

دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د،ط)، 1981، مج6 ،ج11 ، ص309- 313.

**في بداية الأمر اختار المعزّ " جعفر بن علي" أمير المسيلة، ولكن وقاحته ومحاولة استيلائه على العرش، أبدّله المعز بيوسف بن زيري، راجع القصة كاملة في:" تاريخ الجزائر العام": عبد الرحمن الجيلالي. ديوان المطبوعات، الجزائر، (د،ط) ، 1402 هـ/1982م، ج2، ص 244 - 245. و " المغرب العربي تاريخه و ثقافته":م س، ص176.

*** أشير: مدينة بالجنوب الشرقي من البرواقية، قرب ثلاثاء الدوائر، لا تزال أطلالها إلى اليوم، عند المنحدر الجنوبي الشرقي لجبال تيطري، بناها بلكين سنة 364 هـ.

و جاءت سنة 386 هـ، بخليفة جديد هو ابنه باديس، و أوّل ما قام به هو أنّه عقد لعمّه حَمّاد بنَ بَلكِين على جميع ولاية الجزائر الشّرقية، وأقطعه مقاطعة أشير، كما أمدّه بالخيل والسّلاح حتّى يكون على أُهبة للدّفاع، أمام طوارئ القبيلة المعادية زناتة وكان ذلك سنة 387هـ.

وتمّ القضاء عليهم سنة 388هـ. فاشترط حمّاد على باديس أن يوليه المغرب الأوسط وما يفتحه من بلاده[1] و بالفعل ظفر بما أراد و أصبح له النّفوذ المطلق على الجزائر، و استمرّ بزحفه إلى برقة*، و ضمّها سنة 403 هـ؛ ثمّ تأتي سنة 405 هـ، لتكون ندما لباديس على ما جعله لحمّاد من الجهات، و طلب منه رفع يده على ما حازه، و لكنّ الرّفض كان جوابه. ممّا أدّى إلى سوء العلاقة بينهما و نشوب حروب، الّتي كادت أن تكون لصالح باديس لولا دنوّ أجله على طريق المحمّديّة سنة 406 هـ.

و على إثرها بُويع ابنه المُعِزّ على الرّغم من صغر سنّه، و من أهمّ أحداث عصره، استمرار عمّه حمّاد في التمرّد و الخروج عن طاعته، كما شهد عهده القضاء على مذهب الشّيعة بإفريقيّة، وخطب لبَني العَبّاس** .

---

[1] – "تاريخ الأدب الجزائري" : محمد الطمار.

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1981، ص 69 .(بتصرف)

* – برقة: اسم أطلقه العرب على مدينة في ليبيا، هي اليوم المرج

**أظهر الدعوة لهم سنة 435هـ، و في سنة 440 هـ قطعت خطبة بن عبيد، وأُحرقت بنود الاتفاق، و أمر المعزّ بن باديس أن يدعى على منابر إفريقيا للعبّاس و لبقيّة العشرة، و كان ذلك بالقيروان." البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب": للمراكشي، ت: ج س كولان ، ل ليفي بروفنسال.

دار الثقافة ، بيروت، ط2، 1400 هـ/1980م، ج1 ، ص 277 . (بتصرف).

و هنا وجّه الفاطميّون إلى إفريقيا قبائل بني هلال و بني سليم – التي كانت تقيم في صعيد مصر– لتنتقم لهم من المعزّ* ؛ و أذن لهم اليازوري – وزير الخليفة الفاطمي– بإجازة النّيل، و رغّبهم في أرض المغرب، و كتب إلى المعزّ: " قد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، و أرسلنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا ".

عانت دول إفريقيا الويلات من جرّاء الحصارات و الحروب مع العرب، حتى أنّ الصّلح حال دون الموافقة عليه، و كان مصيرهم النّهب. و أصيبت دولة بني زيري بالانهيار و الضّعف بسبب مزاحمة العرب لهم، في حين صالح حمّاد العبيديّين، لتصبح دولته في مأمن من شرّ الهلاليين، و كان له ذلك، إذ خفّف العرب وطأتهم فبقوا محافظين على قوّتهم بتونس.

توفّي المعزّ سنة 453 هـ، بعد طول حرب مع أعراب الصّعيد، ليكمل ابنه تميم من بعده أمر خلافة الصنهاجيّين، فلم يكن عهده للفتوحات على العكس، غلبه العرب على إفريقية، واكتسحت المجاعة عهده سنة 483 هـ و ما زاد الأمور قسوة حروبه مع بني عمّه.

كما لم تسلم أيامه من الاستعمار الأجنبي، إذ استولى النُرمَان ** على صقليّة سنة 484هـ. ثمّ حكم ابنه يَحي*** بكلّ حزم، و أدّب الرّوم بأسطوله، وغنم من بلادهم. فكان حسن السّيرة مع رعيّته إلى أن هلك.

---

* المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي، بويع و هو ابن 8 سنوات، لقّب بشرف الدولة، تكلفت جدته بالأمور إلى أن توفيت سنة 410 هـ. في عهده نزح الأديب ابن رشيق.

** النرمان: أمة جرمانية قديمة، كانت بالسويد و النرويج، ثم هجمت على أوروبا الشمالية، و استطاعت أخذ صقلية في القرن 5 هـ.

*** الأمير يحي بن تميم بن المعز: ولّي و عمره 43 سنة، فتك به بعض إخوته الذين نفاهم إلى المغرب، توفي سنة 509 هـ و عمره 52 سنة.

و في سنة 509 هـ جاء ابنه علي و عاد معه عصر الفتوحات، إذ تمّ فتح مدينة جربة التّونسية على يده. ساد التوتّر عهده مع ملك صقليّة النّرماندي، فطلب المساعدة من يوسف بن تاشفين المرابطي، و لكّنه هلك قبل أن يصل إلى غايته سنة 515هـ.

و أتى دور آخر ملوك صنهاجة الزيريّين و هو الحَسَن بن عَلي، كانت الدّولة على عهده على حافّة الانهيار، إثر انشغاله بحروب الأعراب، و سطو صاحب صقليّة على معظم البلدان. و هنا استرجع ممهّد الدّولة المحمديّة عبد المؤمن التراب التونسيّ كلّه، و في كنفه عاش الحسن إلى أن توفي سنة 566 هـ.

هذا فيما يخصّ الفرع الأوّل من ملك صنهاجة بقيادة زيري، أمّا الفرع الثّاني منه فهو بقيادة حماد سنة 405 هـ.

انفصل حكم الصنهاجيّين مع أنّ العهد واحد، انفرد كلّ على حدى بحكم مناطقه، لرغبة حمّاد في إنشاء دولة له و لبنيه من بعده. اتّخذ القلعة عاصمة له، وقطع الولاء للفاطميّين بفرض مذهب السنّة على الرعيّة.

أمّا عن حدود دولته * فكانت تخضع لظاهرة المدّ و الجزر الدّائمين، وتعرّضت للعديد من التغيّرات المتتابعة، و وضعت في أوّل الأمر على أساس ملكيّة قابلة للتّعديل، بحسب جهود منشئها. و من جهة ملوكها، فقد عَنُوا بالبلاد و أسّسوا المدن و أبلوا بلاءا حسنا، ممّا زاد في عظمتها و شهرتها.

* فلم تتعد حدود الدولة الحمادية الجزائر إلا في فترات قليلة من أيامها، حين امتدت شرقا، فحكمت تونس و القيروان و صفا قس و الجريد و جزيرة جربة من تونس. تأسست سنة 408 هـ و الفترة الممتدة من 395 هـ إلى 408 هـ ، هي فترة حاسمة تمخضت عنها قيام الدولة.

أوّلهم حمّاد، قيل " أقوى أعداء صنهاجة هم زناتة، و أعظم آل زيري بطولة هو حمّاد."[1] في سنة 408 هـ اصطلح مع المُعِزّ وجدّ في تدعيم مملكته الفتيّة، توفي سنة 419 هـ. كان عهده عهد بناء و تشييد لأسس الدّولة.

ثم قام ابنه القَائِد مقامه، اعترف بسيادة الفاطميّين حتّى لقّبوه بشرف الدولة، لم يسلم هو الآخر من مكر و خداع و تمرّد الزناتيّين[2]، إلاّ أنّ حزمه و شجاعته حالت دون نيل مرادهم، إلى أن توفي سنة 446 هـ.

ولم ينته أمر الدّولة بموته، فكان ابنه "مُحسِن" ثالث خليفة، و كان يحمل وصيّة من أبيه، مفادها: عدم الخروج من القلعة لمدّة ثلاث سنوات، إلاّ أنّه خالفها فكانت النّتيجة موته، و دخل عمّه القلعة سنة 447 هـ.

رابع خليفة هو بَلكِين بن مُحمّد بن حَمّاد* سنة 447 هـ، قاتل المرابطين و كان عهده متماسك الأطراف تميّزه القوّة و الطّموح، توفي سنة 454 هـ، ليعتلي النّاصِر بن عَلناس** العرش.

"كان أعظم مُلكا و أبعد صيتا، قهر التواتر في مختلف الجهات. عظمت الدّولة على أيامه بالتشييد، كما أنّ أيامه لم تخـــل من الحروب، وسّع سلطانه، و ارتقت الحضارة، و ساد الأمن، و انتشر العدل فكان عصرا حيّا فعالا على أيامه"[3].

---

[1] - " تاريخ الجزائر في القديم و الحديث": م س ، ص 231.

[2] - زناتة: مجموعة أطلق عليها هذا الاسم، مواطنهم الصّحراء،كانوا منقسمين إلى إدريسيين و رستميين و أغلبيين.

* في أثناء عودته، تآمر عليه " الناصر بن علناس" من أهل بيته، مع طائفة من الصنهاجيين و قتلوه بتسالة من تراب المغرب الأقصى. و في رواية أخرى ذكر أنه مات قتلا في مجلسه.

** خامس أمراء بني حمّاد، على أيّامه ارتفعت الدولة الحمادية. هو مؤسّس مدينة بجاية و مجدّدها سنة 460 هـ

[3] - " كتاب الجزائر:" أحمد توفيق الـــمدني.
المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر ، ط2، 1984 ، ص 25 (بتصرف).

و سار على درب طموحاته إلى أن هلك سنة 481 هـ، فخلفه ابنه المنصور الذي سيّر أمور الدّولة أحسن تسيير ، فكانت سياسته رشيدة، صالح المرابطين؛ كما عان هو الآخر من كيد عمّه و غيره من أهل أسرته، و لاق كيد أعراب بني هلال فحاربهم و أخضعهم. كان رجل حرب إذ ظفر بهم جميعا، و عاش عظيما في سلطانه إلى أن توفي سنة 498 هـ.أمّا عن إنجازاته، فقد ضمّ مدينة بونة* .

خلفه ابنه باديس**، لكنّ حكمه لم يتعدّ هذه السّنة و لم يتسنّ له لا الحكم و لا إضافة جديدة لمملكته، فأخذ العزيز*** مكانه، فكانت فترة حكمه يطبعها الهدوء و الأمن.

و آخر الأمراء الذين نهضوا بحكم الدّولة الحمّاديّة، هو يحي بن عبد العزيز نجده قد عان من حروب النرمان سنة 543 هـ و سقطت بجاية في يد الموحّدين، فعاش هو الآخر تحت كنفهم إلى أن توفي سنة 558 هـ.

و انتهى عهد الدّولة الحمّادية سنة 547 هـ، التي أمّنت حال مجتمع مفتوح، هضم في داخله أجناس مختلفة من الغرب و الشّرق و الشّمال و الجنوب. نشطوا في مختلف مجالات الحياة من الفلاحة إلى التّجارة، و كلّ هذا يتوّسطه علم و فكر يشهد عليه طائفة العلماء و الأدباء، و هذا كلّه بفضل اعتناء الملوك و تقديرهم لأمور الحياة، و مساهمة الهلاليّين بلغتهم القريبة جدّا من الفصحى.

* بُوْنَة: عنابة اليوم، مرفأ في الجزائر، كانت قديما مستعمرة قرطاجة و عاصمة ملوك نوميديا، و مقر سقيفة القديس أوغسطين.

** قيل أنه قتل بالسم من قبل أمه ، لأنه كان يتوعدها بالقتل.

*** دام حكمه من 498 هـ إلى 515 هـ، كان يلقب بالميمون، لولادته ليلة ولاية أبيه " المنصور سنة 481 هـ

هذا مختصر ما جاء عن العهد و حياته السّياسية، و لكنّ الذي يهمّنا هنا هو الحياة الأدبيّة التي زّينت عصر تلك الفترة، و نهوض الثّقافة نهضة كبيرة لم يعهدها العصر الذي مضى.

فكيف كانت كتابات هؤلاء ؟، وهل كان التّقليد نهجهم أم جدّدوا في بعض الجوانب؟ ذلك ما سأحاول الإبانة عنه في هذا البحث لاحقا بمساعدة مصادر و مراجع، بيّنت كيف استطاع هؤلاء نشر التّاريخ العربي في مدن المغرب و خاصّة الجزائر بأفكار و أراء و إضافات.

الفصل الأول

النثر الفني على عهد الفاطميين والصنهاجيين

- الرسائل
- الخطب
- المناظرات
- النقد

- النثر الفني على عهد الفاطميين و الصنهاجيين:

اللّغة منبع الابتكار، فإذا توالت قوّة هذا الابتكار ضعفت اللّغة و توقّفت عن مسارها؛ وفي وقوفها و تقهقرها موت لها، فمستقبلها يتوقّف على إبداع الفكر نثره وشعره.

فالنّثر يتمثّل في خطبة يلقيها أو وصيّة يمليها، أو رسالة يبعثها . و الشّعر هو الكلام الموزون، والوسيلة للتّعبير عن نفس تموج بأفكار و عواطف انصبّت في قالب آخر غير النّثر. ذات إيقاع و محسّنات أخرجت المعنى عن أصله، أو بالأحرى عبّرت عنه بشكل يضفي عليه جانبا من التّلوين الإبداعيّ.

و المغرب العربيّ من خلال الحضارات المتعاقبة عليه، حمل لواءها و التزم بإنتاج جيّد، امتاز بجودة المعاني و حسن تخيّر الألفاظ مع دقّة التّعبير.

و ظلّ الأدب مرتبطا بمجالس الخلفاء و الأمراء، وهذا يعكس اهتمام ملوك الفترتين بالأدب وأهله. فازدهرت حضارة الشّمال الإفريقيّ في العهد الفاطمي و الصّنهاجي، و ارتقت العلوم و الآداب، فنبغ كثير من الفقهاء و العلماء و الأدباء و حتى الأطبّاء، زيادة على تأسيس المنشآت العمرانيّة التّي كانت مراكز ثقافيّة ذائعة الصّيت على غرار المراكز الشرقيّة؛ فنفقت سوق الأدب ما عدا فترة الهجوم الهلالي سنة 422 هـ الّذي أثّر نوعا ما و بشكل كبير. فكانت فترة ركود لوقت قصير ،و لكن سرعان ما استعادت توهّجها في العهد الحمّادي ، و خصوصا في الفترة التي حكمها النّاصر بن علناس (454 هـ – 481 هـ).

فلقد حظيت الفترتان بنخبة طيّبة من رجال الفكر و الأدب نخصّ بالذّكر منهم: أَبُو بَكر بن اللَّبَّاد[1](ت 333هـ)، و ابن الحَدَّاد[2]، و أَبُو حَسَن بن خَلْدُون البَلَوي[3] الفقيه الكبير (ت 407 هـ)، و قبله كان القَابِسِي[4]. والمغرب العربيّ في ذلك العهد لم يضمّ أبناءه فقط، بل فتح يده على مصراعيها للأدباء و العلماء القادمين من المشرق و الأندلس، فكان اليد الطّيّبة و الصّدر الحنون لبعضهم لمن عانى في بلاده، و منهم : أَبُو مُضر التَّميمي الطبني [5] (ت394 هـ). و غيرهم من الفقهاء و الأدباء الّذين زيّنوا فترة الفاطميّين و الصنهاجيّين. وتراجمهم تملأ الكتب الّتي تناولت العهدين بالدّراسة.

فكان لهم الفضل في إعلاء راية العلم بالمغرب، و هذا لا يعني أنّ الفترة الّتي قبلها – وهي الفترة الأغلبيّة – لم تكن ذات علم، إلاّ أنّ الدّراسات الأدبيّة البحت في النّصف الأوّل من القرن الثّاني كانت منعدمة، فكلّ دراساتهم تقريبا أو جلّها كانت في الفقه أكثر منها في الشعر والنثر.

و أعود إلى الأدب في الفترة التي نحن بصددها، لألقي الضّوء على خبايا النثر فيها.

---

[1] – كانت منزلته في الفقه المالكي كبيرة، كان فصيح اللّسان، اشتهر بسعة علمه، و جدّ في نشر المذهب المالكي بالمغرب ، سجنه الشّيعة لغضبهم عليه، أشهر مؤلّفاته: " فضائل مالك بن أنس"، "الحجّة في إثبات العصمة للأنبياء" و غيرهما .

[2] – و هو "أبو عثمان سعيد بن محمّد" المعروف بابن الحدّاد، لم يذكر شيء عن ولادته و وفاته أخذ عن "سحنون" (أبو سعيد عبد السّلام بن سعيد التّنوخي فقيه إفريقيا، و هو صاحب المدوّنة، ولّي القضاء بالقيروان، و توفّي سنة 240 هـ) ثمّ مال إلى مذهب الشّافعي، و كان يقول في المدوّنة المدوّدة، اشتهر بمناظرته للشّيعة و مواقفه معهم معروفة.

[3] – عاش في كنف الدولة الزّيرية و بالضّبط في عهد "المعزّ بن باديس".

[4] – الإمام المصلح "أبو الحسن عليّ بن خلف القابسي" الفقيه المؤرخ الموثوق به، و مؤلّف كتاب "الرّسالة" المفصّلة لأحوال المعلّمين وأحكام المعلّمين و المتعلّمين.

[5] – هو "أبو مضر محمّد بن الحسين التميمي الطبني"، من طبنة (المغرب الأوسط) خرج قاصدا الأندلس في عهد الفاطميّين و تولّى الشرطة لبني عام، كان شاعرا مكثرا و من بيت أدب و شعر و جلالة ، الأسرة الطبنيّة . أنظر "كتب و شخصيّات" أبو العيد دودو الشّركة الوطنيّة للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1970، ص 10...

بصفته أسبق أنواع الكلام، لعدم تقيّده و ضرورة استعماله، و هو الطّريقة المعتادة للتّعبير عن الأفكار و مقاصد الإنسان. و هو إمّا حديث يدور بين بعض النّاس (و هو ما يسمّى محادثة)، و هو كثير في الأدب المغربيّ في هذه الفترة. و إمّا تعبير عن ظواهر (موضوعات) طبيعيّة. مثلا و هو ما نجده عند الأدباء الصنهاجيّين كابن شرف القيرواني[1] في قوله من منثور كلامه واصفا موت الزّرع الّذي كان يانعا حتّى يبلغ تمام النموّ و يباع،ولكنّ لفحة الحرّ حالت دون اكتمال تلك الأحلام،وشدّتها قضت على طموح زارعيها .

زرع برد :" كان زرعا يرجى ليوم الحصاد منتظرا فيه آخر صاد. فأكلته ثغور الأعوام قبل ثغور الأنام..." [2] .

و من النثر الفنّي نذكر أيضا:

أ – الرسائل:

الّتي عثرنا عليها و الخاصّة بالعهد الفاطمي، و الّتي كَثُرت بصورة ملفتة للنّظر ممّا يتعذّر معه الإحصاء و التّفصيل.و من نماذج هذا العصر ما كتبه أبو عبد الله إلى إبراهيم بن الأغلب ردّا على الرّسالة التّهديديّة الّتي تلقّاها منه :

" أمّا ما ذكرت من التّهديد و الوعيد، فما أنا ممّن يروع بالوعيد و الإيعاد، و لا ممّن يهوله الإبراق و الإرعاد، و أمّا تخويفك أن تأتي بأنصار دولتك و رجال مملكتك، أبناء حطام

[1] –" ابن شرف الجذامي القيرواني"، واسمه بالكامل: أبو عبد الله محمّد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف – كان في عصر ابن رشيق – كاتب مترسّل و شاعر رقيق و ناقد بارع، ولد بالقيروان، في عهد "المعزّ بن باديس"(406 هـ – 453 هـ)، رحل إلى صقليّة و منها إلى الأندلس، توفي بإشبيلية سنة 461 هـ . من صفاته أنّه كان أعورا. وهو والد جعفر. يراجع في الخريدة: ج2،ص110.

[2] – "خريدة القصر و جريدة العصر": للعماد الأصفهاني ت عمر الدّسوقي و علي عبد العظيم.
دار النهضة، مصر، (د،ط) ، (د،ت) ، ق4، ج2، ص112.[برد:مات، آخر الصاد:حرف الدال وهو رمز الدرهم و الدينار، أو لعله يقصد أنه ينتظر منه أن يبلغ تمام نموه حين يمل من كثرة الثمر،و هو الصيد و الصاد.].

الدّنيا و ذئاب طمعها، الّذين يرتاعون لكلّ بارق، و يجيبون كلّ داع و ناعق. فإنّي في أنصار الدّين وحماة المؤمنين الّذين لا يروعهم كثرة أنصار الظّالمين، مع قول الله و هو أصدق القائلين: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَ اللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. فأمّا ما أطمع به من دنياك وعرضه من حطامها، فلست من أهل الطّمع فأميل إليه، و لا ممّن يرغب فيما عنده فيأتيه،و إنّما بعثت رسولا لأمرهم و قرب، و انتجاز وعد من الله سبق، و الله لا يخلف الميعاد، و لايظلم إلاّ من ظلم نفسه من العباد، فإن سوّلت له نفسه ما توعد به و دعته إليه، فسوف يعلم أنّ الله من ورائه، و لن تغني عنه فئة و إن كثرت، و الله مع المتّقين."[2]

و الرّسالة تحمل في طيّاتها ثقافة دينيّة واسعة، واضحة في الكلمات المستخدمة ومدعّمة بآيات كريمة من القرآن. و كلّ ذلك يبيّن قوّة شخصيّة أبي عَبد الله، وسعة ثقافته، مع الثّقة الكاملة بنفسه.

وهذه رسالة أخرى كتبها أَبُو عَبد الله سنة 297هـ، بأمر من المَهدِي مرسلة إلى أبي زَاكِي[3] يعرّفه بوصوله، وهذه المرّة قُرئت على منبر مدينة رُقَادَة، هذا نصّها:

---

[1] - اقتباس من سورة البقرة الآية 247.

[2] - "عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمّة الأطهار":عماد الدّين القرشي ، ت: مصطفى غالب دار الأندلس ، بيروت، (د،ط)، 1975، السبع الخامس ،ص 51-52.

- ثم قال له: فهذا جواب ما جئت به فبلّغه ثم تحمل رسالتي إليه، و أبلغه عنّي ما حمّلتك إياه، و قل له: إنّي أدعوه إلى الله و إلى كتابه و إلى الإمام المهدي (من ذرية رسوله). دعوة محتجّ عليه و راغب فيها ينجيه، و إن قبل عني قبل رشده، و إن عنّد فقد قدّمت إليه العذر، و لو كان صاحبي لعجّلت السّير نحوه، و لكن له و لمن بعده متاع إلى حين، حتى إذا بلغ الأجل و حان الحيس. "و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" سورة الشعراء الآية 226.

[3]- هو "أبو زاكي تمّام بن معارك"، المعروف عنه أنّه كان والي تونس، والمعتمد عليه من قبل أبي عبد الله، والكاتم لأسرار الدعوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

" أمّا بعد، فالحمد لله ناصر دينه، ومعزّ وليه الّذي أظهر دينه على سائر الأديان، و وليه على ما ناصبه من أهل الظّلم و العدوان، وكتابي هذا إليك من إيكجان[1] دار الهجرة و مستقرّ الإيمان. و قد وصل الإمام مولانا و سيّدنا الإمام المهدي بالله صلوات عليه و ولده، بلغ الله به أفضل آماله إليه في جميع أوليائه الّذين كانوا معه من المؤمنين، أحسن وصول و أهنأه و أسرّه وأرضاه، فأضاء لقدومه دار الهجرة، و سرّ المؤمنين و المؤمنات الذين خلفهم العذر عن الجهاد، و من كنّا أقمناه لضبط المكان به. و أقبلوا من كلّ حدب ينسلّون إليه، و من كلّ أفق يسعون نحوه، يتبرّكون بالنظر إليه و يستشفّون برؤيته، و يحمدون الله تعالى على أن بلغهم إنجاز وعده، و ظهور أمره، و بادروا إليه بأمانات الله الّتي في أيديهم و خرجوا من حقوق الله عليهم له.وضعت الحرب بحمد الله أوزارها، و أطفأ الله نارها و أهلك من أنارها، و فرّق الله أنصارها . و أمير المؤمنين على النّهوض إلى إفريقيّة، و يقدر بتقدير الله و توفيقه و عونه و تيسيره، أن يكون وصوله يوم الخميس لعشر بقين من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين و مائتين؛ فاعلم ذلك و كن على أهبة منه و من قبلك، و احمدوا الله على ما أولاكم من ذلك ، و أن فسح لكم في آجالكم إلى أن بلغتموه، و ارغبوا إليه في تمام ذلك لكم، بالنّظر إلى مولاكم، و رضاه عنكم و السّلام."[2]

---

[1]-إيكْجَان: تقع في منتصف الطّريق بين طنجة وفاس، ويقول فيها آخر إيكجان : جبل بالقرب من قسنطينيّة، وآخر: هو جبل بقرب سطيف، وبه قبائل كتامة.

[2] - عيون الأخبار و فنون الآثار: م س ، ص 106-107.

لقد افتتحت الرّسالة بالبسملة كما جرت العادة منذ دخول الإسلام إلى هذه الدّيار، فللدّين أثره على النّفوس المغربيّة. و تتّسم الرّسالة أيضا بالمبالغة حيث يصعد به إلى درجة الأنبياء، و ينعته بالبركة في رؤيته، و أنّ النّاس يتبرّكون به، و رضاه مهمّ بالنّسبة لهم. وأعطى أبو عبد الله[1] مكانة مرموقة للخليفة الفاطمي المهدي.

و للقائم أيضا رسالة أخرى أجاب بها على رسالة بعث بها مُؤنِس الخَادِم[2] يتهدّد فيها و يتوعّد: فكان جوابه إليه على النّحو التّالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

" من أبي القاسم محمّد وليّ عهد المسلمين، ابن الإمام أبي محمّد عبد الله المهدي بالله، أمير المؤمنين صلوات الله عليه، إلى مؤنس، سلام على من اتّبع الهدى، فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو، و أسأله أن يصلّي على محمّد رسوله صلّى الله عليه و على آله و سلّم.

أمّا بعد:

فإنّه وصلني كتابك و ترجمته من مؤنس مولى أمير المؤمنين، و تذكّر ما اختصّ الله عزّ و جلّ ولد العبّاس رحمة الله عليه من خلافته في أرضه، و أمانة عباده، و تمكينه لهم، و أنّه يلزمني الائتمام بهم و الدّخول في طاعتهم، و تسكين الدّماء، و لمّ الشّعب، و ترك إيقاع الفرقة، و إثارة الفتنة، و ما بذلته و رغّبتي فيه من الأمول و الإقطاعات من النّاحية الّتي أنا فيها، إذا دخلت

---

[1]- و كان يكتب له في كل مرّة يفتح فيها بلدة، و يخبره بما جرى و حدث، و كيف كانت مسيرته و جهاده، و أشار إليها صاحب الكتاب و لكن لم يذكر نصّها، و اكتفى بالإشارة إلى ذلك.

[2]- ما جاء بشأنه، أنّه كان أكبر قوّاد العباسيّين، خدم المعتضد أوّلا، ثمّ أبعده إلى مكّة و لمّا بويع المقتدر أحضره و قرّبه، و فوّض إليه الأمور، و قد استطاع أن يردّ الفاطميّين عن مصر في سنتي 303 هـ و 307 هـ، لقّبه المقتدر بالمظفّر، قتل سنة 321 هـ في التسعين (90) من عمره. يراجع في عيون الأخبار: ص133،في الهامش.

في جملتهم و وصفته من وفور جيشك، و كثرة جموعك، و توعّدني باللّقاء و المقارعة أن أبيت ذلك و فهمته.

فأمّا الخلافة فما جعل الله عزّ و جلّ للعَبّاس بنَ عَبد المُطّلِب فيها خطّا، و ما هو منها في شيء لأنّه ليس من المهاجرين، و لا من العشرة الّذين توفّي رسول الله و هو عنهم راض، و لا أدخل في الشّورى، و لا التمسها لنفسه في وقت من الأوقات، و إنّما خصّ الله بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و امتحن من بعد رسول الله صلّى الله عليه و على آله و سلّم رفعا لدرجته في جنات النّعيم، فصبر صلّى الله عليه على مضض الأمور ابتغاءا لما يبقى في الدّار الّتي لا تبيد و لا تغني..." [1].

وهذه الرّسالة تحمل في طيّاتها تذكيرا بأمر الفُرْقَةِ الّتي كانت بين العبيديّين و بني العباس، و طرحها القائم بأمر الله بطريقة تبيّن أنّ الدّخول في طاعة بني العبّاس أمر مستحيل، فالخلافة لم تكن لهم، و إنّما كانت لعليّ بن أبي طالب عليه السّلام. أمّا عن المال و الأمان و الإقطاع[2]، فردّ عليه القائم بأنّ الله أتاه بخير ممّا أتاهم. إذا تمّ النّظر إلى الرّسالة ظهر عدم التقيّد بالسّجع مع توفّره فيها، مع حسن استعماله لحروف الجرّ و سائر الرّوابط الكلاميّة، فثقافته الدّينية جليّة.

و كانت مسيرة القائم بالله في الفتوحات مستمرّة، إلى أن وصل إلى واد مشرف على تيهرت، فكان يرسل لأبيه في كل مرة يفتح فيها بلدا.

[1] – عيون الأخبار و فنون الآثار:م س، ص 133 – 134 – 135.

[2] – إقطاع النّاحية بمعنى جعلها له، وإضافة الأرض إليه يحكمها.

و للخليفة القَائِم بأمر الله رسائل عديدة ، أختمها برسالة بعثها إلى مصر، محاولة منه لإقناع مُحَمَّد الإِخْشِيدِي[1] بمشايعة الفاطميّين، جاء فيها:

" قد خاطبتك أعزّك الله، في كتابي المشتمل على هذه الرّقعة بما لم يجز لي في عقد الدّين، وما جرى به الرّسم من سياسة الأنصار يستجلبون، و ضمّنت رقعتي ما لم يطّلع عليه أحد من كتّابي، و ذوي المكانة عندي، و أرجوك أن تردّك صحّة عزيمتك، و حسن رأيك إلى ما أدعوك إليه. فقد شهد الله على ميلي إليك، و إيثاري لك، ورغبتي في مشاطرتك ما حوته يميني، و احتوى عليه ملكي، وليس يتوجّه لك العذر في التخلّف عن إجابتي، لأنّك قد استفرغت مجهودك في مناصحة قوم لا يرون إحسانك و لا يشكرون إخلاصك." [2]

و من التّوقيعات[3] أذكر رسالة المعزّ لدين الله إلى القاضي النّعمان بن محمّد صاحب كتاب " المجالس و المسايرات": و المناسبة، أنّه لمّا تقلّد النّعمان منصب القضاء، جعل المفسدون يشنعون الأشانيع، و يدسّون من يبثّها فيهم، و نسبوها له ، ليحقّدوا صدور النّاس عليه. فضاق صدره بها و حمله ذلك الصّبر الطّويل على رفعها إلى المعزّ لدين الله فوقّع له بخطّه في ظهرها، ما نصّه:

" يا نعمان، و الله لولا معرفتي بك، لنسبتك عند وقوفي على رقعتك هذه إلى الجهل، إذ كنت قد علمت ما مرّ على مواليك من أذى، من نصب لهم و عاداهم، و رد أمر الله عزّ و جلّ و كذّب رسوله فيهم، من المحن العظيمة؛ لكنّ أنفسنا قد تمرّنت على حمل المكروه

---

[1] – راجع المدخل.

[2] – "المغرب العربي تاريخه و ثقافته": م س، ص 169.

[3] – التوقيعات : هي ما يعلقه الخليفة أو الأمير أو الوزير أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال. "تاريخ الأدب العربي": أحمد حسن الزيات.دار النهضة مصر ، القاهرة، ط 25، (د،ت)، ص 219.

وظهورنا قد قويت على النهوض بأثقاله، و أنت بحمد الله فلم ينلك ما يدخل عليك منه نقص في دينك و لا ذلّ في دنياك، و قد ضقت من هذا الّذي وصفته و بلغ منك، أفما علمت أنّك الجاني على نفسك ما منه ضجرت، إذ تبيّن لك مخالفة السّفل الرعاع لأولياء الله، و رفضهم لأحكام الله، و نصبهم و طعنهم على اتّباع الحقّ و أهله، و أردت أن لا يكون منهم ما قد كان إليك، فكنت تدعنا و تتبعهم، فتتعافى ممّا بلينا و بلي أتباعنا منهم، و إذا كنت تبعتنا على بصيرة و معرفة، فاصبر على ما لابدّ منه، فقد قال مولاك علي صلوات الله عليه: رضى النّاس غاية لا تدرك؛ و حسبك عملك بطاعة الله و عملهم بمعاصيه، و أنت أعلم بنفسك منهم بك، فإن كان بينك و بين الله شيء تخافه، فمنه فاحذر، و إن لم يكن فهذا لك زيادة في الأجر.

و قد كان الواجب عليك أن تسأل الله الزّيادة لك من هذا الحسد، فإنّك لا تزداد بقربنا رفعة إلاّ زدت من كثرة الحاسد، و كيد الكائد، فإن كنت تسأل الله، رفع ذلك عنك في حين ضيّق صدرك، فاستقلّ الآن، فقد كان بعض الحكماء إذا دعى الله لنفسه، قال: ربّ اجعلني محسودا و لا تجعلني مرحوما . . ."[1].

و لمّا قرأ القاضي النُعمَان توقيعه قال: سلوت ممّا كان ضاق صدري به، و كأنّما كنت في غفلة ممّا ذكر. ما أبلغ هذه الموعظة من ولي الله، و أثبتها و أسماها في الفضل و أبلغها .

[1]-" عيون الأخبار و فنون الآثار " :م س، ص334- 335.

كلمات خفّفت من ضيق صدره و أنزلت عليه الرّاحة؛ أسلوب سهل، و كلمات موحية في معانيها، بجمل قصيرة مترابطة ارتباطا محكما، لا غموض فيها، مزيّنة بجناس و سجع. و كلّها تنبئ عن تمكّنه و ثقافته.

و كتابه هذا إلى جوهر[1] في شكل وصيّة، يوصيه فيها بالسّياسة الّتي يسلكها مع بني حمدان[2] بالشّام فقال:

"و أمّا ما ذكرت يا جَوهَر من أنّ جماعة من بني حمدان وصلت إليك كتبهم، يبذلون الطّاعة، و يعدون بالمسارعة في السّير إليك، فاسمع لما أذكره لك، احذر أن تبتدئ أحدا منهم بمكاتبة و لا تستدعيه إليك، من ورد عليك منهم، فأحسن إليه، و لا تمكّن أحدا منهم من قيادة جيش؛ فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العلم و ليس لهم فيها نصيب، يتظاهرون بالدّين و ليس لهم فيه نصيب، و يتظاهرون بالكرم و ليس لواحد منهم كرم في الله، و يتظاهرون بالشّجاعة للدّنيا لا للآخرة، فاحذر كل الحذر من الاستنامة إلى أحد منهم."[3]

و هذا كتاب آخر بعث به المعزّ لدين الله إلى عبد الرحمن الثّالث الأمير الأندلسي، وذلك بعد أن نصّب نفسه خليفة؛ و كان الدّافع الأساسي لهذه الخلافة السنّية الجديدة هو

---

[1]- جوهر الصقلي: القائد و الوزير العبيدي .(أنظر المدخل).

[2]- بنو حمدان أو الحمدانيون: دولة أسسها حمدان بن حمدون شيخ قبيلة تغلب و اتخذ ماردين قاعدة له.وسع ابنه" عبد الله" و حفيده "سيف الدولة" (944م-967م) .حدود الإمارة حتى حمص، و جعل حلب عاصمة له، حارب البزنطيين.قضى عليهم الفاطميون 991م. و ماردين : مدينة في تركيا.

[3]-"المغرب العربي تاريخه و ثقافته ":م س ،ص175.

مقاومة الخلافة الشيعيّة في المغرب، و اعتبره الفاطميّون تعدّيا على حقوقهم، و لهذا فرضوا قتاله. و في شأن ذلك يقول:

"هو يزعم أنّه أمير المؤمنين، كما تسمّى دون ما سلف من آبائه، و إمام الأمّة بدعواه وانتحاله. و نحن نقول: إنّنا أهل ذلك دونه و دون من سواه، و نرى أن فرض الله علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا و ادّعاه، مع ما بين أسلافنا و أسلافه، و من مضى من القديم والحديث من آبائنا و آبائه من العداوة القديمة الأصليّة و البغضة في الإسلام و الجاهلية. . ."[1]

هذا فيما يخصّ العهد الفاطمي، و لننظر الآن إلى العهد الصنهاجي بطوريه الزّيري والحمّادي لمعرفة حال النثر آنذاك و تنوّع موضوعاته.

هذه رسالة ابن الرَبيب[2](ت 430هـ)، كتبها إلى أديب أندلسي هو أبُو المُغيرة عبد الوَهَاب بن حَزم، يعيب الأندلسيّين فيها على تقصيرهم في التّأليف و عدم الاهتمام برجالاتهم، و من جهة أخرى يعتزّ بنفسه و بعلماء إفريقيّة ، و من ثمّ تصف لنا تفوق المغاربة على الأندلسيّين في تلك الفترة ممّا جعله يفخر بذلك. و ممّا جاء في رسالته قوله:

" كتبت يا سيّدي و أجل عددي، كتب الله لك السّعادة و أدام لك العزّ و السّيادة سائلا مسترشدا، و باحثا مستخبرا، و ذلك أنّي فكّرت في بلادكم إذا كانت قرارة كلّ فضل، و منهل كلّ خير و نبل، و مصدر كلّ طرفة، و مورد كلّ تحفة، و غاية آمال الرّاغبين، و نهاية

---

[1]- " في التاريخ الفاطمي و العباسي": م س،ص238.

[2]- هو أبو الحسن بن محمّد بن أحمد التميمي التيهرتي القاضي، شاعر و أديب نحوي، أصله من تيهرت، و نشأ في القيروان، كان خبيرا باللغة، قوي الكلام، يتكلف بعض التكلف. من شيوخه: القزاز كبير النحويين. سئل عبد الكريم النهشلي من أشعر أهل بلدنا في الوقت؟ فقال: أنا ثم ابن الربيب. من آثاره: "الأخبار الأنساب". عاش في كنف الزيريين إلى أن مات بالقيروان. "معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر": عادل نويهض.
مؤسّسة نويهض، بيروت، ط3 ،1403هـ-1983م ،ص158.

أماني الطّالبين، إن بارت تجارة فإليها تلجأ،و إن كسدت بضاعة ففيها تنفق، مع كثرة علمائها، ووفرة أدبائها، و جلالة ملوكها، و محبّتهم في العلم و أهله، يعظمون من عظّمه علمه، و يرفعون من رفعه أدبه، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدّمون من قدّمته شجاعته، و عظمت في الحروب نكايته..فتنافس النّاس في العلوم، و كثر الحذّاق بجميع الفنون...

ثمّ يلاحظ وجود عتاب لعلماء الأندلس، و ذلك لتقصيرهم في مجال التّأليف، و في تدوين مآثر فضلائهم في الكتب، فقال:

...إن قلت أنّ هناك من ألّفوا كتبا، و لكنّها لم تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق، لأنّه ليس بين إفريقيّة و الأندلس غير روحة راكب، أو رحلة قارب، و لو نفث من بلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا من في القبور، فضلا عمّن في الدّور و القصور."[1]

و مات أبو المغيرة[2] قبل أن يجيبه على رسالته.

و العصر الحمّادي ضمّ الكثير من الكتّاب، اشتهروا بكتاباتهم. و هذا لا ينفي ضياع الكثير منها: كأَبِي حَفص بنَ فَلْفُول[3] كاتب يحي بن العزيز (515هـ-547هـ)، الذي وللأسف لم تذكر كتاباته.

---

[1]-" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ": بن بسام الشنتريني، ت: إحسان عباس

الدار العربية، ليبيا- تونس،(د،ط)، 1395ه/1975م،1981م ،ق1، مج1، ص133

[2]- أما في كتاب الذخيرة: فقد ورد جواب أبو المغيرة، و لكن حذفت أكثر فصولها لطولها. ص136..139.

[3]- أبو حفص عمر بن فلفول كان كاتبا و شاعرا، مجهول سنة الولادة و الوفاة، المعروف أنه عاش في كنف الخليفة الحمادي "يحي بن عبد العزيز"، المعروف عنه، أن له أسلوب قصصي لطيف، عذب الألفاظ، واضح المعنى، بعيد عن التكلف. تأثر كثيرا "بعمر بن أبي ربيعة" في أسلوبه الغزلي. يراجع في الخريدة : ج1، ص210.

و من الّذين وصلت كتاباتهم إلينا أيضا يجدر ذكر، أبي عبد الله محمّد الكاتب المعروف بابن دفرير[1] (ت547هـ)، و الّذي له رسالة كتبها عن السّلطان يحي بن عبد العزيز الحمّادي، و قد فرّ من بجاية أمام عسكر عبد المؤمن مستنجدا بأمراء العرب. و فيها يقول:

." كتابنا و نحن نحمد الله على ما ساء و سرّ رضى بالقسم، و تسليما للقدر، وتعويلا على جزائه الّذي يجزي به من شكر، و نصلّي على النبيّ محمّد خير البشر، و على آله و صحبه ما لاح نجم بسحر، و بعد:

فإنّه لما أراد الله أن يقع ما وقع، لقبح آثار من خان في دولتنا و ضبع، استفزّ أهل موالاتنا الشّيطان، و أغرى من اصطفيناه و أنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون و رموا من حيث لا ينصرون ، فكنّا في الاستعانة بهم و التّعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء ويفرّ من صلّ خبيث إلى حيّة صمّاء. حتى بغت مكرهم ، و أعجل عن التّلاقي أمرهم، و ردّ وبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلّة الفتنة ، و ملنا إلى مظنّة الأمنة، وبعثنا في أحياء الهلال نستنجد منهم أهل النّجدة ، ونستنفر من كنّا نراه للمهمّ عدّة ، وأنتم في هذا الأمر أوّل من يليهم الخاطر ويثنى عليه الحاضر." [2]

هذا نوع من الرّسائل السلطانيّة أو الرّسميّة ،صريحة في معانيها ،بتسليم- يحي- أمره إلى الله عزّ وجلّ. وذلك بعد الخيانة التي قام بها ميمون بن حمدون وزيره ، والذي جار و ظلم. ورسالته هذه مسجوعة شأن غيرها من الرّسائل التي سبق ذكرها، وموضوعها هو

[1] - كاتب يحي بن عبد العزيز، في الدولة الحمادية، كان جليلا يلتزم السجع في رسائله، يهتم بالزخرف الفني في أسلوبه الأدبي. يراجع في الخريدة: م.ن،ص211 ومعجم الأعلام...:م س، ص 142.

[2] - "خريدة القصر ..." :م س ، ص 211

الاستنجاد ببعض القبائل الهلاليّة ، مع الاعتذار عن الهزيمة التي مُنِيَ بها الحمّاديون أمام الموحّدين .

وثاني رسالة في العهد الحمّادي هي لأَبِي القَاسِم عَبد الرَّحمَان الكَاتِب[1]، هذا نصّها:

" و لمّا كنت في مضمار سلفك جاريا ،ولنا مواليا ،وفي قضاء طاعتنا متباهيا ، رأينا أن نثبّت مبانيك ،ونؤكّد أواخيك ،ونوجب لك ولخلفك ما أوجبه سلفنا لسلفك تمييزا لهم عن الأكفاء ،و مجازاة لهم على محض الصّفاء والولاء، فاستدم هذه النّعمة، العظيم خطرها بالشّكر، فأنت به جدير، و من يقترف حسنة نزد فيها حسنا، إنّ الله غفور شكور." [2]

و تبدو هذه الرّسالة للوهلة الأولى مبتورة، السّجع الخفيف زينتها، و الألفاظ السّهلة البليغة ميزتها. كما يوجد اقتباس من القرآن الكريم في بعض جملها، كقوله:"... إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ"، الآية 21 من سورة الشّورى.

ب- الخطب:

وهي موجّهة إلى الجماهير بطريقة إلقائيّة، يعمد فيها الخطيب إلى إقناع المستمع واستمالته،هي نوع من النّثر.

---

[1]- أبو القاسم عبد الرحمان الكاتب المعروف بابن العالمي البجائي (من بجاية)، وفي كتب أخرى ورد بإسم القالمي:مجهول سنة الولادة والوفاة ،كاتب الدولة الحمادية على عهد " يحيى بن عبد العزيز " ، ثم تقلد الكتابة "لعبد المؤمن بن علي الموحدي" ،بعد زوال دولة الحماديين، عاش في النصف الأول من ق 6 هـ .

يراجع في الخريدة: م.ن، ص212.

[2]- "خريدة القصر ..." : م س ، ص 212.

[الأواخي : الروابط القوية ،وهي جمع أخية و أصل معناها عود من جبل أو حائط يدفن طرفاه في الأرض ،ويبرز طرفه كحلقة تشد فيه الدابة].

و من سماتها الخاصّة: وضوح العبارات وظهور معانيها ،حتّى يكون الغرض الّذي يهدف إليه الخطيب مفهوما للسّامعين. فلا تعبيرات مجازيّة ،ولا كلمات غامضة ؛ وعُدّة التّأثير لما فيها من حضور الخطيب بشخصه، ودفاعه عن رأيه بنفسه [1].

و من الخطب في العهد الفاطمي، خطبة ألقاها لمّا تغيّر أبُو عَبد الله الداعي على صاحبه عبيد الله، حيث وصل إلى مدينة تنس[2] ، و نزل بمكان معروف بالثّور، فجمع وجوه كتامة، وتكلّم معهم في أمر عبيد الله و عمل معهم على خلعه، و قال لهم:

" إنّ أفعاله قبيحة، ليست تشبه أفعال المهدي الّذي كنت أدعو إليه، و أخشى أن أكون قد غلطت فيه، وعرض لي ما عرض لإبراهيم الخليل – عم – (كذا) إذ جنّ عليه اللّيل، فرأى كوكبا، فقال: "هذا ربّي! "، و يجب عليّ و عليكم امتحانه، و كشفه عن العلامات الموجودة في الإمام، المعروفة عند النّقباء"[3]

و الخطبة تفيض بنوع من الحقد و الغضب على الإمام المهدي ، و فيها التّأسّف على تمهيد الطّريق له. و لم أعرف إن كانت الخطبة قصيرة أم لا، ما دام أنّه لم يبدأها بـ"أيها الناس!"

و من خطب الرّثاء : قول عبيد الله المهدي، لمّا أمر بقتل أبي عبد الله و أخيه أبي العباس. فأمر بدفنهما و قال :

" رحمك الله أبا عبد الله!، و جازاك في الآخرة بقديم سعيك !، و لا رحمك الله أبا العبّاس!، فإنّك صددته عن السّبيل، و أوردته موارد الهلاك! " ثمّ قرأ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ

---

[1] – "الخطابة و إعداد الخطيب": عبد الجليل عبده شلبي. دار الشروق ،بيروت ، ط1، 1401 هـ/1981م، ص 13-15-16 .(بتصرّف)–و الخطب أنواع: سياسية، قضائية، خطب الصلح، اجتماعية،خطب المحافل، و خطب الرثاء.

[2] – تنس: مدينة ساحلية في الجزائر، و مرفأ لمدينة الأصنام (شلف).

[3] – "البيان المغرب..." : م س، ص 161.

ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ[1] ﴾"[2].

و لم يتناول في خطبته الحديث عن الميّت، و إنّما ترحّم على الأوّل وعاتب الثّاني على فعلته، الّتي أدّت بهما إلى هذا المصير.

كما كتب المَهدِيّ بالله كتابا، و أمر أن يقرأ على منبر القيروان. فهي رسالة وخطبة في الوقت نفسه، و وجّهت نسخته إلى البلدان ، هذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

" و الحمد لله ربّ العالمين، من عبد الله و وليه أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، إلى أشياعه من المؤمنين و جميع المسلمين: سلام عليكم، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، و يسأله أن يصلّي على محمّد نبيّه و عبده ورسوله صلى الله عليه و على آله.

أمّا بعد فالحمد لله الّذي رفع عمد الحقّ وأعزّ أهله، و نكس ألويّة الباطل، و أذلّ حزبه، القادر فلا يعارض في قدرته، العزيز فلا يغالب في أمره، النّاصر لدينه الذي رضيه لنفسه، و شرفه بأكرم أنبيائه عليه، و أعلاهم درجة عنده، و أشرفهم منزلة، و أقربهم وسيلة لديه، محمّد صلّى الله عليه و على آله، حامل حكمته، و مستودع غيبه، و ما يكون بعده من كيد الكائدين، و خيانة الخائنين، و ظلم الظّالمين لأهل بيته إلى ما سبق من وعده له فيهم بالنّصر و التّأييد، و العزّ و التّمكين، كما قال تعالى في كتابه المبين الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل حكيم حميد، ﴿ وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ

[1]- الآية 35 و 36 من سورة الزخرف.

[2]- م س : ص 164.

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُم مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1]، وقال جلّ ثنائه و اسمه:﴿ وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّابُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾.[2]

فأنجز جلّ جلاله، و تقدّست أسماؤه، وعده لرسوله عليه و آله أجمعين، بردّ إرث النبوّة ومقاليد الإمامة إلى عترة نبيّه، و أعزّ الدّين والمؤمنين و أيدهم، و أنقذت من الهلكة في كلّ سكون و حركة بعبد الله و وليه أبي محمّد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين. . ."[3]

من خلال خطبته هذه، ظهر أنّها قيلت بمناسبة اعتلائه عرش خلافة العبيديّين، حيث أرسلها إلى كلّ الأمصار ليعلمهم بخليفتهم الجديد، مستشهدا بنسله و سلالته من أهل البيت، ذاكرا حقّه في الخلافة بقوله :" فألقت عصاها الإمامة في دارها، و قرّت عينها، . . . فنبّت به وطأة الهدى." و أنّ به زاد البركة و تجمّع شتات القوم، و داوى من كان من داء، في قوله : "فداوى الإسلام من الدّاء العضال، . . . و جبّر كسره."، فذلّل الصّعاب و سهّل ما كان وعرا، فنزلت السّكينة على الأرض و أمنت من كل خطر.

كما حذّر من الخيانة بقوله: " . . . و كلّ من نكب عنه ، و خان أمانته، و نقض عهده، وخفر ذمّته، فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه، و إطلاق الفتنة من عقالها، و كلّ من أوقد عليه الحرب أحرقته بنارها ."

---

[1] - سورة القصص: الآية 4-5 .

[2] - سورة الأنبياء : الآية 104 – 105.

[3] - "عيون الأخبار و فنون الآثار": م س، ص 109-110-111-112 (بتصرف) و خطبته هذه طويلة هذا بعض ما جاء فيها.فقرأ هذا السجل و دعي لأمير المؤمنين "المهدي بالله" بالخلافة يوم الجمعة لتسع لليالي بقين من شهر ربيع الآخر سنة 297 هـ برقادة و القيروان و القصر القديم و جميع البلدان. (أنظر المدخل)

و في قوله مبالغة إذ يقول:" و كلّ من تمسّك بطاعته فقد تمسّك بالعروة الوثقى، و فاز في الآخرة والأولى." فكأنّه ماسك أمورهم و الوصيّ على أعمالهم. إلى أن قال:" فاحمدوا الله الّذي بلغكم الله زمان أمير المؤمنين و اختصّكم ببركة أيامه، و سعادة دولته..."، كما مثّل بقوله صلّى الله عليه وسلّم رسول الله :" إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُم، كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِق."[1]

و خطبته هذه تحمل من المواعظ و التّحذيرات ما يسدّد خطى الشّعب و حسن الاختيار.

و في سنة 302 هـ، و لما كان عيد الفطر و القائم مقيم بالإسكندريّة، خرج فصلّى بالنّاس صلاة العيد و خطب خطبة[2] العيد بها فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

" الله أكبر، الله أكبر، و لا إله إلاّ الله ، إلاّ لعنة الله على الظّالمين، الّذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجا، و يقتلون الّذين يأمرون بالقسط من النّاس.

الحمد لله الخلاّق العظيم، المدبّر الحكيم، الّذي له مقاليد السموات و الأرض، و هو على كلّ شيء قدير، ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ وهو رابعهم، ولا خمسة إلاّ وهو سادسهم، و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلاّ هو معهم، أينما كانوا أحاطت بهم قدرته و علمه، وَ لاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ

[1]- لم أعثر على روايته.

[2]- يقول مؤلف كتاب "عيون الأخبار": بأنه يشك بأن القائم بأمر الله يعمد في خطبه إلى اللعن و تسمية الأشخاص على هذه الصورة، و يقول: أنه لم يلاحظ في خطب الأئمة أمثال هذه الشحطات، مما جعله يعتقد بأنها دسّت من قبل النساخ، و كان يرغب في عدم ذكرها و لكن المحافظة على النص من شروط الأمانة العلمية .

مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ[1]، عنت الوجوه للحيّ القيّوم، و قد خاب من حمل ظلما، و هو الأوّل قبل كلّ أوان، و زمان، و مكان، و غاية و نهاية و هو اللّطيف الخبير الّذي خلق السّماوات بغير عمد ترونها، ففلق مصابيحها، و أضاء شمسها، و أنار قمرها، و الأرض بعد ذلك دحلها، و فجّر ينابيعها . . .، و ما فطر من أرضه و سماواته، و بان لخليقتهم من تدبيره، وتكامل رسله إلى الأمم كافّة من عباده، إذ قال لهم: ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى .﴾[2]

معاشر النّاس: إنّي أصبت أمّتكم هذه كما أصاب رسول الله صلوات الله عليه و على آله وسلّم، اليهود و النصارى، معهم التّوراة و الإنجيل، و معهم كنائس و بيع، فدعاهم صلّى الله عليه و على آله و سلّم، بالسّيف و الجزية، و السّبي و النهب و الجلاء، و كذا أصبت أمّتكم هذه قد اتّخذت قرآنكم عضين و نبذتموه، وراء ظهوركم، واشتريتم به ثمنا قليلا، فقلت لكم: يا أهل الكتاب لستم على شيء حتّى تقيموا التّوراة و الإنجيل، و ما أنزل إليكم من ربّكم، ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم، أن لا نعبد إلاّ الله وحده، و لا نشرك به شيئا . . .، فرميتموني بأنّي خارجي مبتدع، و رأيتم جهادي و قتالي، و الله ناصري ومعيني، . . . لخلفائها الّذين يزعمون أنّهم خلفاء ربّ العالمين، مثل صبيّ لم يبلغ، و مثل غلام لم يعقل، و مثل طفل[3] يدير الإسلام بزعمهم، ومعه امرأة تحمل إليهم الخمور . . ."[4].

---

[1]- اقتباس من سورة البقرة الآية 254.

[2] - سورة إبراهيم الآية 13.

[3]- يقصد الخليفة بالطفل: الخليفة المقتدر بالله أبو الفضل جعفر العباسي، الذي بويع بعد وفاة أخيه المكتفي بالله في سنة 295هـ، و له 13سنة، قتل سنة 320 هـ .

[4]- " عيون الأخبار و فنون الآثار" :م س،ص129-130-131. [الخطبة طويلة جدا، هذه مقتطفات منها]

لم تختلف هذه الخطبة عن سابقتها من الخطب منذ دخل الإسلام، البسملة و التّكبير و ذكر الله عزّ و جلّ، و ذكر فضله و نعمه على عباده. فيها وضوح العبارة، إذ لا غموض فيها . قيلت بمناسبة عيد الفطر كما سبق الذّكر، و هدفها يبدو و كأنّ القائم يحاول إزاحة السّتار الأسود عن عيون النّاس، و ينبّههم إلى السّياسة العوجاء التي يقوم عليها بعض الخلفاء . و بعد إطلاقه لتلك الأحكام رجع و بدأ يدعوا بالخير، ذاكرا الله و رسوله و المهدي، و لعن البعض كبني أميّة و بني مروان و عمر بن العاص و الأشعب بن قيس و غيرهم، و كلّ النّاكثين والمارقين.

أمّا عن العهد الصنهاجي فقد وجدت خطبة ذكرها ابن شَرَف[1] مشيرا إلى المعنى فقط و كانت للمعز لدين الله[2].

و هناك وصيّة [3] من العهد الفاطمي، و كانت لمّا حضرت أمير المؤمنين القَائِم بِأَمرِ الله الوفاة، أحضر ولده الإمام المنصور بالله، و أوصاه بما أراد من أمر الدّين و الدّنيا، ثمّ كان فيما قال له:

" يا بنيّ، إنّي مسلم، ما أمرني الله بتسليمه إليك، وفّقك الله لما يرضيه، و يزلف لديه، و مهّد لك البلاد، و جمع على طاعتك و محبّتك قلوب العباد، و لكنّني يا بنيّ

---

[1]- أبو الفضل جعفر بن شرف القيرواني، و لد بالقيروان و توفي بإشبيلية، كان شاعرا و كاتبا ينافس خصمه و رفيقه ابن رشيق القيرواني، ولد سنة 440 هـ وتوفي سنة 534 هـ، وصف بأنه الأديب الحكيم، الناظم الناثر. يراجع في الخريدة : م س ، ج2، ص 23.

[2]- هو المعز بن باديس (406 هـ - 453 هـ) خامس خلفاء بني زيري و ذلك لما أعلن الإنفصال عن العبيديين، كما أشار ابن عذاري لخطبة أخرى في كتابه البيان ،و لم يذكر نصها. ص277-278-279.

[3]- و الوصايا تلحق بالخطب، لأنها إرشاد و توجيه، وأكثر الوصايا تسرد فيها صيغ الأمر سردا متواليا، مع ذكر سبب موجز لاختيارها و هي قديمة جدا و هي في الواقع لون من التربية و التعليم، و أحيانا تأخذ صورة الخطبة، إذا كان صاحبها يلقيها على جمع من النّاس.

أستودعك و ديعة أحبّ إليّ أن لا تضيّعها، بعدي، قال له: قل يا مولاي صلّى الله عليك، وأرجو أن ينسى الله في أجلك، و يهب لنا و لكافة أمّة جدّك عافيتك، قال: هيهات، قد بلغ الكتاب أجله، و ديعتي عندك جوذر المسكين فاحفظه، و لا يذلّ بعدي." [1]

فقال له المنصور بالله صلوات الله عليك (كذا): يا مولاي، هل جوذر إلاّ واحد منّا.

قال: نعم هو كذلك، لأنّ نفسي طابت عليه.

أوصاه بالبلاد، و حسن رضى الشّعب و حسن التّسيير، وأوصاه خيرا بالعبد جوذر، الّذي كان ذا منزلة رفيعة عند الخلفاء العبيديّين.

جـ - المناظرات:

و تتمّ عادة بين فقهاء و علماء وصلوا إلى درجة معيّنة من العلم والرّواية، و غالبا ما تكون في مجال القضايا الفقهيّة أكثر من الميادين الأخرى. و ينعقد مجلس المناظرة بحضور جمع من الطّلبة النّبغاء، والشّيخ المناظر عليه، فيبدأ بذكر الله عزّ و جلّ والصّلاة على نبيّه محمّد ﷺ، ثم يشرع في المناظرة على شكل طرح المسائل و مناقشتها.

و منها ما يكون منظّما بحيث يتكلّم كلّ مناظر مرّة واحدة، فكانت بمثابة تدريب النّاشئين على الكلام و تعويدهم على الدّرس و الإلمام بكلّ الموضوعات، و حسن الدّفاع عن الآراء التي يعتزّون بها[2].

---

[1] -" عيون الأخبار و فنون الآثار ": م س ، ص 229.

[2] - " مجلة الحضارة الإسلامية": الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، العدد 1، 1414 هـ/1993 م.عن محاضرة للأستاذ: الصمدي خالد، تحت عنوان :"مجالس الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري"، ص 135. (بتصرف)

و أشارت معظم الكتب الّتي وصلت إلى يدي ، إلى وجود مناظرات عدّة، ولكن حرمتنا أسماء علمائها المتناظرين و موضوعات المناظرات. و قد وجدت بعضها مشارا إليه فقط و بعضها الآخر كاملا منها:

"مناظرة ابنَ الحَدّاد[1]، و الّتي تمّت على إثر استيلاء العبيديّين على القيروان و أظهروا تبديل مذهب أهل البلد، و أجبروا النّاس على مذهبهم بطريقة المناظرة و إقامة الحجّة، و قتلوا رجلين من أصحاب سحنون [2]، فارتاع أهل البلد من ذلك و لجأوا إلى سعيد و سألوه التقيّة (التحفّظ بإظهار الموافقة). فقال :" قد أربيت على التّسعين، و مالي في العيش من حاجة، و لابدّ لي من المناظرة عن الدّين، و أن أبلغ في ذلك عذرا." و ناظر الشّيعة وأفحمهم في مجالس مختلفة."[3]

و من المناظرات أيضا ما حكاه أَبُوبَكر اللّبّاد صاحب ابن الحَدّاد و تلميذه حيث قال: "بينما سعيد بن الحدّاد (219هـ – 392 هـ)، يوما جالسا إذ أتاه رسول من قبل أبي جعفر البغدادي (حاجب عبيد الله المهدي). فقال له: أحبّ أبو جعفر أن يراك، قال : فلبست ثيابي و مضيت إلى رقادة حتّى أتيت بابه، فإذا برجل أجلس لي ينتظرني فقال : أدخل فدخلت عليه ، فقال لي (الحاجب)، أحبّ الخليفة أن يجتمع بك. فقلت له : هأنذا، وجعل

---

[1]– هو أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد، كان قليل الأشغال بجمع الكتب و بالرواية، رحل إلى أبي الحسن الكوفي إذ نزل طرابلس فسمع بعض الحديث، كان عالما باللغة نافذا في النحو، عربي اللسان، إذ الحن في لفظة استغفر الله و أعاد الكلام معربا. توفي سنة 480 هـ.الخريدة:م س، ص177.

[2]– أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون: فقيه إفريقية المعروف، تتلمذ بمصر على يد " عبد الرحمن بن القاسم" و غيره. صاحب المدونة ولي قضاء القيروان، و توفي سنة 240 هـ. "المقتبس من أنباء أهل الأندلس":لابن حيان القرطبي، ت محمود علي المكي. دار الكتاب العربي،بيروت،(د،ط)، 1393هـ/1973م، ص470.

[3] – "المغرب العربي تاريخه و ثقافته":م س ، ص248.

معي من يصحبني و مضى و هو أمامي، فمضيت مع الرّجل حتى أتى بي إلى مكان فأجلسني فيه، فأنا جالس حتى أتاني رسول ثان غير الذي كنت معه، فقال لي: قم يا شيخ، فدخلت معه حتّى انتهيت إلى باب المجلس، فإذا بعبيد الله جالس و البغداديّ واقف على رأسه، فتكلّمت بما حضر لي من الكلام، فقال لي : إجلس، فجلست فإذا بكتاب لطيف إلى جانبه على مخدّة، فرأيته و قد أوصى إلى أبي جعفر فقال له: أعرض الكتاب على الشّيخ، قال: فرمقته ببصري و عرفت الكتاب، قال: تصفّح، و جعل يده على بعض الصّفحة، و أنا أنظر إلى الإسناد، فقال لي أبو جعفر: اقرأ، فقلت له، عرفت الحديث، و هو حديث (من كنت مولاه فعلى مولاه) . و هو حديث صحيح قد رويناه، فعطف عليّ عبيد الله وقال لي : فما للنّاس لا يكونون عبيدنا ؟ فقلت: أعزّ الله السيّد، لم يرد ولاية الدّين، فقال لي: هل من شاهد في كتاب الله عزّ وجلّ؟، فقلت: نعم، قال الله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.﴾ [1] لما لم يجعله الله لنبيّ لم يجعله لغير نبيّ ،وعليّ لم يكن نبيّا ،إنّما كان وزير النبيّ صلّى الله عليه و سلّم .فقال لي: " انصرف لا ينالك الحرّ. قال أبو عثمان : فخرجت فصحبني البغداديّ و أومى إليّ، فوقفت، فقال لي: كتم هذا المجلس ."[2]

[1] -سورة آل عمران ،الآية 78-79.

[2] -« أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم » : لأبي عبد الله محمد الصنهاجي، ت : جلول أحمد بدوي. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،(د،ط)، 1984، ص 111-112.

"وابن الحَدَّاد هذا ، هو رأس المدرسة الكلاميّة بالقيروان، ولم يتقيّد بمذهب إذ كان مذهبه النّظر والقياس والاجتهاد، وكان يقول: إنّما أدخل كثيرا من النّاس إلى التّقليد نقص العقول. وكيف لمثلي ممّن أتاه الله فهما أن يقلّد أحدا من العلماء".[1] وقد صاول الدّعاة من الشّيعة في نحو أربعين مجلسا . وقد عظمت شهرة الرّجل بعد أن ناظر الدّعاة من شيعة الفاطميّين في رقادة ، حتّى مثّله أهل السنّة بالقيروان بأحمد بن جنبل أيام المحنة.

كما ناظر أبَا العَبَّاس [2] ، وكان معه نحو أربعة مجالس ونذكر منها [المجلس الأول] : "قال أبو عثمان سعيد بن محمّد، أتاني رسوله يعني أبا العبّاس، فدخلت عليه في قصر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، وحوله وجوه أصحابه، ومعي موسى القطّان ، فسلّمت وجلست ،وقد كان أتاه قبل ذلك جميع أهل بلدنا، أعني من أهل العلم بغير إرسال فقلت له قد كان من كان قبلك في هذا القصر وقد علم الله وعلم من حضر من أصحابنا أنّي لم أكن بجيّاء للملوك، ولا آتي أحدا منهم بغير رسول فتكلّم ثمّ قال: من أين؟ ، فقلت بالقياس،قال: قلته بكتاب الله ، قال: وأين هو في كتاب الله ، قلت: قال الله:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ. .﴾[3] . . " [4].

---

[1] –م س : ص 112.

[2]– هو أبو العباس محمد زكريا أخو عبد الله الشيعي ، وهو من حرضه ضد « عبيد الله المهدي » ، حتى خرج عن طاعته ،وكان مصيرهما القتل ، (راجع المدخل).

[3]– سورة المائدة من الآية 97

[4] –« كتاب طبقات علماء إفريقية » : لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم دار الكتاب ،بيروت، (د ، ط)،(د ، ت)،ص 199. (أنظر المناظرة كاملة في الملحق).

ولم أعثر للأسف على مناظرات في العهد الصنهاجي، مع أنّ المؤلّفين أشاروا إلى وجودها، على أنّها كانت من أسباب ازدهار الأدب في هذا العصر.

و الأهمّ في الأمر أنّ للمناظرات دورا أساسا في زرع الأفكار و إثراء لغة المتلقّي، وكذا إعطاء القضيّة الّتي يدور حولها النّقاش أهمّية أكبر. و تجعل من الرّأي الواحد دعما للرّأي الآخر،و حتّى يصوّب الشّخص ما كان خطأ منه؛ أو بالأحرى يحاول أن يرجّح كفّة صواب رأيه.

د – النقد :

ممّا لا ينكره أحد أنّ النّقد العربي في المشرق قد أسّسه أهله ،و وضعوا له لبنات وقواعد أسهمت في التّعريف به. في حين النّقد المغربي القديم ظلّ يتأرجح في عقول النّاس بين وجوده وعدم وجوده. ولكنّه بالفعل موجود، نقد مغربيّ محض، إلاّ أنّه عسير لكونه معدودا على الأصابع، حتّى غدت الحاجة إلى هذا البحث أكثر. فلم يكن شيئا مذكورا، ولكنّه خرج من الفجوة المظلمة بفضل بعض البحوث القيّمة الّتي أطلعتنا على نصيب منه، وعرّفتنا على المنهج النّقديّ عند نقّاد المغرب العربي. وقد تناول النّقد المغربي على غرار المشرقي عدّة قضايا، كالفنون الشعريّة الّتي تحدّث عنها بإسهاب، وكلّ غرض على حدة.

والفترة الصنهاجيّة ضمّت أبرز الأدباء الّذين لا تقلّ شهرتهم عن معاصريهم أو سابقيهم أو لاحقيهم ، بفضل أشعارهم وتأليفاتهم الأدبيّة والنقديّة. ومن أبرز شخصيّات تلك

الفترة ، نذكر ابنَ تَمِيم الحُصَرِي[1] (330هـ- 413ه) الأديب اللّغوي، والشّاعر النّاقد، و الّذي اشتهر بتصانيفه العديدة و من أهمّها و أشهرها كتابه: "زهر الآداب و ثمر الألباب"، و الّذي لم يعتبره بعضهم من الكتب النقديّة، و إنّما ذهبوا إلى أنّه واحد من الكتب الأدبيّة العامّة التي ظهرت في القرن الرّابع الهجري.

و هناك شخصيّة أخرى ذاع صيتها أيضا و هي شخصيّة عَبد الكَرِيم النَهْشَلِي[2] (405هـ) شيخ ابن رشيق، الّذي كان أديبا و شاعرا و ناقدا فذّا. بعض آرائه النقديّة موجودة في كتاب "العمدة" لابن رَشِيق، و كتاب آخر من اختيار منجي الكعبي، الّذي قدّم بعض ما اختاره من كتاب "الممتع".

و هناك شخصيّات أخرى تمثلت في شخصيّة القَزّاز القَيْرَوَانِي[3] (322هـ-412هـ)، الّذي خدم الأمراء الفاطميّين بعلمه و أدبه بمصر، هو شيخ ابن الرّبيب و ابن رشيق و ابن شرف. ومن كتبه النقديّة الّتي اشتهر بها،كتابه "ما يجوز للشّاعر من الضّرورة"، الّذي ضمّ النّحو و النّقد. و للقزاز مؤلفات عديدة، ولكنّها للأسف لم تصل إلى الباحث ليدرسها و يحقّقها.

---

[1]- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري القيرواني ، ولد سنة 330 هـ ،أما وفاته فكانت سنة 413 هـ ، ومن خلال السنة يظهر أنه عاش في كنف الزيريين، في عهد المنصور بالله (373 هـ ، 386 هـ) ،ثم ابنه باديس فالمعز بن باديس .له مؤلفات عديدة: منها « زهر الآداب» ، وكتاب آخر اسمه "جمع الجواهر في الملح و النوادر" الذي طبع باسم آخر هو "ذيل زهر الآداب" و اسمه الحُصَرِي نسبه إلى عمل الحصر و بيعها. (راجع الملحق).

[2]- هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الجزائري أصله من المسيلة (المحمدية) على عهد القائم كان شاعرا و كاتبا و ناقدا، اتّهمه بعض الناس بالغفلة ، خدم الدّولة الصنهاجية بعلمه و قلمه، على عهد باديس بن المنصور (386 هـ - 406هـ) صاحب كتاب " الممتع في علم الشعر و عمله" و لم يصل الكتاب إلينا، و لكن ابن رشيق أخذ عنه و أخذ عنه في مواطن كثيرة في كتابه " العمدة". الأنموذج...:م س، ص170.

[3]- هو أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي، ولد بالقيروان في حدود 322 هـ، و تعلم بها، ثم رحل إلى المشرق و أخذ عن أئمتها العلم و الأدب، أقام بمصر ثم عاد إلى موطنه سنة 386 هـ، توفي بها سنة 412 هـ، عن عمر يناهز تسعين عاما تقريبا، من مؤلفاته: " التعريض و التصريح" ، "شرح رسالة البلاغية " ، "أدب السلطان و التأدب له". "الحركة النقدية على أيام ابن رشيق":م س ،ص25.

و من أشهر شعراء و أدباء العصر ابن رَشِيق المسِيلِي[1] (390 هـ- 456 هـ)، شهد له بالتفوّق في النقد خاصّة، و ألّف فيه كتبا عديدة من بينها: كتاب "العمدة في محاسن الشّعر و آدابه و نقده" و كذا كتاب "قراضة الذّهب في نقد أشعار العرب".

و ثالث رجل في النّقد بالقيروان بعدعَبد الكَرِيم النَهْشَلِي و ابن رَشِيق هو أَبُو عَبد الله مُحَمَد بنَ شَرَف القَيْرَوَانِي[2] (390 هـ)، و كان هو الآخر ممّن التحق ببلاط المُعِزّ و ظلّ ملازما له، وكان المنافس الخصم لابن رشيق. اشتهر برسالته الّتي أقامها عن الشّعراء بملاحته الشعريّة مع منافسه ابن رَشِيق.

هؤلاء الأعلام الخمسة هم من أبرز الشخصيّات الأدبيّة في عهد الصنهاجيّين، الذي كان من أزهى الفترات علما و أدبا. و الملاحظ أنّ ازدهار النّقد كان في الأغلب بتونس، مع أنّ أصل النقّاد في أغلبهم كان من المغرب الأوسط (الجزائر).

و الآن يجدر أو بالأحرى ينبغي أن أقف قليلا عند الحركة النقديّة آنذاك، لأرى طرق تفكيرهم و إنتاجهم و اتّجاههم النّقدي، الذي ربطه بعض الكتاب بالحركة النقديّة التي ظهرت في المشرق.

ففيما يخصّ الشّعر و أغراضه الشعريّة، فقد تحدّث النقّاد المغاربة عن ذلك بإسهاب. فعبد الكَرِيم النَهْشَلِي، لم يكن الشعر عنده مجرّد ألفاظ موزونة و مقفّاة أو أقوال تدلّ على معنى، و إنّما هو الفطنة و الشّعور. في فضل الشعر قال :" لمّا رأت العرب المنثور

[1]- هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني، أصله من المسيلة، ثم هجر إلى القيروان سنة 406 هـ، لزم بلاط المعز بن باديس الزيري إلى أن فارقه بعد الهجمة الهلالية سنة 449 هـ إلى صقلية ، أين توفي بمازر. راجع الملحق.

[2]- سبق الترجمة له.

يندّ عليهم، وينفلت من أيدهم، و لم يكن لهم كتاب يتضمّن أفعالهم، تدبّروا الأوزان و الأعاريض، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج، بأساليب الغناء، فجاءهم مستويا، و رأوه باقيا على مرّ الأيام، فألفوا ذلك و سمّوه شعرا، و الشّعر عندهم: الفطنة، و معنى قولهم "ليت شعري": أيّ ليت فطنتي. و الشّعر أبلغ البيانين، وأطول اللّسانين، وأدب العرب المأثور، وديوان علمها المشهور."[1]

كما أورد موقف النبيّ ﷺ و الخلفاء من بعده من الشعر، و قول الشّعراء في الشّعر كقول ابن الرّومي:

وَ مَا الْمَجْدُ لَوْلاَ الشِّعْرُ إِلاَّ مَعَاهِد * وَ مَا النَّاسُ إِلاَّ أَعْظُمٌ نَخِرات[2]

و قوله :" الشّعر أربعة أصناف: فشعر هو خير كلّه، وذلك ما كان في باب الزّهد و المواعظ الحسنة، والمثل العائد على من تمثّل به بالخير و ما أشبه ذلك، و شعر هو ظرف كلّه، و ذلك القول في الأوصاف و النّعوت و التّشبيه، وما يفتنّ فيه من المعاني و الآداب، وشعر هو شرّ كلّه، و ذلك الهجاء، و ما تسرّع به الشّاعر في أعرض النّاس، و شعر يتكسّب به، و ذلك أن يحمل إلى كلّ سوق ما ينفق فيها، و يخاطب كلّ إنسان من حيث هو، و يؤتى إليه من جهة فهمه"[3].

---

[1] – اختيار من كتاب " الممتع في علم الشعر و علمه": لعبد الكريم النهشلي، تقديم و تع: منجي الكعبي. الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، (د،ط)، 1398 هـ/1978 م، ص 24.

[2] – م ن: ص 73

[3] – " العمدة في محاسن الشعر و آدابه": ابن رشيق القيرواني، تح: محمد قرقزان دار المعرفة، بيروت ، ط1، 1408 هـ/1988 م ، ج2 ، ص 241.

و قال عَبد الكَرِيم النَهْشَلِي أيضا:" يجمع أصناف الشّعر أربعة: المديح و الهجاء و الحكمة و اللّهو، ثمّ تتفرّع عن كلّ صنف من ذلك فنون، فيكون من المديح المراثي، و الافتخار والشّكر، و يكون من الهجاء الذمّ و العتاب و الاستبطاء، و من الحكمة الأمثال و التّزهيد والمواعظ، و يكون من اللّهو الغزل و الطّرد، و صفة الخمر و المجون" .[1]

هذا تعريفه للأغراض الشعريّة، و كأنّ بعض الأغراض تندرج تحت أخرى أصليّة، فعدّ بعضها أصلا و بعضها الآخر فرعا .

و للحُصَرِي أيضا اليد الطّولى في تعريف الشّعر و كذا النّثر، و قد تعرّض إلى الأغراض الّتي طفت على ساحة الشّعر العربي، مع أنّه لم يكن جريئا في طرح النظريّة و إنّما يأتي بالشيء ويتركه، فكتابه عبارة عن نصوص و جمع لها فقط .

فقال : الشّعر قد بنى لقوم بيوتا شريفة، و هدم لآخرين أبنية منيفة .

وَ مَا هُوَ إِلاَّ القَولُ يَسرِي فَتَغْتَدِي * لَهُ غُرر فِي أَوجُه وَ مَوَاسِم[2]

و أورد في ذلك أجمل المقطوعات في نظره لأكابر الشعراء، كأبي تمّام، و ابن الرّومي، وله في المقارنة بين النّثر و النّظم تعبير جميل زيّنه السّجع، إذ قال فيه:

" نثر كنثر الورد، نظم كنظم العقد . نثر كالسّحر أو أدقّ، و نظم كالماء أو أرقّ، رسالة كالرّوضة الأنيقة، و قصيدة كالمخدّرة الرّشيقة، نثر كما تفتّح الزّهر، ونظم كما تتنفس

[1] - م س : ص 247.

[2] - " زهر الآداب و ثمر الألباب": أبو إسحاق الحصري، تحقيق علي محمد البجاوي دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1، 1372هـ / 1953 م ، ج1 ، ص22.

الشّحر. نثر ترقّ نواحيه و حواشيه، و نظم تروق ألفاظه و معانيه. قصيدة في فنّها خريدة، هي عروس كسوتها القوافي، و حليتها المعاني"[1]

وله في التّعبير عن النّظم و النّثر، الجمل الجميلة و المعاني المتناسقة، منها أيضا:" نظم قد ألبس من البداوة فصاحتها . . . ، قصيدته روضه تجتنى بالأفكار، ونقل يتناول بالأسماع والأبصار . . . ، قصيدة روح الشّعر و تاج الدّهر . . . ، قد نسج حللا لا يبلي جدّتها الجديدان، و لا تزداد إلاّ حسنا على تردّد الأزمان . . ."[2]

و في النّسيب يقول: " بكاء لشدّة الوجد، وألم الصّبابة والشّوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، و يستدعي إصغاء الأسماع، لأنّ النّسيب قريب من النفوس."[3]

و ما قيل عنه، أنّه لا يملك الجرأة ليقول رأيه، إلاّ أنّه يبدي رأيه أحيانا في بعض النّصوص كقوله:"و من أحسن المراثي، ما خلط فيه مدح بتفجّع على المرثيّ، فإذا وقع ذلك بكلام صحيح و لهجة معربة، و نظام غير متفاوت، فهو الغاية من كلام المخلوقين.

و اعلم أنّ من أجل الكلام قول الخنساء، حيث أُعجب الحُصَري بهذه المقطوعة و هي أجمل ما قالت العرب – في رثاء أخيها صخر–.

يَا صَخر وَرَّاد مَاء قَد تَنَـــاذرَه * أَهل المياه فَمَا فِي وَرده عَارُ

مشي السَّبَنتَى إِلَى هَيْجَاءَ مُعضلة * لَهَا سِلاَحَان أَنيَاب وَ أَظفَارُ

وَمَا عجول عَلَى بَوّ تطيف بـــــه * لَهَا حَنينانِ إِعلاَن و إِسرَارُ[4]

---

[1] – م س: ص 122 (بتصرف).

[2] – م ن : ص 123 – 124 (بتصرف)

[3] – م ن : ج2 ، ص 600.

[4] – م ن : ص 928 [السَّبَنتَى: الجريئ]

و له من النّماذج الجيّدة الكثيرة و اختار منها الحسن و الأجود، و قد تعرّض لمختلف الأغراض من الوصف و المدح و الهجاء و غير ذلك.

و هذا ابن رشيق أسّس أيضا للأغراض الشعريّة، حيث كان مفصّلا فيما كتب، وكتابه "العمدة" دليل على هضمه و تفهّمه لمختلف النظريّات النقديّة؛ فلم يترك غرضا إلاّ ودرسه مستشهدا بما اختاره من المقطوعات الجميلة.

وله في باب فضل الشّعر ما ينمّ عن تفهّمه و تمكّنه و حسن تعبيره، و هو على غرار سابقيه يفضّل الشّعر و يستحسنه أكثر من النّثر، فمن قوله: " . . كلّ منظوم أحسن من كلّ منثور من جنسه، . .و اللّفظ إذا كان منثورا تبدّد في الأسماع، و تدحرج عن الطّباع. . "[1]

و في ذلك شعرا إذ قال:

الشّعرُ شَيء حسَـــــن * لَيسَ بِهِ مِن حَـــــرَج

أَقَلّ مَا فِيهِ ذَهَـــــا * بُ الهَمّ عَن قَلبِ الشَجِيّ[2]

و في الأغراض أورد أقوال بعض العلماء:- فهنا أحيانا وجدته يتجاهل القائل- : "بُنِيَ الشّعر على أربعة أركان، و هي: المدح و الهجاء، و النّسيب و الرّثاء، وقالوا: قواعد الشّعر أربع: الرّغبة و الرّهبة، و الطّرب و الغضب، فمع الرّغبة يكون المديح و الشّكر، و مع الرّهبة يكون الاعتذار و الاستعطاف، و مع الطّرب يكون الشّوق و رقّة النّسيب، و مع الغضب يكون الهجاء و التوعّد و العتاب الموجع."[3]

[1] - " العمدة..." م س، ج1 ، ص 72-73 (بتصرف).
[2] - م ن : ص 119.
[3] - م ن: ص 246.

و أجد هنا اختلافا بينه و بين عبد الكريم النهشلي في وضع الأصل و الفرع، فكلّ منهما يذهب مذهبا مغايرا عن الآخر.

كما قدّم لنا ابن رشيق الأغراض الشعريّة، فمثلا أخذ غرض النّسيب إذ قال فيه:"حقّ النّسيب و أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كزّ، و لا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر الماء، ليّن الأثناء، رطب المكسر، شفّاف الجوهر، يطرب الحزين، و يستخفّ الرّصين." [1]

إنّه يقنّن لهذا الغرض، وله في الغزل و ما شابهه قوله: "و النّسيب و التغزّل و التّشبيب كلّها بمعنى واحد، و أمّا الغزل فهو إلف النّساء، و التخلّق بما يوافقهنّ. . ، فمن جعله بمعنى التغزّل فقد أخطأ."[2]

و الملاحظ على شرحه للأغراض، الذي ميّز تعريفاته وشروحاته كما يظهر من خلال كتابه هو النقد التنظيري. إذ إنّه يسلك طريق النّصيحة و إعطاء المنهج السّليم بالنّسبة إليه، ليكون شعر الشّاعر على صواب و من دون تكلّف و لا إطناب، و هذا ما وجدته في قوله عن المدح :

"و سبيل الشاعر- إذا مدح ملكا- أن يسلك طريقة الإفصاح، و الإشادة بذكر الممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، و ألفاظه نقيّة، غير مبتذلة سوقيّة، ويتجنّب - مع ذلك- التّقعير، والتّجاوز الطّويل ."[3]

---

[1]- " العمدة " م س : ج2، ص 752.[الكزّ: المنقبض اليابس]

[2]- م ن : ص 753.

[3]- م ن: ص 771 ، 772. [التقعير = التقصير]

كما أنّه أورد الكثير من الأمثلة لكلّ من البُحتري، أبي تمّام، الصُّولي و ابن المُعتزّ وغيرهم، كما ذكر الفخر و الرّثاء و العتاب و الوصف.

و من نقد[1] هؤلاء المغاربة هذه الأمثلة التي تدلّ على اتّجاهاتهم و منهاجهم الّذي ساروا عليه، من حيث الخلق، و المزج بين مختلف الاتّجاهات، و كذا النّقد النّفسي والذّوقي، كما تطرّقوا لمسألة القديم و الحديث، و كذا السّرقات و غيرها من الاتّجاهات.

فالحُصَري مثلا، لم يكشف عن نظريّة واضحة تميّزه، و لكنّ النّصوص التي أوردها تدلّ على تأثّره بالنّقد و البلاغة، و من ذلك، قصّة قطر النّدى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون التي حُملت إلى المعتضد، حيث كتب معها أبوها إليه يذكّره بجرمة سلفها بسلفه، و زفّت إليه. وكتب أبو الحسين بن ثوّابة [2] جوابا إلى خمارويه يشكره، و أوّل الجواب كان: "و أمّا الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك. . ."فأقبل عُبَيد الله الوزير، يعجب من حسن ماوقع له من هذا، وقال: تسميتي لها بالوديعة نصف البلاغة، فقال عبيد الله: ما أقبح هذا! تفاءلت لامرأة زفّت إلى صاحبها بالوديعة، و الوديعة مستردّة، و قولك : من يمينك إلى شمالك أقبح، لأنّك جعلت أباها اليمين، و أمير المؤمنين الشمال. ."[3]

كما نقل مقطوعات لأهل العصر في وصف البلاغة، هذه إحداها لأبي الفَتح السَّبْتي إذ قال:

---

[1] – و خير كتاب جمع و تكلم عن نقد المغاربة و كان أحسن دليل على تمكنهم هو كتاب: " النقد الأدبي في المغرب العربي" لعبده عبد العزيز قلقيلة. الذي كان ملما بجميع القضايا النقدية تقريبا لهؤلاء النوابغ.

[2]– أمر المعتضد الوزير " أبا القاسم عبيد الله" بالجواب عن الكتاب، فأراد أن يكتبه بخطه، فسأله أبو الحسين بن ثوابة أن يؤثره بذلك ففعل.

[3] – " زهر الآداب..": م س ، ج2، ص 667.[راجع القصة كاملة في الصفحة المذكورة].

مدحتك فالتامت قلائد لم يفز * بأمثالها الصّيد الكرام الأعاظم

لأنّك بحر و المعاني لآلـــئ * و فكري غوّاص و شعري ناظم[1]

كما استشهد بشعر توسّم فيه الإبداع و الابتكار مثل قول الأخطل في معاوية، مقارنا إيّاه بينه و بين الخنساء[2] الّتي أحسنت في قولها . و يورد بعد ذلك حوار تّم بين الخنساء وبعض النّاس، حيث لاموا عليها و عابوا مستنكرين: لقد مدحت أخاك حتى هجوت أباك، فقالت:

جارى أباه فأقبلا و همـــا * يتعاوران ملاءة الحضـــــر

حتّى إذا جدّ الجراء و قد * ساوى هناك القدر بالقدر[3]

و قولها : يتعاوران ملاءت الحضر، أبرع استعارة و أنصع عبارة.

و للحصري أيضا حديث مطوّل في مجال النّقد، فهنامثلا، قراءة بالمماثلة من خلال حكاية ليلى الأخيليّة مع ثوبة. و أورد من جيّد شعرها في رثائه، فكان محبّا لها، و له فيها شعر كثير، وقد قتله بنو عوف بن عقيل[4]. ثم تحدّث عن بعض ما جرى لها مع معاوية و مروان بن الحكم و الحجّاج بن يوسف، وبعد حوار طويل و إنشاد لبعض شعرها، قال الحجّاج: لصاحب له: اذهب بها فاقطع عنّي لسانها . .

و يعلّق الحصري، احتذى الحجّاج في قوله: "اقطع لسانها"، قول النبيّ ﷺ لعليّ: اقطع لسانه للعبّاس بن مرداس، الذي سخط لمّا أعطاه النبيّ ﷺ أربعين من الإبل فقط. وقال قوله:

[1] - "زهر الآداب" م س : ج1 ،ص 135

[2] - م ن: ج2 ، ص 923

[3] - م ن : ص 925. [الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه، الجراء: جري الفرس]

[4] - م ن: ص 931 [راجع القصة كاملة في الجزء الثاني من كتاب "زهر الآداب".]

أَتَجعَل نَهبِي وَ نَهب العُبَيـ * ـدِ بين عُيَينة وَ الأَقرَع[1]

و للحُصَري في ذلك الكلام الكثير و النّماذج الجيّدة، التي تنبئ عن حسن الإختيار.

و للقزّاز القيرواني ما يظهر اتجّاهه النّقدي، في مسألة الضّرورات الشعريّة و بعض المآخذ على بعض الشّعراء، كالمآخذ النحويّة واللفظيّة و المعنويّة، و هنا مثلا يمثّل ببيت أبي نوّاس:

نَبِّه نَديمَك قد نَعَس * يَسقِيكَ كَأساً فِي الغَلَس

قالوا: كان الوجه "يسقك"، لأنّه جواب الأمر و هو جزم تسقط له الياء من يسقيك[2]

و قد حكم عليه "عبد العزيز قلقيلة" بأنّه يقف موقف المدافع عن الشّعراء، محاولا تسويغ ما جاء فيها في أشعارهم بما جاء منها في أشعار القدماء، أو تخريجها تخريجا علميّا مسلمّا به.

وله في مثل ذلك النّماذج الكثيرة، "و يختم القزّاز هذا الفيض من المآخذ اللفظيّة و المعنويّة بقوله: و الأخذ على الشعراء كثيرا لمن طلب مثل هذا، و إنّما قصدنا إلى ضرب من عيوب الشّعر، و ممّا يجوز للشّاعر من شعره، من غامض العربيّة و مستنكرها، . . إذ أنّ عيوبه أكثر من أن يتضمّنها كتاب، أو يحيط بها خطاب من الفساد في المعاني و الخطأ في اللغة." [3] هذا يُظهر تمكّنه و معرفته للرديء من الجيّد.

---

[1] – " زهر الآداب....." ج2 ، ص 938 – 939، [راجع القصة كاملة]

[2] – " النقد الأدبي في المغرب العربي": عبده عبد العزيز قلقيلة .
مكتبة الأنجو المصرية ، القاهرة، ط1، 1973 ، ص 114.

[3] – م ن: ص 120

و هذا ابن رَشِيق صاحب كتاب "العمدة"، وقد أظهر فيه مختلف آرائه النقديّة، مستشهدا بالكثير من النّماذج الشعريّة، و قد بيّنت تفهّمه الكامل، و كشفه لخبايا النصّ الشّعري. و منهجه قام على أساس أنّه لم يقلّد أحدا فيما قاله، و إنّما أدخل فهمه و نقده. و من مواضيعه الكثيرة الّتي تحدث فيها عن مختلف المسائل و القضايا، هذا حديث عن السّرقة." إذ ذات مرّة سمعه أحد جلسائه ينشد بيتين منه، فادّعى هذا الجليس أنّهما مأخوذان من شعر لعَبد الكَرِيم النَهشَلِي وبلغ ابن رَشِيق ذلك، فهاج هائجه، و ماج مائجه، و نهض فكتب رسالة. و ممّا جاء فيها، بعد أن حيّ صديقه، يقول له: بلغني – أغرّك الله– أنّك استحسنت معنى البيتين في مرثيّة الأمير سيّدنا أبي المنصور. .، و أنّ بعض من لا خلاق له في الأدب، و لا معرفة له بحقائق الكلام عارضك فيهما بالطّعن، و نازعك معناهما بالجهل، و ادّعى عليهما ضربا من السّرق و نوعا من الأخذ. .فإذا كان المعترض أراد ذكر هذا الارتعاد و الارتعاش، و ذكر الأصابع و الأنامل فصدّق، إلاّ أن هذا لا يعدّ سرقة، لعلل شتّى منها أنّ القصد غير واحد. . .[1]

و كانت السّرقة في الألفاظ و المعاني، إلاّ فيما نذر استعماله، و قد وقف موقف المدافع عن نفسه تّجاه هذا الاتّهام الّذي نعت به. و غير ذلك من القضايا النقديّة التي علّق فيها على كبار الشّعراء كالمتنبّي و امرئ القيس و غيرهما. و الملاحظ في ذلك كلّه أنّه اتّخذ

[1] – م.ن: ص 140 – 141 – 142 (بتصرف)

قول ابن رشيق : إذا ضربت عنه الطبول تتابعت * به عذب يحكى ارتعاد الأصابع

قول النهشلي : تجيش فيه كأنما رعشـــــت * إليك منه أنامل عشـــــــر.

مجال الشّعر منبعه الوحيد، فقد قال: "وجدت الشّعر أكبر علوم العرب و أوفر حظوظ الأدب ".[1]

كما عالج ابن شَرَف أيضا عدّة قضايا، كقضيّة القدماء و المحدثين و اللّحن الذي اعترى شعرهما، على الرّغم من قدم هؤلاء و حداثة هؤلاء. و خصوصا القديم الذي لم يسلم بدوره من وباء الخطأ الذي أنزل قائله من العلياء. كما تحدّث عن السّرقة من جهة المعاني و الألفاظ، و المعاني أكثر لأنّها أخفى من الألفاظ.

و من قضاياه الكثيرة و استشهاداته، برز نقده التّطبيقي فيما يخصّ أخطاء القدماء، و ارتأى الوقوف عند أحسن اثنين هما امرؤ القيس و زهير بن أبي سلمى، و قد بيّن أغلاطهما، ووضّح الفساد في شعرهما.

يقول: هذا امرؤ لقيس أقدم الشّعراء عصرا و مقدّمهم شعرا و ذكرا، وقد اتّسعت الأقوال في فضله اتّساعا.. حتّى أنّ العامّة تظنّ، بل تؤمن بأنّ جواد شعره لا يكبو، و حسام نظمه لا ينبو، و هيهات من البشر الكمال. فمن كلامه المخلخل الأركان، الضّعيف الاستمكان المتزلزل البنيان قوله:

أَمْرَخٌ خِيَامهم أَم عَشَـــــر * أَم القَلب فِي إِثرهم منحـــدر

وَ شَاقَك بينَ الخَلِيطِ الشَّطــر * وَمِمَّن أَقَامَ مِنَ الحِلِيّ هِـــرّ

وَ هرّ تَصِيد قلوب الرِّجَـــال * وَ أَفلت منها ابن عَمر وَ حَجر.

[1] - النقد الأدبي في المغرب العربي: ص 157.

فقال: عن الكلام أنّه لا يتناسب و لا يتواصل و لا يتقارب، و لا يحصل منه معنى و لا فائدة سوى أنّ السّامع يدري أنّه يذكر فرقة من أحباب، لكنّ ذلك عن ترجمة معجمة مضطربة منقلبة.

سأل عن الخيام أمرخ هي أم عشر؟، و ليست الخيام مرخا و لا عشرا، و إنّما هما عودان.. إلى آخر ذلك" [1]

و يقول صاحب الكتاب: ابن شَرَف ناقد محايد، يذكر الحسنات و يذكر السيّئات. وإذا كان ابن شرف قد تعقّب امرئ القيس و غيره، فلكي يُثبت أنّ القديم لا يعتصم بقدمه من الخطأ. و أنّ الحديث لا يخطئ لمجرّد أنّه حديث، فالخطأ جائز على سائر البشر. [2]

وعلى الرّغم من إطاحته بهما، إلاّ أنّ ابن شرف نهج النّقد الموضوعي. كما تكلّم عن اللّحن الّذي لا تسعه هذه الورقات، كقول الفرزدق:

وَ عض زَمَان يا ابن مَروَانَ لَم يدع * مِنَ المَالِ إلاَّ مَسحَتًا أَو مُجَلَّفُ

فرفع "مجلّف" و حقّه النّصب، وقد تحيّل له بعض النحويّين بكلام كالضّريع لا يسمن و لا يغني من جوع [3]. و غير ذلك من السّقطات المختلفة، الّتي وجدها هؤلاء النقّاد في أشعار الشعراء.

و هذا ما هو إلاّ مرور سريع على حديثهم المطوّل عن النّقد و قضاياه، الّذي ينبئ عن وجود نقد مغربيّ بحقّ، إلاّ أنّ المغرب العربيّ في هذه الفترة و غيرها من الفترات، عدا

---

[1] ـ النقد الأدبي في المغرب العربي : م ن، ص 225 ـ 226 (بتصرف).

[2] ـ م ن: ص 227 (بتصرف)

[3] ـ م ن : ص 229.

الفترة الأغلبيّة الّتي لم أجد للنّقد فيها منبع. كان موجودا وللعيان ظاهرا، ولمنهج المغاربة مبرزا.

و هكذا تعدّدت الرّسائل و الخطب ، و ظهر للمغاربة نقد .و ظهر جليّا للعيان أنّ كتاباتهم كانت تحمل براعة و تمكّنا . مستشهدين بآيات من كتاب الله العزيز و سنّة رسوله، أجادوا التّحلية في كلامهم، بعبارات ناسبت هذه المناسبة أو تلك.كما حملت أخلاقا و مواعظ للنّاس ، وكلّ ذلك أظهر أهميّة الأدب في تلك الفترة.كما ظهر للمغاربة في تلك الفترة فن المقامات، الذي ظهر به ابن شرف و ذهب به مذهب البديع، و سيكون لنا حديث عنه في بحوثنا اللاحقة.

الفصل الثاني

الشعر و موضوعاته في هذين العهدين

- الوصف
- الفخر
- اللّوعة و العتاب
- الرّثاء
- المديح النبوي
  * التصوف
  * الزهد
- موضوعات أخرى
- المدح
- الغزل
- الهجاء

- الشعر و موضوعاته في هذين العهدين :

إنّ الشّعر أصل الأدب العربي و جذره الذي منه نبت، ومن غير المعقول أن لا يكون هناك شعر، فهو ديوانهم ومبعث فخرهم، و المخفّف عنهم الغضب و الباعث فيهم الفرح. هو المخاطب للوجدان والعواطف بأسلوب يغلب عليه الخيال. و في ذلك، يقول صاحب الممتع: "الشعر[1] فرج يَسَره، ومعروف كان سبب إسدائه، وحياة كان سبب استرجاعها، ورحم كان سبب وصله، ونار حرب أطفأها، وغضب برّده، وحقد سلّه، وغنى اجتلبه، وكم اسم نوّه به، ورجل منسيّ عرّف باسمه "[2].

والمغرب العربي استطاع أن يُسهم بدوره في تنشيط هذه الحركة الشعريّة الّتي كانت من عطاء أقلام، تفنّنت وجادت بقرائح أصحابها، فكان شعرهم البطاقة الفنية التي عرفت بهم وبمواهبهم. ومن ثم كان الشعر عند حكام تلك الفترة، وسيلة إعلاميّة ودعائيّة ، وفي الوقت نفسه مدافعة عن الأعراض، وهذه بعض النصوص التي تظهر براعتهم.

[1]- و يقال : الشعر ديوان العرب، ومعدن حكمتها وكتر أدبها. ويقال: النثر يتطاير تطاير الشرر، والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر.

[2]- اختيار من كتاب "الممتع في علم الشعر وعمله" : لعبد الكريم النهشلي القيرواني، ت: منجي الكعبي الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د،ط) ، 1398ه/1978م، ص15 .

- فنون الشعر المغربي :

1 - الوصف:[1]

و هو الأصل في الأدب كلّه ، فالتعبير في حقيقته وصف لكل الأحوال. " فنظر النقاد إلى الموضوعات التي اتسعت اتساعا كبيرا، فسموّا وصف الناس الأحياء مدحا و هجاء، وسموا وصف الأموات رثاء، وسموا وصف النساء خاصة غزلا، وسموا وصف الخمر خمريات، وبقي الوصف المطلق متعلقا بوصف الطبيعة ومظاهرها، كوصف الخيل، والليل، والبرق، والبحر، و الجنائن، والقصور، وما إلى ذلك." [2]

ويجد المتصفّح لدواوين وكتب الشعر المغربي، أن للوصف فيها حيزا واسعا . وقد سار شعراء المغرب لهذه الفترة في بعض وصفهم على غرار شعراء المشرق. والباحث في موضوعات وصفهم يعجز عن حصرها؛ فكانت الطبيعة مصدر إلهامهم، حيث تناولوا الحدائق والفواكه وغيرها، ووقفوا عند مختلف الظواهر الكونية، من برق ورعد وأمطار وليل ونجوم وسواها، كما عَنَوا بوصف القصور والبرك والسفن، وأدوات الحرب، كما لم يفتهم تصوير الأشخاص الأكلة والبخلاء وسواهم، ووصف أعضاء الإنسان وغيرها .

[1]- والوصف هو شرح حال الشيء وهيئته، على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السّامع كأنّه يراه أو يشعر به، وقد يبالغ فيه لتهويل أمره أو تلميحه أو تشويهه.و العرب وصفوا كل ما رأوا أو عانوه أو خالط نفوسهم.

[2]- "تاريخ الأدب العربي":لعمر فرّوخ

دار العلم للملايين،بيروت،ط3، 1978 ،ج 1 ،ص 49 .

والنّماذج الآتية تبين إبداع المغاربة في هذا الغرض، نبدأها بالعهد الفاطمي. قال: الحَسَن بنَ فَرَج بنَ حُوشَب جَعفَر بنَ مَنصُور اليَمَن[1]، وهو من شعراء المنصور بالله[2] (334هـ-341هـ)، بمناسبة الهزيمة التي منيّ بها مُخَلَد الدَجَال[3] والتي أولها:

الحَمدُ لِلهِ هَذَا الفتح وَالظفـــــر * هَذَا الذِي كَانَ لِلإِيمَانِ ينتظـــر

فَاستبشروا يا رِجالَ الدِّينِ وَانتدِبوا * لِحرب قَوم هم ضَلُّوا وَهُم كفـــروا

وَأيقنوا أن جند الله غَالبهـــــم * وَأنه جل للإِيمَان يَنتظـــــروا[4]

و القصيدة جميلة، موحية في عباراتها، وصف الشاعر من خلالها الهزيمة التي مُنيّ بها صاحب الحمار. وفي الوقت نفسه يحثّ القوم على مواصلة حرب الكافرين، ويدعوهم إلى قوة الإيمان، فالحق منصور لا محالة. وكانت هذه المواجهة الأولى بعد تولّيه الخلافة.

ولا نبرح عهد المنصور بالله لنجد الشاعر عَبد الله بنَ أُصْبُع[5]، وقد وصف قتال الإمام المنصور بأرض القيروان، ومدى خوف المقاتلين منه، وكيف أن الدجّال اثنى على نفسه بمجرد رؤية المنصور بالله وهاب، ولأدعه يتكلم إذ يقول:

ويوم بأَرضِ القَيرَوَان شهدتـــــه * وَقد ظلّ فيه الجوّ أَغبَر أقتمـــا

و كاشت بِهِ الأَبطال خوفا وَ أخرست * لِموضع خَطب يملأ السَّمعَ و الفَمَا

---

[1]- أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان،شاعر البلاط الفاطمي، ولد سنة 230 ه، وتوفي سنة 303 ه.

[2]- ولد المنصور بالله أبو الطّاهر سنة 302ه / 914م.

[3]- مخلّد بن كيداد الدجّال ،المعروف بصاحب الحمار،الطّاغية الّذي هزّ الأمن على العهد الفاطمي (راجع المدخل)

[4]"عيون الأخبار..."،م س ،ص 206-207.

[5]- شاعر البلاط الفاطمي على عهد المنصور ،مجهول سنة الولادة و الوفاة.

. . .أَزَالَ رِجَالا هو له عن صفوفهـــم * وَنَكب ذُو الأقدام فِيهَا وَأحجمـــا

وَقَامَت بأَهوَاءِ اللّعِينِ مطامـــع * فأقبل حثا كَالظّلِيم مصمّمـــا

فلمّا دنا من حومة اللّيثِ فِي الوَغَـى * وَبدر الدُّجى جاب الدّجون متمّما

تزاءت له تِلكَ الجَلاَلة فَانثَنَـــى * وَهَابَكَ أَن يدنو وَ أَن يتقدّمـــا

. . .فمرّ وَكاد الخوف يضرم قلبـــه * وَأنى لكلب أن يعارض ضيغمـــا[1]

والإمام المَنصُور بالله كان شاعرا أيضا، ووجدانه مع نفسه يقول بعد أن انقطعت أخبار الدجال عنه:

تبدلت بعدَ الزَعفَرَانِ وطِيبـــه * صدّ الدّرعِ من مستحكمات السامري[2]

أَلَم تَرَنِي بِعت المقامة بالسّـــرى * ولِين الحشا بالخيولِ الضوامـــر

وَفِتيان صِدق لاَ ضَغَائِن بينهـــم * يثورونَ ثورات الأُسودِ الخـــوادِر

أَرُونِي فَتى يعني عَنَائِي وَمَشهَـدِي * إِذَا أَوهَجَ الوَادِي بِوَقع الحوافـــر

أَنَا الطَّاهِرَ المَنصُور مِن نَسلِ أَحمَـدَ * بِسيفِي أقد إِلهَام تحت المغافـــرِ[3]

وهنا نلمس شعور الملل الذي أحاط به، بعد أن كان في وسط الميدان يحارب الدَجّال، وكأن غيابه أحدث فجوة كبيرة في حياة المنصور، فيقول: أروني من يعاني مثلي. وكأنّ الحرب ووقع

[1]-"عيون الأخبار و فنون الآثار":م س،ص 241.

[2]- الزّعفران :جنس نبات بصليّ،زهره أحم ر إلى الصّفرة،من فصيلة السّوسنيّات .يستخدم لتطبيب بعض أنواع من المرق أو الحلويّات،ونبوع خاصّ لتلوينها بالأصفر.

[3]- م ن: ص 269.

حوافر الخيول وصوت السّيوف دواء لحاله ومرضاة لنفسه. والبيت الأخير فخر بنفسه وبنسله من آل أحمد، ويذكر براعته في حمل السيف.

ولا نخرج عن إطار الحرب- فالشعر واكب الأحداث – وهزيمة الدّجال على يد المنصور بالله، لنجد شاعرا آخر وهو مُحَمَّد بنَ نَاسِك التُّونُسِي[1] يذكر في قصيدة طويلة حالة الدجال لما قُضي عليه وسُلخ، وطيف به في المدينة و كان ذلك سنة 336 هـ يقول فيها:

فَفَاضَت على غير مأملـــــة * و قد كثّر الله أوزارهـــــا

فأركبَ تِمثاله بَـــــازِلا * يريح المَطِيّ وَ أكوارهـــــا

وَ زَامَلَ قِردَينِ فوقَ البَعِيـــــر * كَأَسرى تفاوض أسرارهـــــا

فَمَا يَرعَيَان لَهُ حرمـــــة * إِذَا مَا القُرُودُ رَعَت جارهـــــا

إلى أن يقول:

. . . وَيَا لِحيَةِ ذَاكَ يَلهُو بِـــــهَا * وَهَذَا يَنتِفُ أَوبارهـــــا

أتيت به خاسئا حاســـــرا * يزور القُرَى لا كما زارهـــــا[2]

يصف حال الطّاغية وهو راكب على عربة تجوب أنحاء المعمورة، ومعه قردان يعبثان بلحيته. كانت حالته مزرية أطفأت كل الغرور والظّلم الذي أحدثه في تلك القرى. فكان وصفه يعبّر عن نفسه وأحاسيسه، وكأنّه يريد أن يعبّر عن مدى الفرحة للتخلص منه.

[1]- شاعر و أديب في العهد الفاطمي ،مجهول سنة الولادة و الوفاة.

[2]-"عيون الأخبار و فنون الآثار":م س ،ص 306.

وقال عنه عَلِي بنَ مُحَمد الإيَادِي [1] (ت 365هـ)، يذكر ارتقاءه إلى قلعة كيانة وما كان من المنصور بالله، حتى أمكن الله منه وأسره ويصف كيف فعل ذلك به:

فَارتَقَى الملعُون مِن خِيفَتِـــــه * في ذُرَى أعيط عَال مصمعـــد

في ذُرَى خَلقَاء مَلسَاء علـــــى * ذَلِكَ المعقل ليست بصـــــدد

معقل مِن فوقه الله ومـــــــن * تحته المَنصُور في جَيْش معـــد

فَارتقى المَنصُور بالسيف لـــــه * يوم طَعن كشآبيب البـــــرد

. . .فَإذَا مُخَلّد في كَفّ الـــــرّدى * موثق الجيد بحبل من مسَـــد [2]

قد رَمَته الحرب عن غَارِبهـــــا * واهي الرّكن ذليل المستنـــد [3]

وقال أبُو مُضَر الطّبْني [4] (ت394 هـ) في وصف انهماكه في تعاطي الخمر، ووصف مجلسه:

اجتمعنا بعد التفرّق دَهـــــرا * فَظَللنا نقطَع العُمرَ ذِكـــــرا

لاَ يَرَانِي الإلَهُ إلاّ طَرِيحـــــا * تلقي الغُصُون حَولي زَاهـــرا

قَائِلاً كلما فتحت جفونـــــي * من نعاس الخمر زِدنِي خمـــرا [5]

وهنا يصف إفراطه الكبير في شرب الخمر، وعدم القدرة على التخلّص منها .

---

[1]- مجهول سنة الولادة ،نشأ و تربّى بمدينة تونس ،ثم التحق لخدمة الدّولة العبيديّة بالقيروان و المهديّة،و كان من أشهر شعرائها،عمّر طويلا،مات سنة 365ه. الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي: بشير خلدون. الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر،(د،ط)، 1981، ص21.

[2]- اقتباس من سورة المسد.

[3]- يحيون الأحياء وعيون الأعلام: م س ، ق 307 .

[4]- أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطّبني :محدّث و شاعر و أديب،ولد سنة 300ه،أمّا الوفاة فكانت في أواخر القرن الرّابع الهجري.

[5]-"المغرب العربي تاريخه و ثقافته ":م س ،ص 293.

عرفت بَساعَة سَبقِهَا لِأَنَّهَـــا * عَلِقَت بِهَا يوم الرِّهَان عُيـــون[1]

ويقول هنا، بأنه لم يعرف سبقها بمشاهدة العدو وإنّما عرف بقرب ساعة اللّحاق، لأنّها تسبق الطّرف فلا يراها .

وقال في أبيات يصف فيها الحرب والجيش، المعزّ قائدها، وكانت في غاية الإبداع :

وَمُضرَمَة الأَنفَاس جَمر وَطِيسُهَا * شَرٌّ نَبتَة الكَفّين فَاغِرة الفَـم

ضروس لَهَا أنباء صِدق تَحَشّهَا * فَمِن خَادِر وَرد وَأَشجَع أَيهم

رددت رَمَا حيها بِأَوّلِ صدمة * وَزَعزَعَت خَيلها بأول مقدم

إلى أن يقول:

. . .فَمَا تَنطِقُ الأَرمَاح غير تَصَلصل * وَلا ترجع الأبطال غير تَغَمْغُم

فَيملأ سمعا من رَوَاعد رَجف * ويملأ عَينا مِن بوارق ضَـــرم[2]

ويرد أنّ الغبار يغلب سواده تارة على بياض السيوف والعكس، فكانت المعركة ضارية. وهذا دليل على أنّ الشّاعر كان يخرج برفقة المعزّ ويصف المعارك على أراضيها .

ويبقى في مضمار الحرب وأسلحتها، لنجد له وصفا لسيف يَحيَ بنَ عَلِي [3] الّذي يقول:

وَأَبيض كلسَان البرقِ مختر ط * مِن دَون حَقّ مُعِزّ الدِّين إِصلِيتُ

---

[1]-"رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ":أبو القاسم محمّد بن أحمد الغرناطي، مطبعة السّعادة،مصر،(د،ط)، 1344ه،ج1، ص 87. والديوان : م س ، ق 353 .

[2]- م ن:ص 89. والديوان : م ن : ق 320 .

[3]- يحيى بن عليّ بن أحمد بن حمدون ،أخ جعفر بن علي المعروف بابن الأندلسيّة ،صاحب المسيلة و أمير الزّاب.

منية ليس تَبغِي غير طالبها * وكوكَب ليس يبغِي غير عفريت[1]

كما وصف أسطول المعزّ لدين الله وسفنه في وسط البحار، وهي تخوض غمار حروب هو قائدها، فجاء في أولّها:

وَسفن إذا مَا خَاضَت اليَمَّ زَاخِرا * جَلَت عن بَيَاضِ النَّصرِ وهي غَرَابيب

تَشَبّ لها حمراء قان أوَارهـــا * سَبُوح لَهَا ذَيل عَلَى المَاءِ مَسْحُـوب

وكانت حروبه هذه ضدّ بني مروان وبني العبّاس، فوصف الأسطول إلى أن قال:

. . .لَقِيت بِنِي مَروَان جَانِب ثَغرِهـم * وَحَظّهم من ذاك خُسر وتَتبِيـب

وفي بني العبّاس:

. . .وَنَومّ بني العَبَّاسِ فَوقَ جُنُوبِهِـم * وَلَا نَصر إلاَّ قَينة و أَكَاويـب[2]

وممّن وصف السّفن فأجاد، وأحسن ما شاء، عَليّ بنَ مُحَمَّد الإيَادِي، حيث يقول في أسطول المعزّ:

اعجب لِأسطول الإمَام محمّـد * ولحسنه وَزَمَانِه المُستَعـرَب

لَبِسَت به الأمواج أَحسن منظَـر * يَبدو لِعَينِ النَّاظِر المُتَعَجّـب

. . .وَالبَحرُ يَجمَعُ بينها فَكَأنَّـه * ليل يقرّب عقربا من عقـرَب

وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أُسود خِلافَـة * تَختَالُ فِي عَدَد السِّلاَحِ المذهّب

[1]-"ديوان ابن هانئ":م س،ص 54. [الإصليت:الشّجاع]

[2]- م ن: ص 36.[غرابيب:سود (سوداء اللّون)،تتبيب:الهلاك]

فَكَأَنَّمَا البَحر استَعَارَ بزيّهـــم * ثَوبَ الجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ المعجـب[1]

فكانت صورة البحر والأسطول في وسطه جميلة، كما شبّه جيش المعزّ بالأسود لقوّتهم واندفاعهم، وهذا المنظر زحزح مشاعر الشّاعر فكان مبدعا .

ونعود لابنِ هَانِئ الأَندَلُسِي (ت 362هـ)، الّذي برع في صفة النّجوم، حيث يقول في قصيدته الشّهيرة:

بِعيشِكَ نَبِّه كَأسَه وَجفونـــه * فَقَد نَبَّه الإبريقِ مِن بعدِ ما أغفـــا

وَقَد فَكَّت الظَّلمَاء بَعضَ قُيُودِها * وَقَد قَامَ جَيش اللَّيل لِلصّبح وَاصطَفـا

وَوَلّت نُجُوم لِلثُّرَيّا كَأَنَّهـــا * خَوَاتِم تَبدو في بَنَانِ يَد تَخفـــا

. . . كَأَنَّ أَخَاهُ حِينَ دوم طَائـــرا * أَتَى دون نِصفِ البَدرِ فَاختَطَفَ النِصفَا[2]

و قد كانت موجة المجون الّتي عهدها كلّ عصر فات،و حتّى في العصور الّتي لحقت، و الّتي سادت العهدين أيضا قد استمرّت، فأكثروا من شربها و وصفها و وصف مجالسها، فكان حديثهم مطوّلا. يقول تميم بن المعزّ الفاطمي[3] في وصف ساقي الخمر و فيها يدعو إلى التمتّع بالمسرّة:

تَمَتَّع بِالمَسَرَّةِ وَالشَّبَـــاب * فَقَد بَرَزَ الرَّبِيع مِنَ الحجـــاب

فَحبّكَ وَالزَّمَان وَأَنتَ فِيـــه * شَبَاب فِي شَبَاب فِي شَبـــاب

---

[1]- "رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة":م س،ص 141-142.

[2]- م ن:ص 106. والديوان : م س ، ص 208 .

[3]- هو الأمير عليّ أبو عليّ تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي ،ولد في المهديّة (القطر التونسي) سنة 337هـ ،كان أكبر إخوته .و لكن لمّا مال إلى الفسق و الفجور و الاستهتار بهما ،صرف أبوه الإمامة عنه إلى أخيه نزار.توفّي سنة 374هـ ،هو شاعر مطيل مقتدر،يذهب فيها مذهب ابن المعتزّ،وله حمريّات يذهب فيها مذهب أبي نوّاس مع المجون و الزّندقة .

مُحيّيهِ المدام بكَفّ ساق * يدير الخمر من بَرَدٍ عَذَاب[1]

وقوله في قطعة أخرى :

وَأسقيه من كَأسي وأَشرب فَضْله * فَينهَلُ من فيه ومن فِيه أَمزج

هو الخمر إلاّ أنّهُ خَمر مرشف * يَمجّ بِهِ الثّغر النّقيّ المُفَلّج

إلى أن يقول في أخرى:

مَا العيش إلاّ مَعَ التّهجيرِ وَ الدّلج * أَو المُدَام وَصَوتِ الطّائِرِ الهَزَج

وَالشّرب بينَ الغَوَانِي وَالقِيَان معا * فَإِنّ أَوجهها تغني عَنِ السّرج[2]

وفي الخمر دائما، وفيها زندقة :

دَعْ مَقَالَ العَاذِلاَتِ * وَإِلهُ عَن سَعي السُّعَادَة

وَ اشرَب الرّاحَ وشبهَا * بِالثّنَايَا العَطِرَاتِ

. . .أَنَا، مَا بَينَ نَدَامَا * يَ وَرَاحي وَسُقَاتِي

ثَمِلٌ لاَ أَعرِف الصّحَ * وَ وَلاَ وقت الصّلاَة[3]

ولم يكن اتجاهه نحو الخمريّات فقط، بل كانت الطبيعة منبعا آخر لأشعاره، والتي أضفت جمالا آخر على مقطوعات منها، قوله في وصف النيلوفر :

---

[1]-"نقائض ابن المعتزّ و تميم بن المعزّ":أحمد سيّد محمّد، دار البعث، الجزائر،ط 2، 1400ه/1980م،ص 45.

[2]-"جريدة القصر و جريدة العصر ":للعماد الأصفهاني ، ت:عمر الدّسوقي و عليّ عبد العظيم دار النّهضة ، مصر،(د،ط)،(د،ت)،ج1،ق4،ص 170.[التّهجير:السّير في الهاجرة،و هي شدّة القيظ في وسط النّهار،التّدليج: السّير في آخر اللّيل].

[3]-" تاريخ الأدب العربي": عمر فرّوخ: م س،ج2،ص 533-534. [السّعادة:ج ساع:الّذي ينقل أخبار قوم إلى آخرين ليوقع بينهم،شبها شبّ،أمزج].

وَبِـرَكَـةٍ تَـزهُـو بِنَيـلُوفَـر * نَسِيمُـه يُشبِهُ نَشرَ الحَبِيب

مُفَتِّحِ الأَجـفَـان في نَومِـه * حَتّى إِذَا الشَّمْسُ دَنَت لِلمَغِيب

أَطبَـقَ جَفنيه عَلَى خَدّه * وَغَاصَ فِي البِركَةِ خَوفَ الرَّقِيب [1]

وصف رائحته الزكيّة، وجماله الذي سحر الشّاعر وجعله يصف هذا الزنبق و يشوّق النّاظر لرؤيته. كما نراه يصف نافورة في بستان، ويقول بشأنها:

وَقَاذِفَةٍ بالمَاء في وَسَطِ بِرَكَة * قدِ التّحفت ظِلاّ مِنَ الأَيك سَجسجا

إِذَا انبَثقت بالمَاء سَلّتَهُ مُنصلا * وعـاد عـليها ذَلِكَ النّصل هَودجا

تُحَاوِلُ إِدرَاكَ النّجوم بِقذفها * كَأَنَّ لَهَـا قَـلبا عـلى الجَـوِّ محرجا [2]

وإذا خرج الماء من النّافورة، ارتفع دقيقا كحدّ السّيف، فإذا وصل إلى غاية ارتفاعه انفرج واتّسع حتى يصبح كالهودج. منظر رائع للنّافورة، في صورة جمّلها الشّاعر بكلماته هذه.

والعهد الصّنهاجي لم يكن ببعيد عن العهد الفاطمي، وخصوصا آل حمّاد الذين استقطبوا الكثير من الشّعراء وكان عهدهم أوفر حظّا، ومن المبرزين نذكر:

إِبرَاهِيم الرَّقِيق[3] له وصف لمعركة جرت بين باديس[4] وحمّاد، وكانت حربا عنيفة انتصر فيها باديس:

---

[1]- م س:ص 534.[النيلوفر: زنبق ينمو في الماء].

[2]- م ن:ص 533. [السّجسج:ما لا حرّفيه و لا برد، الأيك:شجر الآراك،محرجا:ضيّقا (ناقما،غضبان)،و الهودج:محمل له قبّة كانت تركب فيه النّساء.]

[3]- إبراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرّقيق النّديم (و الرّقيق لقب له)، مجهول سنة الولادة والوفاة،هو شاعر سهل الكلام محكمه، قليل صنعة الشّعر ، هذا ما قاله ابن رشيق."أنموذج الزّمان في شعراء القيروان":حسن بن رشيق القيرواني ،ت: محمّد العروسي المطوي و بشير بكّوش. الدّار التّونسية للنّشر، تونس،(د،ط)، 1406ه/1986م،ص 55.

[4]- باديس بن المنصور ،رابع خلفاء بني زيري (386ه-406ه).

لَم أَنسَ يوما بِشلف رَاعَ مَنظَره * وَقَد تَضَايَقَ فِيهِ ملتقى الحَدَق

وَالخَيلُ تعبر بالهَامَات خَائِضَة * مِن سَافِحِ الدَم مَجرَى قَانِي الفَلَق

وَالبِيضُ فِي ظلمات النقع بَارقة * مِثل النُّجُوم تَهَاوَت فِي دُجَى الغَسَق [1]

فكانت حربا ضارية، فيها الخيول تجري وتعبر وسط الميدان، وصوت حوافرها يملأ الأجواء، و السّيوف تلمع في ظلمة اللّيل الحالكة، وكأنّها نجوم تسقط من السّماء.

وهذا مُحَمَّد بنَ عَطِية بنَ حَيَّان[2] : الذي صحب بَاديس بنَ المَنصُور في حروبه لقبائل المغرب الأوسط (405هـ) حارب عمّه حمّادا لاستقلاله عنه، ونبذه لطاعة الفاطميّين.

وشرب تلك الليلة معه- مع باديس- في موضع مرتفع على نهر الشّلف بالمغرب الأوسط. فأوقدت النّيران، واستوى المجلس، وحضر المغنّون، فقال في وصفه:

تُبنَا نُدِيرُ الرَّاحَ فِي شَاهِق * لَيلا عَلَى نَغمَةِ عُودين!

وَالنَّارُ فِي الأَرضِ الَتِي دُونَنا * مِثلَ نُجُوم الجَوّ فِي العَين

فَيَالَه مِن مَنظَر مُونِق * كَأَنَّنَا بَين سمائَـــــين [3]

وقال: ابنَ أَبِي الرَجَّال[4] (ت 426هـ) في وصف الخمرة قبل هجوم المنيّة :

بَاكِرِ الرَّاحِ وَدَعْ عَنكَ العذل * وَاسِع فِي الصِحَّة مِن قبل العلل

---

[1]- "الأدب في عصر دولة بني حمّاد": أحمد بن محمّد أبو رزّاق، الشّركة الوطنيّة للنّشر ،الجزائر،(د،ط)، 1979م،ص 171.

[2]- لم يذكر شيء عن حياته، ولادته أو وفاته،إلاّ أنّه من شعراء المغرب الأوسط (الجزائر).

[3]- م ن:ص 171.

[4]- أبو الحسن علي بن أبي الرجّال الشّيباني:أحد دهاة السّياسة الواردين على القيروان من تيهرت،كان كاتبا جليلا،وعالما رياضيّا،وشاعرا رقيقا،وقد خدم المعزّ بن باديس.هو شيخ ابن رشيق و ابن شرف و غيرهما،وله ألّف ابن رشيق كتاب العمدة. توفي سنة 426هـ.

وَاغْتَنِم لَذَّةَ يَوم عَاجِل * فَالمَنَايَا ضَاحِكَات بِالأَمَل

مَا تَرَى السَّاقِي كَشَمس طَلَعَت * تَحمِلُ المِرّيخ فِي بُرجِ الحَمل [1]

ويقول في وصف بلاغة أحد الكتّاب وجودة خطّه:

فَضل الأَنَام بِفَضل علم واسع * وَعَلاَ مَقَالهم بفَضل المَنطِقِ

وَ حَكَى لَنَا وَشي الرِّيَاض وَقَد وَشَت * أَقلاَمه بِالنَّقش بَطن المهرَق

ويقول في أخرى :

إِذَا نَقَشَت يُمنَاكَ فِي الطِّرسِ أَسطُرَا * حَكيت بها وَشي الملاء المنضّد

يَرُوق مجيدَ الخَطِّ حسن حروفها * وَيعجب مِنها بِالمَقَال المسدّد [2]

و هذا عَبد الكَرِيم النَهْشَلِي (ت 405هـ) يحذو حذو سابقيه، و يبدع هو الآخر بكلمات ترّن لها أذن السّامع .قال يصف مجلسا تملأه الهيبة :

مَجْلِس موقور الجَلاَلَةِ تَنثَنِي * عيون الوَرَى عَنه و ينبو خِطَائها

تَرَى فِيهِ رَفعَ الطَّرف خَفضا كَأَنَّمَا * لِحَاظُ الرِّجَالِ رِيبَة يَستَرابها

نَثَرتُ بِهِ غَرَّ المَعَانِي كَأَنَّهَا * قَلاَئِد دُرٍّ زَانَ جِيدا سخابها [3]

و قال في وصف فيل، وقد أجاد وصفه :

وَ أَضخم هندِيّ النجّار تَعدّه * مُلُوكُ بني سَاسَان إن رَآبَهَا أَمرُ

. . .يَجِيئُ كَطُودِ جَائِل فوق أَربَع * مُضَبَّرة لمت كَمَا لَمَّت الصَّخر

---

[1] – "المغرب العربي تاريخه و ثقافته": م س، ص 301.

[2] – م ن:ص 300.

[3] –" اختيار من كتاب الممتع ..." : م س ، ص 164

لَهُ فَخِذَانِ كَالكُثَيبَينِ لَبدا * وَ صدر كَمَا أَوغَى مِن الهَضبةِ الصَّدرُ

وَ أُذُن كَنِصفِ البَرد يَسمعهُ النَّدَا * خَفيا وَ طرف ينفض الغَيبَ مُزَوَّرُ[1]

و في دار البحر بالمنصوريّة يقول :

يَاربّ فِتيان صِدق رحت بَينَهُم * وَ الشَّمْس كَالدَّنَفِ المَعشوق في الأُفُقِ

مَرضَى أَصَائِلها حَسرَى شَمَائِلُهَا * تُرَوِّحُ الغُصنَ المَطُورَ في الوَرَقِ

. . .تَضَمُّه الرِّيحُ أَحيَانا وَ تفرّقه * فَالمَاءُ مَا بَينَ مَحبُوس وَ مُنطَلِق

مِن أَخضَرَ نَاضِر وَ الطَّلُّ يَلحَقُهُ * وَ أَبيَضُ تحتَ قِبطِيِّ الضُّحَى يَقِقُ[2]

وأبرز شاعر في الفترة الصنهاجيّة هو أَبُو الحَسَن عَلِيّ بنَ رَشِيق[3] (ت 463هـ)، وأشعاره في الوصف كثيرة نذكر منها: قوله في وصف هديّة وهي زرافة، جاءت إلى المعزّ بن باديس من مصر، وقد أحسن وصف هذا الحيوان إذ يقول:

. . .وَأَتَتكَ مِن كَسبِ المُلُوكِ زَرَافَة * شَتَّى الصِّفَاتِ لِكَونِهَا أَنبَـــاءُ

جَمَعَت مَحَاسِن مَا حَكَت فَتَنَافَسَت * فِي خَلقِهَا وَتَنَافَت الأَعضَـــاءُ

تَحتَهَا بَينَ الحَوَانِي مِشيَـــة * باد عليها الكبر والعَلَـــوَاءُ

. . .وَتَخَيَّرَت دُونَ المَلَابِسِ حُلَّـة * عنيت بِصَنعَةِ مِثلِها صَنعَـــاءُ

. . .كَادَت يُنَـالُ بِهَا السَّمَاء تَطَاوُلا * قَصَبُ النِّضَار وَلَن ينال سَمَـــاءُ

---

[1] – "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" : م س ، ص 298 . و "الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها"،رشيد بورويبة ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1397هـ/1977م، ص 168

[2]–"زهر الآداب و ثمر الألباب ": ج1 ، م س، ص 190 ،[الدّنف : المريض].

[3]– أنظر ترجمته في الملحق.

ومن خلال قوله هذا، تبدو الهديّة جليلة المقدار: حمل إليه زرافة مليحة الصّورة، وفيها من حسان الجواري المغنّيات والخدم والخيل إذ قال:

فِيهَا القِيَانُ المُلهِيَات كَأنّما * أَلحَانُهُنَّ عَلَى المَعِزِّ ثَنَاءُ [1]

ويقول في خمريّة :

قَدر المُدَامة فوق قَدرِ المَاءِ * فَارغَب بِكَأسِكَ عَن سِوى الأَكفَاءِ

. . .ذَاكَ المِزَاجُ وَإِن تَعَدَّانِي الَّذِي * فِي المُزنِ مِن ذِي رِقّة وَصَفَاء

أَشهَى وَأَبلغ فِي الفُؤَادِ مسرّة * مِن غَيرِهِ وَأَدَبّ فِي الأَعضَاءِ [2]

و انتقالا إلى مواصفات أخرى، يقول في وصف هلال رمضان:

لاَحَ لِي حَاجِبُ الهِلاَلِ عَشِيّا * فَتَمَنَّيتُ أَنَّنِي مِن سَحَابِ

قُلتُ أَهلاً وَلَيس أَهلاً لِمَا قَد * تُ وَلَكِن أَسمَعتُهَا أَصحَابِي

مُظهِرا حُبّه وعندِي بُغض * لِعَدُوّ الكُؤُوسِ وَالأَكوَابِ [3]

فهو هنا متناقض مع نفسه، إذ ينظر إليه بوجهين، من جهة يتأمل ظهوره وكأنّه يتمنّى أن يكون بقربه كسحابة، ومن جهة ثانية يُكنّ له بغضا، لأنه يمتنع عن شرب الخمر المحبّبة لديه.

وقال في ركوب البحر:

خُلِقتَ طِينا وَمَاء البَحرِ يَتلفه * وَالقَلبَ فِيهِ نفور مِن مَرَاكبه

---

[1]- ديوان ابن رشيق القيرواني : ج : عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، (د،ط)، (د،ت) ، ص: 15 ← 22.

[2]- م ن: ص 22

[3]- م ن: ص 26، (وله في الخمريات عدة مقطوعات).

فَالبَحرُ خَير رَفِيق بالرَّفِيقِ لَهُ * وَالبرّ مِثلُ اسمِهِ بَرٌّ بِرَاكِبِهِ [1]

وفي وصف الشّعر يقول :

أَلشِّعرِ شَيء حَسَن * لَيسَ بِهِ مِن حَرَج

أَقَلّ مَا فِيهِ ذَهَا * بُ الهَمّ عَن نَفسِ الشَجِيّ

...كَم نَظرَة حَسّنهَا * فِي وَجهِ عذر سَمِج

وَحُرقَةٍ بَرَّدَهَا * عَن قَلبِ صَبّ منضِج

وَرَحمَة أَو قَعَهَا * فِي قَلبِ قَاس حَرِج

وَشَاعِر مُطَرّح * مُغلَقِ بَاب الفَرَج

قَرَّبَهُ لِسَانُه * مِن مَلِك مُتَوّج [2]

وله في البنفسج:

بَنَفسَجٌ جَاءَكَ فِي حِينِ لاَ * حَرّ يرى فِيهِ وَلاَ فَرطُ بَرد

كَأَنَّهُ لَمّا أتينا بِهِ * مُنغَمِس الأَثوَاب فِي اللاَزَوَرد [3]

وفي الموز:

لِلهِ مَوزٌ لَذِيذ * يُعِيذَهُ المُستَعِيذُ

---

[1]- ديوان ابن رشيق :م س: ص 31.

[2]- م ن : ص 48.

[3]- م ن: ص 65.

فَـوَاكِـهَ وَشَـرَاب * بِـهِ يفيـقُ الـوَقِـيـذُ[1]

وله وصف جميل وكثير لكلّ الظّواهر الطّبيعيّة، فأحسن وأبدع. وكان الوصف دقيقا، بكلمات تعبّر عن نظرته الحاذقة.

و من الوافدين و المهاجرين إلى أرض المغرب : أَبُو الصَّلت أُمَيَّة الأَنْدَلُسِي[2] (ت 520هـ)، و له وصف في قصر له بناه الحَسَن بن علي (515هـ-566هـ) :

إِذَا سَقَى الله أَرضا صَوب غَادِية * فَليَسُق قَصرَكَ صَوب الرَّاح مَا شَرِبا

قَصر تَقَاصَرَت الدُّنيَا بِأَجمَعِها * عنـه وَضَاقَ مِنَ الأَقطَارِ مَا رَحبا[3]

و له وصف آخر، أنشده لنفسه بالمهدّية سنة 519 هـ في داره، يصف فرسا :

وَ أَشهَب كَالشِّهَاب أَضحَى * يَلُوح فِي مذهب الجلَالِ

قَـالَ حَسُودِي، وَ قَـد رَآه * يجنب خَلفِي إلى القِتَالِ

مَـن أَلجم الصّبح بِالثُّرَيَّـا * وَ أَسـرج البَـرقَ بِـالهِـلَالِ[4]

و هذا أَبُو بَكر يَحيَى بنَ بَقِي القُرْطُبِي[5] : (ت 540 هـ)،وصف سَلاَ فقال:

فَأَصبَحت مِن تَخَلِّيهَا بِسُؤدَدِكم * كَالعُودِ أَعلَمته مِن بَعد إِغفَال

---

[1]- ديوان ابن رشيق : م س ، ق 70.

[2]- أبو الصّلت أميّة بن عبدالعزيز الأندلسي، من كبراء الأندلس العلماء الحكماء، يقال إن عمره ستّون سنة منها : 20 في بلدة إشبيلية، و عشرون في إفريقية عند ملوكها الصنهاجيّين. "نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب" : أحمد بن محمد المقرّي التّلمساني، ت: إحسان عباس. دار صادر، بيروت، (د،ط)، 1388هـ/1968م، مج2، ص 105-106.

[3]-" خريدة القصر و جريدة العصر" : م س، ص 234.

[4]- م ن: ص 310.

[5]- الأندلسي : الكاتب الشاعر المشهور، فرّ من طليطلة عند محنتها، إلى إشبيلية، و ظل ينتقل من بلد إلى بلد، حتى وصل مدينة سلا بالمغرب، و اتصل بقاضيها الأمير أبي القاسم بن عشرة، فأكرم و فادته. الترجمة في الخريدة، ص 130.

وَقَدْ وَرِثتَ عَنِ القَاضِي أَبِيكَ على * أَضحَى قَسِيمكَ فِيهَا صِنوك العَالِي[1]

وهذا الأمير أَبُو يَحيَ تَمِيم بنَ المُعِزّ [2] (453هـ – 515هـ) ،صاحب المهديّة، له في الخمريات وصف:

وَخَمر قَد شَربت عَلَى وجوه * إِذَا وُصِفَت تَجلّ عنِ القِيّاس

خُدُود مِثلَ الوَردِ فِي ثُغُور * كَدر في شُعُور مِثل آس[3]

وقال يصف منافقا:

رَأَيتُكَ قَاعِدا عَن كُلّ خَير * وَأَنتَ الشّهم، قَالوا وَقُلت

وَأَطوَار لَه لُطف وَحَذَق * وَأَلفَاظ ينمقها وَسمت

وَثِقَة إِلَيهِ مِن حَسَب وَبَيت * وَلَو لاَ ذَاكَ مِنه مَا وَثِقت

وَقَد يَعِدُ الوُعُودَ وَلَيسَ يُوفِي * وَلَيسَ بِقَائِل يوما فَعَلت

كَجَمزِ المَاءِ فَوقَ المَاءِ طَاف * يَرُوقُ وَمَالهُ أَصل وَنَبتُ[4]

ومن الوافدين أيضا إلى أرض المغرب نذكر ابنَ حَمدِيس[5] (ت527هـ) وقال في وصف القصر بعد أن فتح عينيه به وبما احتواه:

أَبصَرتهُ فَرَأَيتُ أَبدَعَ مَنظَر * ثُمَ انثنيت بِنَاظِرِي مَحسُورا

---

[1]- م س: ج2 ،ص 136 – 137.

[2]- الملك أبو يحي تميم بن المعزّ بن باديس ، ولد سنة 422 هـ سادس ملوك بني زيري.

[3]- "عنوان الأريب عمّا نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب ": محمّد النّيفر ، المطبعة التونسية، تونس ،ط1، 1351ه، ج1، ص54.

[4]-" خريدة القصر ...": م ن، ص169.

[5]- ابن حمديس الصقلّي:هو أبو محمّد عبد الجبّار بن حمديس الأزدي ،ولد في سرقوسة بجزيرة صقليّة ،ثمّ سافر إلى الأندلس سنة 471هـ،ثمّ استقرّ ببجاية حيث أصبح شاعر المنصور بن النّاصر بن علناس (481ه-498ه)،له ديوان شعر يشتمل على عدّة قصائد في مواضيع مختلفة. "ابن حمديس الصقلّي ":علي مصطفى المصراتي،دار مكتبة الفكر ،طرابلس(ليبيا)،(د،ط)، 1972،ص 5.

وَ ظَنَنتُ أَنِّي حَالِمٌ في جَنَّة * لَمَا رَأَيتُ المَلكَ فيه كَبيرا

وَ إِذَا الوَلَائد فتحت أَبوَابَه * جَعَلت تُرَحِّب بِالعُفَاةِ صَرِيرا

عَضَّت عَلَى حَلَقَاتهنَّ ضَرَاغِم * فَغَرَت بها أَفواهها تَكشِيرَا

إلى أن يقول في وصف الأسود والماء يخرج من أفواهها:

وَضَرَاغِم سَكَنَت عَرِين رِئَاسَة * تَرَكَت خَرِير المَاءِ فِيهِ زَئِيرَا

فَكَأَنَّمَا غَشَى النُضَارَ جسومها * وَأَذَابَ في أَفوَاهِهَا البَلُّورَا

أسد كَأَنَّ سُكونهَا مُتَحَرِّك * في النَفسِ لَو وجدت هُنَاكَ مُثِيرَا[1]

ومن عهد يَحيَ بن عَبد العَزِيز الحَمَّادِي، آخر ملوك بني حمّاد (515هـ – 547هـ) نجد الشّاعر أَبُو الحَسَن الأَشُونِي[2] (ت 537هـ): وهو من الوافدين إلى بجاية من الأندلس. وله في شعره وصف جميل لحاله حين دخل الجزائر:

يَاوِيح نَاء شَطَّ عَن أَحبَابِه * وَسَقَاه طول البُعدِ مرّ شَبَابِه

قَذَفَت به أَيدِي النَوى في مَعشَر * لَم يَحفِلُوا طرّا بِعظم مُصَابِه

يُمسِي وَيُصبِحَ هَائِما مُتَحَيِّرا * قَد عَضَّهُ صِرفُ الزَّمَانِ بِنَابِه

أمّ الجزائر كي يَرَاهُ ملطَفا * يَكسُو الذِي يَشكوه مِن أَوصَابِه[3]

---

[1]–"الأدب في عصر بني حمّاد":م س،ص 333،[البيت الثّاني:اقتباس من الآية 20 من سورة الإنسان،العفاة: ج عاف،كلّ طالب فضل أو رزق ،تكشيرا:يناسب الأسد إذا كشف عن نابه،و البيت بعده يؤكّد المعنى].

[2]– أبو الحسن عليّ بن محمّد بن شعيب الأشوني الأندلسي، كان نحويّا لغويّا أديبا ،حافظا تاريخيا."م ع ت و ث": ص331.

[3]–"المغرب العربي تاريخه وثقافته":م س،ص 333.

من خلال كلامه يبدو أنّه لاقى صعابا كثيرة، جاب البلدان ولم يرحّب به أحد، حتى إنّه كان كالمتشرّد يلعب الزمان على ظهره، ولكنّ الحال لم يستمرّ، ووجد ما يأويه ويسكت أوجاعه وآلامه.

ونختم الوصف بـ: القَلعي الأَصَمّ[1] - مع أن الوصف كثير وجميل- وهو من العصر نفسه. قال في وصف فوّارة:

وَحَاكِيَة بالمَاءِ لَون اضطِرَابِه * قِوَاما وَحسنا حِينَ يَبدو وَيَوبِص

قَضِيب لَجِين أَلمع الصّقل مَتنَهُ * وَأَخلَصَهُ فِي السَّبكِ مِن قَبل مُخلص

تَسَامَى قَلِيلا، ثم عَادَ كَأَنَه * جمان حَوَالَيهَا عَلَى المَاءِ يَرقُص

تُضَايِقُ أَعنَانَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا * لَهَا بَينَ هَاتِيكَ النُّجُوم تلصّص[2]

و هكذا شغل الوصف معظم أشعارهم، و كان يحتلّ المكانة الأولى،فقد كثرت موضوعاته و مضامينه. فكان نظرهم ثاقبا، لم يتركوا شيئا إلاّ وصفوه، من حيوانات و بساتين وزهور و غيرها. كما أنّهم اقتبسوا معانيهم من الطّبيعة، و وصفوا كلّ الظّواهر؛ استغلّها الشّعراء المغاربة ضمن أشعارهم و نقلوها بشكل جميل جدّا.

---

[1]- أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن زكريّاء القلعي الأصمّ،لبث بالدّيار المصريّة ،و لمّا يئس عاد إلى المغرب و بالأخصّ إلى طرابلس،عاش في الكنف الحمّادي . لم يذكر تاريخ ولادته و وفاته،عرف بالألفاظ الجزلة و المعاني الدّقيقة،متأثّرا بالمتقدّمين من الشّعراء المجيدين،نظم في أغراض قليلة ،كالوصف و المدح و الشّكوى.

[2]-"الأدب في عصر بني حمّاد":م س ،ص 248.

2 – المدح:

لقد ازدهرت المدحة على لسان الشّاعر المغربيّ، شأنه في ذلك شأن سابقيه. وظلّ المدح من أبرز أغراضه، سلك نهجهم في بناء القصيدة المدحيّة.

والمدح كما هو معروف لدى الجميع، يتناول الشّاعر فيه الثّناء على كلّ ذي شأن، بما يستحسن من الأخلاق النفسيّة، كرجاحة العقل والعدل والعفّة والشّجاعة، وتعداد محاسنه.

ولا يمكن إحصاء عدد الشّعراء المغاربة – خلال العهدين – الذّين نظموا في غرض المدح، فمن أبرز شعراء المدح في عهد الفاطميّين: سَعدُون الوَرْجِينِي[1]، مدح المَهدِي (297هـ – 322هـ) بقوله:

قِف بالمَطِيّ عَلَى مَرابِع دور * لَبِستَ مَعالِمهنّ ثَوبَ دُثُور

لَعِبَت بِهَا حَتّى مَحَت آثَارَهَا * رَيحَان: رِيح صِبَا وريح دبور

. . .وَسَفِيهَة هَبَّت تَصُدّ عَنِ النَّوى * وَيَدُ النَّوى مَلَكَت عنان مَسِيرِي

حتى انتهى إلى قوله:

أَعِن ابنَ فَاطِمَةَ تَصدين امرءا * بِنتَ النَبيّ وَعَشرَة التَّطهير

. . .هَذَا أَمِيرُ المُؤمِنِينَ تَضَعضَعَت * لِقُدُومِهِ أَركَان كُلِ أَمِير

هَذَا الإِمَامُ الفَاطِمِي وَمَن بِهِ * أَمنَت مَغَارِبها مِنَ المَحذُور

وَالشَرقُ لَيسَ لِشَامِهِ وَعِرَاقِهِ * مِن مَهرب مِن جَيشِهِ المَنصُور

---

[1]– هو شاعر بني الأغلب ،(مجهول سنة الولادة و الوفاة)،بعد القضاء عليهم صار شاعر العبيديّين.

حَتّى يَفُوز مِن الخِلَافَةِ بِالمُنَى * وَيفـاز مِنهُ بِعَدلِهِ المَنشُور

إلى أن ذكر أبا عبد الله [1] فقال:

يَا مَن تَخَيَّـر مِن خَيَار دُعَـاتِه * أَرجَـاهم لِلعُسرِ وَالمَيسُـورِ

حَتّى اسـتَمَـالَ إِلَيـهِ كُل قَبِيلَة * وَرَمَـى إِلَيـهِ قِيَـاد كُل عَثُور

أَشبَهتَ مُوسَى وَهُو حَيَّتُكَ الَتِي * تُلقَى فَتَلقِفَ كُلَ إِفك سَحُورِ [2]

وشبّه عبد الله بالحيّة – عصا موسى – التي ألقيت على الأرض، فعبد الله هو الأداة التي بها تمّ القضاء على دولة بني الأغلب، و غيرها من الإمارات.

وقال مُحَمَد بنَ هَارُون بنَ سَعِيد الأَمرُوطِي[3] : يمدح المَنصُور يوم قتاله مع الدَجَّال بأرض القيروان:

وَلَـم أَرَ كَالمَنصُـورِ بِالله نَاصِرا * لِـدِيـن وَلَا أَحمَـى لِمُلك وَأَمنَعَا

هُوَ المَلِكُ المَخصُوصُ بِالنَصرِ مُلكه * وَحَافَظَ مَا قَد كَانَ ضَاعَ وَضَيَّعَا

أَلَم تَرَ يَومَ القَيروَانِ وُقُـوفَـه * وَقَـد هَمَّـت الأَكبَاد أَن تَتَصَدَّعَا

وَأَبرَزَ عَن وَجـه مِنَ الصَّبرِ أَبيَض * يُقَـابِلُ وَجـهـا لِلكَرِيهَةِ أَسفَعَا [4]

وقال بعض الشّعراء في المنصور بالله:

---

[1]- أبو عبد الله الشّيعي ،المؤسّس الحقيقي لدولة العبيديّين،(أنظر المدخل).

[2]-"عيون الأخبار و فنون الآثار":م س،ص 112-113-114.

[3]- شاعر المنصور بالله (334ه-341ه)، لم يذكر شيء عن ولادته أو وفاته أو حياته ككلّ.

[4]-م ن: ص 242.

دَلائِلَ آيَاتِ الإِمَامِ كَثِيرَة * تَلُوحُ لِمَن لَدَيهِ بَصَائِر

تروى التُّقَى وَالصَّبر في كل موطِن * وَصَحَّت لَهُ عِندَ الإِلَهِ سَرَائِر

أَلَم تَرَهُ حِينَ انبرى لِيُبَسِهِ * شَقِيّ مِنَ الأَغنَامِ جَافٍ مُكَابِر[1]

في مدحه هذا غلوّ ومبالغة، وإسراف في نعته بأوصاف موهمة بالكفر. وله في المدح – المنصور بالله – ما يطول ذكره، وفي أخرى يقول بعض الشعراء في صبره وشجاعته:

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَذِي عَادَاتُه * وَطِبَاعُهُ الإِنعَامُ وَالإِحسَانُ

لَكَ كُلَّ يَومٍ آيَةٌ لَم يَأتِهَا * أَحَدٌ وَلَم يَفخَر بِهَا الإِنسَانُ

وَلَأَنتَ ذَلِكَ الفَارِسُ الأَسَدُ الَذِي * شَهِدَت لَهُ وَأَقَرَّت الفُرسَان[2]

وقال مُحَمَد بنَ أَبِي القَاسِم التُّونُسِي بمناسبة طلعة أمير المؤمنين المَنصُور بالله أَبُو الطَّاهر و الناس مستبشرون فرحون بيمن طلعته :

تَوَسَّمَ صَبَاحُ المَجدِ من أَينَ يَشرِق * وَعَرَف الرِّضَى وَ الحِلم مِن أَين يعبق

وَمَثَّل عَلَى أَنَّ النُّجُوم كَثِيرَة * بِأَيِّ سِرَاجٍ تَهتَدِي فَتُوفَق[3]

وقال جَعفَر بن مَنصُورِ اليَمَن الحَسَن في المنصور دائما بمناسبة تغلبه على الدجّال، ومفاجأته له. فجزّ في ذلك اليوم عددا لا يحصى من الرّؤوس :

يُهَنِّيكَ نَصرًا بِمَا قَد رُمتَ مِن سَبَب * يَا سَيِّدَ الخَلقِ مِن عَجَم و من عَرَب

---

[1]- "عيون الأخبار و فنون الآثار": م س، ص 243.

[2]- "عيون الأخبار و فنون الآثار": م س، ص 269.

[3]- م ن : ص 227 (القصيدة طويلة ،هذا مطلعها).

فِي كُـلِّ يَـوْمٍ يُرِيـنَا اللهُ مُعْجِزَة * مِن نَصـرِهِ لَكَ تَجلُو غُمَّةَ الكُرَبِ[1]

و قال في أخرى : يوم سار زِيري بنَ مَنّاد أمير صَنهَاجَة، فهزم عسكره من البربر، و قضى على الفاسدين، و حمل إلى المنصور بالله رأس فَضل بنَ مُخَلَّد، و أخمدت نار الفتنة :

أَلَا يَـا أَمِيـنَ اللهِ يَـا عَـالِـيَ اليَد * وَيَـا مُصْطَفَى آلِ النَّبِيِّ مُحَمَّد

وَيَـا خَيْرَ مَنْ أَلقَت إِلَيهِ قِيَادَهَا * أُمُورَ الوَرَى مِن ذِي مَغِيب وَ مَشْهَد

هَنِيئًا لَكَ التَّوفِيـقَ فِي كُلِّ حَالَة * مِنَ اللهِ وَ التَّأييد فِي كُلِّ مَقصَدِ[2]

و في المُعِزّ أَبُو تَمِيم (341هـ-362هـ)، و هو ابن السّابعة عشرة :

أنعـم بِعِزِّكَ يَا بنَ خَيرِ الـنَّاس * وَ بِمَا حَبَاكَ اللهُ فِي مَاوَاس

مِن نَصرِهِ لَكَ إِذَا هَمَمتَ مُطَالِبا * لِعِصَابَـةِ الأَرذَالِ وَ الأَرجَاسِ

. . .وَ قَتَلتَهُم فِي رَأسِ حِصن لَم يَكُن * لِيُرَامَ فِي فطن وَ لَا بِقِيَـاسِ[3]

و هاهو أشعر المغاربة ابنَ هَانِئ (ت 362هـ) يمدح المُعِزّ بأغلب شعره، (حتّى إن معظم شعره في المدح) .يقول في مدحه للخليفة يهنّئه بشهر رمضان، و قد بالغ و أسرف في نعته :

الحِبُّ حَيـثُ المعشَرُ الأَعـدَاءُ * وَ الصَّبرُ حَيثُ الكِلَّةُ السَّيرَاءُ

. . .حَتَّى دُفِعتُ إِلَى المُعِزِّ خَلِيفَة * فَعَلِمتُ أَنَّ المَطلَبَ الخُلَفَاءُ

---

[1]- م س : ص 274-275-276 (القصيدة طويلة،هذا مطلعها).

[2]- م ن : ص 329-330

[3]- م ن : ص 319-320 [ماواس:بلدة تقع جنوب المغرب الأوسط، و هي من أعمال الزّاب].

جُـودٌ كَـأَنَّ اليَـمَّ فِيـهِ نُفَـاثَـة * وَ كَأَنَّمَا الدُّنيَا عَلَيـهِ غُثَاءُ

. . .مِن مَعدِنِ التَّقدِيسِ وَ هوَ سُلالة * مِن جَوهَرِ المَلَكُوتِ وَ هُوَ ضِيَاءُ

و هنا مبالغة في مدحه، إلى أن وصل إلى قوله :

يُفدِيكَ شَهرُ صِيَامِنَا وَ قِيَامِنَا * ثُمَّ الشُّهُورُ لَهُ بِذَاكَ فِـــدَاءُ

فِيـهِ تَنَزَّلَ كُلُّ وَحيٍ وَ منزّل * فَلِأَهلِ بَيتِ الوَحيِ فِيهِ ثَنَاءُ

و لقد أوصله إلى حد تحكّمه في الزّمان :

لاَ تَسـأَلَنّ عَـن الزَّمَـانِ فَـإِنَّـه * فِي رَاحَتَيك يَدُور كَيفَ تَشَـاءُ[1]

و في أخرى، أنشدها بالمنصوريّة يذكر فتح مصر على يد القائد جوهر :

تَقُولُ بَنو العَبَّاسِ هَل فُتِحَت مِصرُ؟ * فَقُل لِبَنِي العَبَّاسِ قَد قُضِيَ الأَمرُ!

وَ قَد جَاوَزَ الإِسكَندِرِيَّةَ جَوهَر * تُطَالِعُهُ البُشرَى وَ يَقدُمُه النَّصرُ

. . .أُهَنِّيكَ بِالفَتحِ الَّذِي أَنَا نَاظِر * إِلَيهِ بِعَينٍ لَيسَ يُغمِضُهَا الكَفرُ[2]

و لم يكن المدح مقصورا على الخليفة المعزّ، و إنّما كان منه لجَعفَر ابنَ عَلِي الأَندَلُسِي[3]، مطلعها :

يَـا ربَّ كُلِّ كَتِيبَة شَهبَـاء * وَ مَـآبَ كُلِّ قَصِيـدَة غَرَّاء

---

[1]- "ديوان ابن هانئ ": م س، ص 9 .. 18.

[2]- م ن : ص 131.

[3]- جعفر بن علي بن حمدون، صاحب المسيلة (364هـ)." معجم أعلام الجزائر ":م س،ص123.

يَا لَيتَ كُلّ عَرِينَة، يَا بَدرَ كُلِّ * دُجُنّة، يَا شَمسَ كُلِّ ضَحَاء[1]

شبّهه باللّيث في عرينه، و ضياء بدر في ظلمة اللّيل، و نور شمس تسطع بنورها .و يقول في مدح أَبِي الفَرَج مُحَمد بنَ عُمر الشّيْبَانِي[2] :

لَأَنتَ ذَا الجَيش ثم الجَيشُ نَافِلَة * وَ مَا سِوَاكَ فَلَغو غَير مُحتَسَب

وَ لَو أَشَرتَ إِلَى مِصرَ بِسَوطِكَ لم * تُحوِجكَ مِصرٌ إِلَى رَكض و لاَ خَبَب

. . .لَعَلّ غَيرَكَ يَرجُو أَن يَكُونَ له * عُلُوّ ذِكرِكَ في ذا الجَحفَلِ اللّجب[3]

فكانت قصيدته ذات كلمات جميلة رنّت في أذن السّامع، جعلت صاحبها في قمّة و منزلة عليا .

و هذا تَمِيم بنَ المُعِزّ الفَاطِمِي يمدح أحد الخلفاء الفاطميّين، مع تأكيد أحقيّة أسرته بالخلافة، فامتدحهم بالشّجاعة و الفصاحة، و شرف النّسب، و صواب الرّأي :

كَفّاكَ فِي كلّ سِلم * سَحَاب صَوبَ نَدَاهُ

وَ حُسنَ رَأيِكَ فِي الحَر * بِ سَيفُهُ وَ قَنَاهُ

و قال في أخرى :

. . .لَأَنّكَ فِي بَحرِ البَلاَغَةِ مَفرَق * وَ فِي سَاحَتي أَرضِ النُبوّةِ مُنجِب

---

[1]- "ديوان ابن هانئ": م س، ص 18.

[2]- أبو الفرج محمد بن عمر الشيباني : هذا الممدوح هو أحد القواد الفاطميين، كانت تيهرت تحت رعايته.

[3]- الديوان : م ن ، ص 54

. . .وَ أَنَّكَ أَنتَ المُصطَفى المَلِكُ الَّذي * بِطَاعَتِهِ مِن رَبِنَا نَتَقَرَّبُ[1]

و في أخرى يذكر نسبهم إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ و زوج عليّ رضي الله عنه :

إِمَامَةُ مَهدِيَّةَ اللِّوَاءِ * وَ دولَةُ دَائِمَةُ البَقَاءِ

. . .فَيَا ابنَ رَسُولٍ و ابن وَصيهِ * وَحسبكَ ذَا جدا وَحَسبُكَ ذَاكَ أَب[2]

أمّا عن العهد الصنهاجي، فالنّماذج التّالية تبيّن براعة الشّعراء آنذاك في المدح، نبدأها بـ إِبرَاهِيم الرَقِيق يمدح باديس بن المنصور (386هـ-406هـ) الّذي يقول :

. . .وَ قَد بَدَا مَعلَما بَادِيسَ مُشتَهِرا * كَالشَّمسِ فِي الجَوِّ لاَ يُخفَى عَنِ الحَدَقِ

وَ إِنَّ رَاحَتَه لَو فَاضَ نَائِلُها * وَ بَأسَهَا فِي الوَرَى أَشفوا عَلَى الغَرَقِ

تَجلُو عَمَامَتُهُ الخَضرَاء غُرَّتَه * كَأَنَّهُ قَمَر فِي حُمرَةِ الشَّفَقِ[3]

و يقول الحَسَن بن رَشِيق (ت 463هـ) يمدح القاضي جَعفر بن عَبدالله الكُوفي، و مقطوعته هذه جميلة في كلماتها، و كأنّها حكم و أمثال تضرب به :

أَرَى النَّاسَ مِن ضِدَّينِ صِيغَتْ طِبَاعُهُم * فَظَاهِرهم مَاءٌ وَ بَاطِنُهُم نَارٌ

وَ إِنَّ ابنَ عَبدِ اللهِ قَاضِي عَصرِهِ * لَأَفضَلُ مَن يُثنَى عَلَيهِ وَ يُختَارُ

كَرِيم أَرَادَ اللهُ إِتمَامَ فَضلِهِ * فَأَخلاَقُه أَرض وَ جَدوَاهُ أَمطَارُ

. .وَ لَم أَرَ بَحرا قَطُّ يُدعَى بِجَعفَر * سِوَاهُ وَ إِلاَّ فَالجَعَافِرُ أَنهَارُ[4]

---

[1]- "نقائض بن المعتزّ و تميم":م س،ص 69.

[2]- م ن : ص 71.

[3]- " الأدب في عصر بني حماد" : م س ، ص 171.

[4]- "ديوان ابن رشيق" : م س ، ص 89-90 .

و يقول في مدح صقلية :

أُختُ العُدَينَةِ فِي اسم لَا يُشَارِكُهَا * فِيهِ سِوَاهَا مِنَ البُلدَانِ وَ ألتَمَس

وَ عَظَّمَ اللهُ مَعنَى لَفظِهَا قَسَمَا * قَلِّد إِذَا شِئتَ أَهلَ العِلمِ أَو فَقَسَل[1]

و يقول في مدح من استقبله في بلاطه، المعزّ بن باديس (406هـ-453هـ)، عند انتصاره :

وَ كَأَنَّمَا رَايَاتُهُ * مَشهُورَةَ يَومَ اقتِحَامِه

أيد تُشِيرُ إِلَى العَدُ * وِّ بِسلمِهِ أَو بِانهِزَامِه[2]

و قال معاصره عَبدالكَرِيم النَهشَلِي (ت405 هـ) في المدح، و لكن لم يذكر عن المعنيّ بالأمر شيئا :

أَلَا إِنَّمَا أَودَى بِصَبرِي حَاجَة * لَدَى رَأسِ نِيقٍ لِلتَعَذُّرِ أَيهُمَا

جَعَلَت إِلَيهَا إِذ تَنَاءَى مَحَلُّهَا * نَدى ابن أَبِي العَرَب المُؤمل سَلمَا[3]

و يقول في أخرى، مادحا بها باديس بن المعزّ، و هذا ما يبيّنه قوله :

أَبَت لَهُم أَن يَرتَضُوا الضَّيمَ أَنفُس * كِرَام رَأَت رَميا بِهَا المَوتَ أَحزَم

فَهَبُّوا وَ مَا هَابُوا الرَّدَى فَتَدَرَّعُوا * عَلَى خَطَرٍ قَطعا مِنَ اللَّيلِ مُظلِما

فَأَرسَلَ بَادِيسُ الهُمَامُ إِلَيهِم * مَعَ الخَاتِلِ الغَدَّارِ[4] جَيشًا عَرَمرَما

و منها أيضا :

---

[1]- ديوان ابن رشيق : م س ، ص 94 .

[2]- م ن : ص 176.

[3]- " المغرب العربي تاريخه و ثقافته" : م س ، ص 360.

[4]- يقصد بالخاتل الغدار : حماد بن يوسف بن زيري عم الأمير باديس الصنهاجي الذي غدر به، و انتصب أميرا في منطقة المسيلة حيث بنى القلعة.

وَ أَودى عَلَى حِين وَ أَودَى حُسَامَهُ * وَ أَقدَمَ حَتَّى لَم يَجِد متقدّمـــا

وَ لَو لَم يعَاجِلهُ الحِمَامُ أَبادهـــم * وَ لَكِن رِجَال أَسلَمُوهُ فَسَلَمَـــا[1]

و ما يظهر من خلال مدحه هذا، أن الممدوح كان في وسط معركة، حارب فيها الغدر و الطّغاة، فكان النّصر حليفه واستطاع أن يرجع الأوغاد على أعقابهم.

و قال أَبُو الفُتُوح بنَ مُحَمَد السُّوسِي[2] في مدح حَسن بنَ البُلبُل والي سوسة، و قد رفع عليه مالا :

دُم هَكَذَا دُم عَلَى رَغم العِدَى أَبَدَا * عُلَاكَ فِي اليَوم تَعلاَها عُلَاكَ غَـــدَا

قَد قَدَّرَ الله أَن تُعطي مُنَاكَ، وَ مَا * أَعطَى حَسُودَكَ إِلاَّ البَثَّ وَ الكَمَدَا[3]

و هذا إِسمَاعِيل بنَ إِبرَاهِيم أَبُو الطَّاهِر بنَ الخَازِن[4]، شاعر من شعراء بلاط المعزّ، يمدحه بقصيدة جميلة، و يذكر هديّة أتته سنة 420 هـ فيقول:

رَفِيعُ العِمَادِ وَرِيّ الزِّنَـــادِ * عَظِيمُ الرَّمَادِ هَنِيُّ القَـــرَا

وَ أَندَى بَنَانا من الزَّاخِـــرَاتِ * فَفَيضُ البحور لَدَيهَا حَسَـــا

. . .وَ أَنوَرُ وَجها مِنَ النَّيرِيـــن * إِذَا الخُطَب فِي مِضمَحَلٍّ دَجَـــا

[1]- م س : ص 360، و في الأنموذج القصيدة لابن الربيب ص 111-112 .

[2]- نشأ بسوسة (تونس)، و هو من أهلها. و شعره سهل وطيء لا يتكلفه لم يذكر شيئ عن ولادته أو وفاته.

[3]- "أنموذج الزمان ..." : م س ، ص 69.

[4]- شاعر البلاط الصنهاجي الزّيري،موطنه الزويلة،رملة المهديّة.له شعر جيّد(مجهول سنة الولادة و الوفاة).

. . . لِمِثلكَ تَهدِي مُلُوك الدُّنَـــــا * بِرَغمِ أُنُوفِهِم وَ الرِّضَـــــا[1]

رفعه إلى أعلى، و جعله مثالا للملوك بالرّغم عنهم. و قال ابن الرَّبيب[2] (ت 420هـ) في مدح مُحَمَد بنَ أَبِي العَرَب[3]:

وَ لَمَّا التَقَى الجَمعَانِ وَ استَمطَرَ الأَسَى * مَدَامِع مِنَّا تُمطِرُ المَوتَ وَ الدَّمَـــا

. . . تَصَدَّت فَأَشجَت ثُمَّ صَدَّت فَأَسلَمَت * ضَمِيرَكَ لِلبَلوَى عَقِيلَةُ أَسلَمَـــا[4]

و من خلال مطلع المقطوعة يظهر جليّا أنّه كان وسط معركة، إذ التقى الجمعان و ساد الموت و الدم أرض المعركة.

و قال الحَكِيم أَبُو الصَّلت (ت 520 هـ)، يمدح الحَسَن بنَ عَلِي بنَ يَحيَ بنَ تَمِيم (515هـ-566هـ) آخر الملوك الزيريّين الصنهاجيّين. يبدأها بذكر الشّيب و فقده لصباه :

عَذِيرِيَّ مِن شِيب أَمَاتَ شَبَابِي * وَ دَاعَ لِغَيرِ اللَّهوِ غَيرِ مجَـــابِ

فَقَدتُ الصِّبا إِلاَّ حَشَاشَة نَازِع * تَدَارَكتُهَا إِذ آذَنَت بِذَهَـــابِ

ثم وصف الخمر و ساقيته (الغزل) :

بِصَفرَاءَ مِن مَاءِ الكُرُومِ سَقيتُهَا * بِكَفِّ فَتَاة كَالغُلاَمِ كَعَـــابِ

وَ يُشرِقُ من خَلفِ الزُّجَاجَةِ نُورُها * كَمَا ذَرَّ قَرنُ الشَّمسِ دُونَ سَرَابِ

---

[1]- "أنموذج الزمان..." : م س، ص 82-83

[2]- هو أبو علي الحسن بن محمّد التّميمي القاضي التاهرتي،المعروف بابن الرّبيب،أصله من مدينة تيهرت،كان خبيرا باللّغة.من آثاره:"الأخبار و الأنساب"، عاش في كنف الزّيريّين إلى أن مات بالقيروان سنة 420هـ ؟. معجم أعلام الجزائر: م س،ص158.

[3]- هو أبو عبد الله محمّد بن أبي العرب الكاتب،تولّى عمالة إفريقيّة للمنصور الصنهاجي سنة 382ه،توفّي سنة 396ه في عهد باديس.

[4]- "أنموذج الزمان...": م س، ص 111-112

و هنا يصل إلى مدح الأمير الزّيري :

. . .لَقَد طَالَ ذَمّي الدّهرَ حَتّى أَقرّني * مِن ابنِ عَليّ في أَعَزّ خِصَـــاب

وَجَدتُ ذُرَاه الرّحبَ أَكرَمَ منـــزل * فَقَيّدتُ أَفرَاسِي بِهِ وَ رِكَابِـــي[1]

كما مدحه بقصيدة أخرى منها :

. . .أَمَا تَرَى ابن عَليّ حِينَ تَيَمّمَـــــهُ * حُبّ العُلَى كَيفَ لاَ يستنكر النّصَبَا

أَغَرّ مَا بَرِحت تَثنى عَزَائِمُـــــه * سَيفُ الهُدَى بِنَجِيعِ الشّركِ مُختَضَبَا

. . .لَو أَنّ أَيسر جُزء مِن مَحَاسِنـــــه * بِالغَيثِ مَا كَفّ أَو بِالبَدرِ مَا غَربَا[2]

و لقد مدح الحَسَن بن عَلِيّ بقصائد عدّة، و منها هذه و قد قالها سنة 517هـ بمناسبة خروج صاحب صقليّة إلى إفريقيّة، و قصد به المهديّة ، هذا مطلعها :

لِلفضِكَ يَهجُر الرّوضُ البَهيـــجُ * وَ دُونَ ثيابك المِسكُ الأَريـــــجُ

وَ أَنتَ الشّمس مَطلعها ذُرَاهَـا * وَ لَيسَ سوى الدّسُوتِ لَهَا بُـروجُ

وَ إِذا قُدِحَت زِنَادُ الحَربِ يَوما * وَ كَانَ لِنَارِ مَعرَكَة أَجِيـــــجُ

تَرَكتَ بِرَأيِكَ الأَبطَالَ فِيهَـــا * وَ مِن تَحت العجاج لَهَا عَجِيـجُ[3]

و في يَحي بن تَميم بنَ المُعِزّ (453هـ-515هـ) يقول :

. . .وَ سَقَى النّعِيمَ بِذَوبِهِ وَ جَنَاتِـهَـا * فَوَشَى بِهَا حُلَلَ الرّيَاضِ وَ دَبّجَا

---

[1]- "خريدة القصر و جريدة العصر": م س ، ص 232.

[2]- م ن: ص 233.

[3]- م ن : ص 245 [الدسوت : ج دست، و هي كلمة فارسية جرى استعمالها أخيرا بمعنى الديوان، و مجلس الوزارة أو الرياسة].

الآس أَخْضَرُ وَ الشَّقَائِقُ غَضَّـــة * وَ الأُقحُوان كَمَا عَلِمتَ مُفَلَّجَـا

. . .يَا مَن إِذَا نَطَقَ العلاء بِمَجـــدِهِ * خَرَسَ العَدُوّ مَهَابَة وَ تَلَجلَجَـا[1]

و قال ابن حَمدِيس الأندلسي في مدح أَبِي يَحيَ الحَسَن بن علي[2] من قصيدة عيديّة :

فَرَدَ المُصَلَّى فِي خِلَالِ مُعَظَّـــم * و وقار مُختَشِع وَ سَمتِ مُنيـب

بِعَرَمرَم رَكِبَت لِآجَالِ العِـــدَى * عقبان جَوّ فِيهِ أَسد حـــروب

عَقِدَ اللِّوَاءُ بِه عَلَى ذِي هَيبَـــة * حَالِي المناسب بِالكِرَامِ حَسِيب[3]

و قال في أخرى:

وَ بَلدَة لَطَمَت أَيدِي القِلَاصِ بِهَا * مِنهَا وُجُوهٌ قِفَار بُرقِعَت ظُلَمَـا

سَارَيتَ فِيهَا سُرَاة خِلتَهُم رَكِبُوا * رِبدَ النَّقَانِقِ فِيهَا أَينُقاً رُسُمَـــا

حَادَت بِهِم عَن بِقَاعِ المحَلِ جَانِحة * إِلَى بَنَانِ عَلِيّ تَطلُب الدِّيَمَـــا

مُمَلَّك بِرواق المَجدِ مُحتَجِـــب * لَهُ تَبَرُّجُ نُعمَى تَغمُرُ الأُمَمَـــا[4]

و في المَنصور بَن النَّاصِر بن عَلنَاس سادس أمراء بن حماد(481هـ-498هـ) يقول:

---

[1] - م س : ص 247 [دبّجا : وشى و زيّن]

[2] - هو الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي آخر ملوك الدولة الصنهاجية الزيرية. (أنظر المدخل).

[3] -م ن: ص 75-76، البيت الثّاني [شبّه الخيل بالعقبان،و الجند المحاربين عليها بالأسود].

[4] - "خريدة القصر...": ج2: م س، ص74-75 [القلاص:الإبل الفتيّة القويّة على السير،الرّبد: اللّون المغبر،*النقانق:ج نقنق، و هو ذكر النعامة، أو الخفيف من كل حيوان،* الأينق:النياق،* الرسم: التي تؤثر بأخفافها في الأرض بقوتها،* المحل: الجدب].

أَمُدَام عَن حَبَاب تَبتَسِـــــم * أَم عَقِيق فَوقَهُ دُرّ نَظـــــم

حَلّ قَصر المَجدِ مِنهُ مَلِـــــك * بَدِئ المَجدِ به ثُمّ خَتَـــــم

يَحتَبِي في الدَستِ مِنهُ أَسَـــد * وَ هِلَال وَ سَحَاب وَ عَلَـــم[1]

و قال عَلِي بنَ الزَيتُونِي[2] في بعض القضاة:

نَهَاهُ عَن مَحَارِمِهِ نهـــــاه * وَ قَرّبَهُ لِخَالِقِهِ تُقَـــــاه

وَ قَالَ اللهُ لَيسَ سِـــوَايَ رَبّ * وَ لَا لِشَرِيعَتِي أَحَدٌ سِـــوَاه

هُوَ البَر المعَطُوفُ عَلَى البَرَايَا * وَ بِالأَيتَامِ يَرحَمُ مَن أَتَـــاه

وَ شَدّ بِهِ عُرَى الإِسلَامِ حَتّـى * رَأَينَا النّجحَ وَ انعقدت عُـرَاه

أَمِين عَدله غَمَرَ البَرَايَـــا * فَمَا يُخشَى عَلَى أَحَد قَضَـاه

فَسِيح خَطوُهُ فِي كُلّ عِلـــم * وَ مَن ذَا يَقتَفِي أَبَدا خُطَـاه[3]

و لقد أشاد هنا برجاحة عقله و تقواه، و عطفه على اليتامى و كل النّاس، كما لم ينس عدله و كرمه و حزمه. فكانت المعاني الّتي نعتهم بها سامية ناطقة بشخصيّة رجل القضاء العادل. و تمادى في مدحه بأنّ الله عزز بهذا القاضي عُرى الإسلام.

---

[1]-" الأدب في عصر بني حماد ":م س،ص330.[حباب: بالفتح،الفقاقيع التي تعلو الماء، و هنا التي تعلو الخمر].

[2]- شاعر المغرب الأوسط (الجزائر) و أديبه، و هو صاحب توشيح (الموشح ظهر في ق 4ه)و توشيع (بالعين من محسنات الكلام) ، وتقصيد و تقطيع، و قد سار شعره غناء ا. في شعره روح دينية خالصة. " الأدب في عصر بني حماد ":م ن، ص152 الخريدة ج1،ص 213.

3-"خريدة القصر...":م س، ص213، و في كتاب " المغرب العربي تاريخه و ثقافته ":م س، ص 328-329(البيت السادس:مسيح خطوه في كل علم...)

و قال يُوسَف بن المُبَارَك[1] في مدحه موالي بني حماد:

هَنَاكُم النَصرُ وَ نَيْلُ النَجَاح * في يَومِكُم هَذَا بِسَمرِ الرِّمَاح
فَأنتُمَ الصِيدَ الكِرَام الأُلَى * شَادُوا العُلاَ بِالنَائِلِ المُستَمَاح
مَا مِنْكُم إلاَّ هُمَامٌ حَوَى * مَنَاقِبا جُلّى وَ مجدا صَرَاح
... وَ ترفَعُونَ الجَارَ فَوقَ السُّهَى * وَ تُكرِمُونَ الضَّيفَ مَهمَا استَمَاح[2]

و قد أجاد الشّاعر في الوصف بكرمهم و سجاياهم النّبيلة، و مجدهم، و شجاعتهم، و المحافظة على الجار و إكرام الضّيف، هذا كلّه عرضه بأسلوب متين، و نظم حسن.

و قال ابنَ أَبِي مَلِيح الطَبِيب[3] في عبد الله بن العزيز الحمادي (498هـ-515هـ) يصف احتفاله بالعيد:

... وَ قَامَ لِوَاءُ النَصرِ يَتبَعُ رَايَة * بِهَا العِزُّ مَعقُود عَلَيها مُتَمِّم
فَلَمَّا قَضَى حَقَّ الصَّلاَةِ مَعظِما * ثَنَى وَ الهُدَى فِي وَجهِهِ يَتَوَسَّمُ
فَلاَ زَالَ يَقضِي نَفلَهُ وَ فُرُوضَهَ * وَ بُرد عَلاَهُ بِالمَدَائِحِ مَعلَم[4]

[1]- شاعر آل حماد، الناطق بمفاخرهم.

[2]-" خريدة القصر... ":م س، ص 216، "المغرب العربي تاريخه وثقافته":م ن،ص329-330، و" الأدب في عصر دولة بني حماد ":م س، ص 156.[السهى أو السها: كوكب خفي من نبات، يمتحن الناس به أبصارهم].

[3]- طبيب ماهر، كاتب و شاعر، أتقن الكتابة الفنية و قرض الشعر الجميل،(مجهول تاريخ ولادته و وفاته).

[4]-"خريدة القصر... ": م ن ، ص217

و قال ابن النَحوِيّ[1] (ت 513هـ) يمدح فاس:

يَا فَاسُ مِنكِ جَمِيعُ الحُسنِ مسترق * وَ سَاكِنُوكِ أَهَنِيهِم بما رُزِقُـــوا

هَذَا نَسِيمُكِ أَم رُوحٌ لِرَاحَتِنَـــا * وَمَاؤُكِ السَّلْسَلُ الصَّافِي أَم الوَرَق ؟[2]

فكان المديح ثاني الأغراض الحائز على اهتمام الشّعراء، ولربّما رجع ذلك لظاهرة التكسّب الّتي طغت أو بالأحرى تطلّبتها ضرورة عيشهم في كنف الملوك. وهذه ما هي إلاّ طائفة من الشّعراء، التزمت بصفات اشتهر بها ملوك العصر.

3- الفخر:

و هو تمدّح المرء بخصال نفسه و قومه ، و التحدّث بحسن بلائهم و مكارمهم، و كرم عنصرهم و وفرة قبيلتهم، و رفعة حسبهم و نسبهم و شهرة شجاعتهم.

و يقف المتصفّح لبعض الكتب المتضمّنة للشّعر المغربي على أشعار فخريّة قليلة، أذكر منها: أولا، ما يخصّ العهد الفاطمي، بدءا بـ القَائِم بأَمر الله الخليفة الثاني (322هـ-334هـ)، الّذي قال في قصيدة يفخر فيها بنفسه و أهله، مطلعها:

سَلاَمٌ عَلَى آلِ النَبِيّ وَ رَهطِـــهِ * وَ شِيعَتِهِ أَهلِ النُهَى وَ الفَضَائِـلِ

. . . أَنَا ابن رَسُولِ اللهِ جَدِّي وَجَدِّهِم * إِذَا ذَكَرَ الأَقْوَامَ عِندَ التَفَاصُـــلِ

وَ مَفْخَرُنَا العَالِي عَلَى كُلِّ مَفخَـــرٍ * عَلَيهِ سَلاَمٌ بِالضُحَى وَ الأَصَائِـلِ

[1]- أنظر ترجمته في الملحق.

[2]- " الأدب في عصر بني حماد ": م س، ص308

... عَمّرت بِلاَدَ الغَرب بعد فَسَـادِه * وَ طَهّرتها مِن كُلّ غَاو وَ جَاهِـل[1]

و قال تَمِيم بن المُعِزّ الفَاطِمِي يفتخر:

أَنَا ابنُ المُعِزّ سَلِيلُ العُـــلاَ * وَ صِنوُ العَزِيزِ إِمَام الهُـــدَى

سَمَا بِي مَعَدّ إِلَى غَايَـــة * مِنَ المَجْدِ ما فَوقَهَا مُرْتَقَـــى

فَرُحْتُ بِهَا فَاطِمِيَّ الجَنَـــى * حُسَيْنِيَّة عَلَوِيّ الجَنَـــى[2]

و هنا يذكر رهطه من الخلفاء الفاطميّين: المعزّ و العزيز و معدّ، و لم يترك أحدا منهم إلاّ أشاد به و اعتزّ بانتمائه إليه، و قال مفتخرا بأبيه:

وَ كَانَ مِن كُلّ أَذى حِمَـــاه * ذَاكَ المُعِزُّ المَاجِـــدُ الأَوّاهُ

مَن لَم يَكُدّر مَنّه جَـــدوَاهُ * وَ لَم يُمَحّص إِثْمه تَقـــوَاهُ

وَ لَم تُغَيّر دِينَهُ دُنيـــاه * صَلّى عَلَيهِ اللهُ وَ اصْطَفَـــاهُ[3]

و يقول مفتخرا أيضا، ذاكرا الدّين و الكرم و العزيمة، مع الشّجاعة في الحروب:

نَحْنُ الذِينَ بِنَا الكِتَابُ مُنَـــزّل * وَ بنا يُجِيبُ اللهُ دَعْوَةَ من دَعَـــا

وَ لَنَا النَّدَى وَ لَنَا السَّدَى وَ لَنَا الهُدَى * وَ لَنَا الجَدَا وَلَنَا الرَّدى يَومَ الوَغَى

[1] "عيون الأخبار و فنون الآثار": م س،ص148-149 (القصيدة طويلة هذا مقطع منها) .

[2]-" تاريخ الأدب العربي ":عمر فرّوخ ،م س، ص533.

[3]-" نقائض ابن المعتز و تميم بن المعز ":م س،ص63.

وَ الحَازِمِينَ العَازِمِينَ شَهَامَـــــــة * وَ القَائِلِينَ الفَاعِلِينَ تَبَرّعَـــــا[1]

و من العهد الصنهاجي وجدت قول ابن أَبِي الرَجّال : يفخر بقبيلة شيبان، مشيدا بأمجادها منذ القديم ، و هم رهطه و قومه :

يَا آلَ شَيْبَانَ لاَ غَارَت نُجُومُكـــم * وَ لاَ خَبَت نَارُكُم مِن بَعدِ تَوقِيـــدِ

أَنتُم دَعَائِم هَذَا المُلك مُذ رَكَضَت * قَبلَ الخُيُولِ لِإِبرَام وَ تَوكِيـــــــدِ

سَيُوفكم أَفقَدَت كِسرَى مَرَازِبَـه * فِي يَومِ ذِي قَارِ إِذَا جَاؤُوا لِمَوعَود[2]

قلّت القصائد والمقطوعات في هذا الغرض، و كلّ ما وُجد كان افتخارا بالعشيرة و الأهل، متّخذين كلمات انسجمت و المعنى المراد لذلك.

4 – الغزل:

كان ولا زال واحدا من أغراض الشّعر البارزة، و قلماّ نجد شاعرا لم ينظم فيه.

و النماذج المؤكّدة على ذلك كثيرة، و هذا بعض منها يبين أن المغاربة نظموا في هذا الغرض؛ و هو يشغل إلى جانب الخمريّات حيّزا كبيرا من الشعر المغربي.

و يذهب عبد العزيز نبوي إلى أنّه "يكاد يخلو خلوّا من مظاهر المجون حتّى نهاية القرن الرّابع الهجري تقريبا."[3] و هذا الغرض لم يقتصر على النّساء فقط بل ظهر غرض جديد

[1] – م س: ص107

[2] –" المغرب العربي تاريخه وثقافته":م س،ص302.

[3] –« محاظرات من الشعر المغربي القديم » :عبد العزيز نبوي ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،(د،ط) ،1983،ص80

و هو التغزل بالغلمان، و نجد هذا الاتجاه في الشعر المغربي على العهدين. و منها: نبدأها دائما بالعهد الفاطمي.

قال ابن هَانِئ الأَندَلُسِي المَغرِبِي (ت 362هـ) في قصيدة مطلعها:

نَظَرْتَ كَمَا جَلَّت عَقَاب عَلَى إِرَمْ * وَ إِنّي لَفَرد مِثل ما انفَرَدَ الرَّئمَ[1]

و قال تَمِيم بن المُعِزّ (337هـ) ،وله غزل كثير:

بِنَيْلِ الجُفُونِ وَ سِحرِ العُيُونِ * وَمَيلِ الغُصُونِ كَمَيْلِ الرِّمَاحِ[2]

و له في أخرى:

يَا غَزَالاً إِذَا نَظَرَ * وَ قَضِيبًا إِذَا خَطَر

أنت عَلمتَ مُقلتي * رعية النَّجم وَ السَّهَر[3]

و له أيضا :

بِأَيّ وَجهٍ مَلِيحٍ * فِيهِ مَاءُ الحَسَنِ جَارَا

وَ لَهُ طَيْفٌ إِذَا مَا * لَجَّ فِي الهَجرَانِ زَارَ[4]

[1]-ديوان ابن هانئ: م س، ص343

[2]-« خريدة القصر... »:م س،ص171

[3]- م ن : ص 174-177.

[4]- م ن : ص 177.

وذكر له الحُصَري مقطوعتين، قال فيهما :

نَقَّبتَ وَجهَهَا بخزّ وَجَاءَت * بِمُدَامٍ منقّب بِزُجَاجِ

فَتَأَمَّلْتُ فِي النِّقَابَينِ منهَا * قَمَرا طَالِعا وَ ضَوءَ سِرَاجِ

و من غزله أيضا :

وَ من لِي بِصَبر أَستَزِلُّ بِهِ الحوى * وَ لَا جِلدِي طَوعِي وَ لَا كَبِدِي مَعِي

فَأَوَّلُ شَوقِي كَانَ آخِرَ سَلوتِي * وَ آخِرُ صَبرِي كَانَ أَوَّلَ أَدمُعِي[1]

و له في غلام اسمه مدام من قصيدة طويلة :

مُدَام يَطُوفُ بِكَأسِ المدام * فَلَم أَدرِ أَيُّهُمَا أَشرب

فَهَذَا الصَّدِيقُ وَ هَذِي الرَّحِيقُ * وَ هَذَا الهِلَالُ وَ ذِي الكَوكَب

. . .وَ مَا البَدرُ وَ النَّجمُ مِن ذَا وَ ذَاكَ * وَ لَاكِنَّهَ مَثَلٌ يُضْرَبُ[2]

و قال حَميد بن سَعيد بنَ يَحيَ الخَزْرَجِي[3] :

وَغَانِيَةٍ مَحيَاهَا * بِهِ نَغْنَى عَنِ السَّرَجِ

[1] - "زهر الآداب و ثمر الألباب" : ج2،م س ، ص 761-762.

[2]- "البيان المغرب..." : م س، ص 303.

[3]- من ندماء تميم بن المعز بن باديس بالمهدية، و شعرائه المجيدين في البديهة و الروية، و هو الذي جمع شعر الملك تميم، و نظم في عقد سلكه كل درّ يتيم.

لَوْ طَلَعَتْ عَلَى الْحُجَّا * جِ أَلْهَتْهُمْ عَنِ الْحَجِّ

أما العهد الصنهاجي فقد كان على غرار العهد الفاطمي، و الأمثلة على ذلك كثيرة . يقول ابنَ أَبي الرَجّال (ت 426هـ):

خَلِيلَيَّ إِن لَم تُسَاعِدَانِي فَاقْصُرَا * فَلَيْسَ يُدَاوَى بِالعِتَابِ المُتَيَّمِ

تُرِيدَان مِنّي النّسكَ فِي غَيرِ حِينِهِ * وَ غُصْنِي رَيَانٌ وَ رَأسِي أَسحَمُ[2]

و قال في أخرى يتغزّل فيها بفتاة حضارية :

غَرَّاء وَاضِحَة يَنُوسُ بِقُرطِهَا * جِيد حَكَى جيد الغَزَالِ الأَعْنَقِ

صَدَّتْ فَأَغْرَت بِالسُّجُومِ مَدَامِعِي * وَ العَينُ تَذْرِفُ بِالدُّمُوعِ السَّبَّقِ[3]

ومنها قول الحَسَن بن رَشِيق (ت 463هـ) ، و له في هذا الغرض مجموعة كبيرة:

وَ مُهَفْهَفٍ يَحْمِيهِ عَن نَظَرِ الوَرَى * غَيرَان سُكنَى المُلْكِ تَحتَ قِبَابِهِ

أَوْمَا إِلَيَّ أَنِ ائتِنِي فَأَتَيْتُهُ * وَ الفَجرُ يَرْمُقُ مِن خِلَالِ نِقَابِهِ[4]

و قال في سوداء :

دَعَا بِكِ الحُسْنُ فَاستَجِيبِي * يَا مِسك فِي صِبغَة وَ طِيب

---

[1]- "خريدة القصر..." : م س ، ص 187-188.

[2]- "المغرب العربي تاريخه و ثقافته": م س ، ص 301.

[3]- م ن : ص 301.

[4]-"ديوان ابن رشيق" : م س ، ص 27.

تيهي عَلَى البِيضِ وَاسْتَطِيلِي * تيه شَبَاب عَلَى مَشِيبِ

. . .فَإِنَّمَا النُّورُ عَن سَوَاد * فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَ القُلُوبِ[1]

و في النّسيب أو التشبيب،- طريقه يكون بذكر النّساء و أحوالهنّ -، له قصيدة مدح بها أَبَا الحَسَن بنَ أَبِي الرِّجَال هذا مطلعها:

قَد طَالَ حَتَّى خِلْتُهُ * مِن كُلِّ نَاحِيَةٍ وَسَط

وَ تَكَرَّرَت فِيهِ الْمنا * زل مِنهُ لاَ مِنِّي الغَلَطْ[2]

و في التغزّل بالغلمان ،يقول في غلام معمّم بعمامة حمراء :

يَا مَن يَمُرُّ وَ لاَ مُرُّ * بِهِ القُلُوبُ مِنَ الفرق

بِعِمَامَةٍ من خَدِّهِ * أَو خَدُّهُ مِنهَا استرق

فَكَأَنَّهُ وَ كَأَنَّهَا * قَمَر تَعَمَّمَ بِالشَّفَق

. . .شَغَلَ الخَوَاطِرَ وَ الجَوَا * رِحَ وَ المَسَامِعَ وَ الحَدَق[3]

و قال القَزّاز القَيْرَوَانِي[4] (ت 412) :

---

[1]- م س : ص 36-38-48-96.

[2]- م ن : ص 100.

[3]- م ن : ص 128-129.

[4]- عالم بالنحو و اللغة، كان مهيبا عند الملوك و العلماء و خاصّة النّاس، كان له شعر جيّد، توفي بالحضرة سنة 412هـ . عن عمر يناهز التسعين عاما كان أستاذا لابن رشيق . "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" : م س ، ص 365.

أَحِـــينَ عَلِمتِ أَنَّكِ نُورُ عَـــينِي * وَ إِنِي لاَ أَرَى حَـــتَّى أَرَاكِ

جَعَلتِ مَغِيبَ شَـخصِكِ عَن عِيَانِي * يُغِـــيبُ كُل مَخلُوقٍ سِوَاكِ[1]

و قال أُمَيَّة بن أَبي الصَّلت (ت 520هـ) في التغزّل بالغلمان (أو الغزل بالمذكر)، في غلام زنجيّ حسن الوجه سابح:

وَشَـــادِنٍ مِن بَـــنِي الزِّنـ * ـجِ سَـــــاحِرِ المُقْلَتَينِ

قَد حَـــالَ صيّر عَـــينَيـ * ـهِ بَينَ صَـــــبرِي وَبَينِي

أَبصَـــرتُهُ وَسَـــطَ نَهر * طَـــافٍ عَلَى الضِفَّتَينِ

فَقُلتُ أَســـــودُ عَينِي * يَعُـــومُ فِي دَمـــعِ عَينِي.[2]

و قال الكَاتِب الرَّقِيق النَدِيم[3]، دائما في الغزل :

لِلشَّمسِ مَا سَتَرَتْ عَنَّا مَعَاجِرَهَا * وَ لِلغَزَالِ احْـــوِرَارُ العَينِ وَ العُنُقِ

مَظـــلُومَةٌ أَن يُقَالَ البَدرُ يُشْبِهُهَا * وَ البَدرُ يُكْسِفُ أَحْيَانًا وَ يَنْخَسِفُ

و النّسيب من قصيدة يمدح بها مُحَمد بن أَبي العَرَب الكَاتِب :

أَظَـــالِمَةَ العَيْنَينِ لَحظُهُمَا السِّحرُ * وَ إِن ظَلَمَ الـــخَدَّانِ وَ اهْتَضَمَ الخَصْرُ

أَعُوذُ بِبَردٍ مِن ثَنَايَاكِ قَـــــد ثَنَى * إِلَيكِ قُـــــلُوبا حَشوُ أَثنَائِهَا جمر[4]

---

[1]- " النقد في المغرب العربي " : م س، ص 112.

[2]- "خريدة القصر...": م س ، ص 325 ،[الصّير : الحسن الصّورة و الشّأن].

[3]- مجهول سنة الولادة و الوفاة شاعر بني زيري. (سبقت الترجمة له).

[4]- "أنموذج الزمان ..." : م س ، ص 58-59.

و قال الملك أَبُو يَحي تَميم بن المُعز (453هـ-515هـ) ، في جارية نصرانيّة :

. . . وَ أَهـــوى لَفْظَكِ العَذبَ المَفدَى * إِذَا درَس الَذِي قَالَ المَسِـــيحُ

و في الغزل بالمذكر :

وَسَـــاقٍ قَد تَكَـــنَّفَه الحَيَاءُ * فَوَجـــنَتُه وَ قَهْوَتُه سَـــوَاءُ[5]

يَمُجُّ المِـــسكَ مِن ثَغرٍ نَقِيٍّ * كَأَنَّ رضَابَهُ خَمرٌ وَ مَـــاءُ[1]

و قال القَلْعِي الأَصَمّ :

بِمَا اسْـــتَرَقَّتْهُ مِن جُـــفُونِكَ بَابِلٍ * بِمَا عَلِمتَ مِن مُقْلَتَيْكَ المَنَاصِـــلِ

بِوَجْـــهِكَ مَاءُ الحُسْنِ فِي صَفَحَاتِهِ * كَذِكرِكَ مِنِّي فِي الضَـــمَائِرِ جَائِلُ[2]

و قال عَلِي بنَ مَكُولا الطِيبِي[3]:

أَلَا لَيتَ شِعرِي هَلْ مِنَ الدَّهرِ عَـــودَةٌ * لِيُقَرِّبَ نَاءٍ لَيـــسَ يُدرَى لَهُ أَينُ ؟

. . .لَعَلَّ الَذِي يَبلِي وَيَشْفِي مِنَ الأَسَـــى * يُعِيدُ الَذِي وَلَّى فَكُـــلٌّ بِهِ هَيِّنُ[4]

حاز الغزل أيضا على أهميّة كبيرة، و نظم فيه الشّعراء المغاربة ما لا يسعه المقام هنا لذكره. والجدير بالذّكر أنّه كان بعيدا عن الفاحش و العابث من الكلام .

---

[1]- "خريدة القصر ....": م س ، ص 168-172.

[2]-" الأدب في عصر بني حمّاد": م س،ص 250،[بابل:مدينة في العراق ،و بابل:السّاحر أيضا،ومنها العيون البابليّة السّاحرة].

[3]- مجهول التّاريخ من حيث ولادته و وفاته،وشعره قليل،عاش في كنف آل حمّاد،ولم يذكر بالضّبط في عهد من.له أسلوب سلس بليغ،وألفاظ جميلة رقيقة.

[4]-"الأدب في عصر بني حماد" م ن : ص 218.

5- اللّوعة و العتاب :

من العهد الفاطمي وجدت : أَبَا مَروَان عَبد المَلِك بنَ زِيَادَة الله الطِبْنِي[1] و جاءت مقطوعته هذه عبارة عن رسالة كتبها إلى ذي الوزارتين ابن زيدون شاعر الأندلس الشّهير، معاتبا إيّاه على نسيانه و إغفال زيارته له، قال :

أَبَا الوَلِيـــــدِ وَ مَا شَطَت بِنَا الدَّار * وَ قَلّ مِنَّا وَ مِنكَ الـــــيومَ زُوَّارُ

وَ بَيـــــنَنا لَكَ مَا تَدْرِيهِ مِن ذِمَم * وَ لِلصِـــــبَا وَرَق خُضر وَ أَنْوَار

وَ كُلّ عَتـــــب وَ أَعْتَاب جَرَى فَلَه * بَدَائِع حُـــــلْوَة عِندِي وَ آثَارُ

فَأَكْثِر ذِكرَ أَخِيـــــكَ كُلَّمَا لَعِبَت * بِهِ اللَّيَالِي، فَإِنَّ الدَّهـــــرَ دَوَّارُ[2]

و من العهد الصنهاجي الحَسَن بن رَشِيق (ت 463هـ)،قال المقطوعة ردّا على رسالة كتبها له "ابن شَرف" شعرا و هو بالمهديّة :

عِتَابًا عَسَى أَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَـــــتْبَى * وَ شَـــــكوى فَكَم شَكوى أَلَانَت لَهُ قَلبا

إِذَا لَمْ يَكُن إِلاَّ إِلَى الدَّمـــــع رَاحَة * فَلاَ زَالَ دَمْعُ العَيْنِ منهملا سَكـــــبا[3]

و في أخرى معاتبا القاضي جَعفر بن عَبد الله الكُوفِي:

وَقَدْ كُنْـــــتُ لاَ آتِي إِلَيك مُحَاتِـــــلا * لَدَيكَ وَ لاَ أُثْنِي عَلَيكَ تَصَنُّعَـــــا

وَلَكِن رَأَيـــــتُ المَدْحَ فِيكَ فَرِيضَـــــةً * عَلَيَّ إِذَا كَانَ المَدِيحُ تَطَوُّعَـــــا

---

[1]- ما ذكر بشأنه، أنه محدث و شاعر و أديب، مات في أواخر القرن الرابع الهجري

[2]-"المغرب العربي تاريخه و ثقافته" م س ، ص 266

[3]-"ديوان بن رشيق": م س،ص 40.

. . .فَوَ اللهِ مَا طَوَّلتُ بِاللَّوْمِ فِيكَـــــم * لِسَانا وَلَا عَرَّضتُ لِلذَّمِّ مسْمَـــعَا[1]

وقال أيضا، ولكن لم يذكر اسم الشّخص المعنيّ:

أَجِدْكَ لم أَجِد لِلصـــــــبْرِ بَابًا * فَتَدْخُلَهُ عَلَى سَعَةٍ وَضِـــيـــقِ

بَلى وأَقَلَّ مَا لاقَيتُ يسَـــــلِّي * وَلكِن لَا أَرَى عَتَبَ الصـــــدِيقِ

. . .فَإِن أَصبر فَعَن إِفْرَاطِ جَـــــهد * وَأَن أَقلَقَ فَحَسْبُكَ مِن قَـــلُوقِ[2]

وهذا عَبد الوَاحد بنَ فَتُوح الزَوّاق الكُتَامِي[3] يقول :

قَد كُنتُ أَحسَبُ عِلّيِينَ مَنْزِلَـــتِي * وَفِي وُدِّكُم وَإِذَا بي أَسْـــفَلَ الدَّرَكِ

يَا حُسنَ وُدِّي لو أَنِّي نَعِمتُ بِـــــهِ * فِيكُم وَفُزتُ بِحظّ غَير مُشْـــتَرَكِ[4]

وأخيرا وجدت امرأة في هذا العهد وهي خَدِيجة ابنَة أَحمَد بنَ كَلثُوم العَامِرِي[5] هو الشعر الوحيد الذي ذكر لها في اللّوعة العتاب:

فَرّقُوا بَيْنَنَا فَلَمّا اجْتَمَـــعنَا * فَرّقُونَا بِالزّورِ وَالبهْـــــتَانِ

مَا أَرَى فِعـــلَهُم بِنَا اليوم إلاّ * مِثلَ فِعلِ الشَيطَانِ بِالإِنسَـــانِ

---

[1]- "ديوان ابن رشيق": ص ق، 102 - 103.

[2]-م ن:ص 134.

[3]- المعروف بالمنبّر، و هو كتامي نشأ بتونس و بها تأدّب،وصف شعره بالقوّة و هو يركب ظهره و يخوض بحر الفكر (متمكّن منه)،و هو متكلّف فيه. مجهول سنة الولادة و الوفاة.

[4]-"أنموذج الزّمان...": م س،ص 231.

[5]- امرأة من أهل رُصافة،لقّبت بهذا اللّقب و اسمها خدّوج،شاعرة حادقة مشهورة على أيّام ابن رشيق.أحبّها شاعر من أهل الأندلس يدعى "أبا مروان"،ظهر له تشبّب بها،فغار لذلك إخوتها و قتلوه.مجهولة سنة الولادة و الوفاة و لم يذكر على عهد من كانت ولا شعر مدح لها. الأنموذج...:م ن،ص123.

لهف نَفسِي عَلَيكَ بَل لَهْفَ نَفسِي * حِينَ أَن بِنتَ يا أَبَا مَروَان

وكان مروان هذا، شاعرا أندلسيّا هفا إليها قلبه فغار لذلك إخوتها وفرّقوا بينهما، وفي ذلك كتبت لأخيها معاتبة :

أَ أَخِي الكَبِير وَسَيِّدِي وَرَئِيسِي * مَا بَالُ حَظِّي مِنكَ حَظٌّ نَحِيس

أَبغِي رِضَاكَ بِطَاعَة مَقْرُونَة * عِندِي بِطَاعَةِ رَبِّي القُدُّوس

يَا سَيِّدِي مَا هَكَذَا حَكم النُّهَى * حَقُّ الرَئِيسِ الرِّفقُ بِالمَرؤُوس

وَإِذَا رَضِيتَ لِي الهَوَانَ رَضِيتُهُ * وَرَأَيتَ ثَوبَ الذُّلِّ خَيرَ لَبُوس [1]

الإخلال بالوعود و الفرقة وغيرها، أثّرت على شعور الشّاعر و هزّته إلى حدّ العتاب. ولربّما تكون كلماته أكثر إبانة عن خلجات نفس صدمت بشيء لم تتوقّعه.

6-الهجاء :

نشأ الخصام والتنافس والحقد والعدوان مع بدء الوجود، ولمّا عمد الشّعراء إلى المبارزة والمناقضة نظروا إلى خصومهم من وجوه عدّة. فكان الوعيد والإنذار، و كان الذمّ والاحتقار و كان التنذر والاستهزاء، و كانت السخريّة و العتاب، والتأنيب. أخذ الطّريق إلى المهجوّ من خلال أخلاقه و كلّ ما يعيب فيه. فكان ولازال من أبرز الأغراض، وقد تعدّدت أصنافه واتجاهاته نتيجة لتعدّد البواعث .

[1]- م س: ص409.[النّهى = العقل، نحيس: بمعنى منحوس،أي غير محظوظ].

فالشّعراء المغاربة نظموا في هذا الغرض، وبعضهم كان يتورّع عن النظم فيه، ولكن هذا لا ينفي وجود بعض المقطوعات والقصائد فيه، ولكنّه لم يكن لاذعا كهجاء القدامى.

وتدخل في هذا الباب أهاجي الفاطميين وخصومهم من أهل السنّة،ومحاولة إقناع كلّ من الفريقين بمعتقد صاحبه.ومن هذا اللّون، الأرجوزة التي نظمها أبُو جَعفَر أَحمَد بَن المَرُوزِي[1] نظمها في والي مدينة نَكُور[2]،سَعيدبنَ صَالِح الذي وقف في وجه الفاطميين قال:

لَمَّا طَغَى الأَرْذَلُ وَابنُ الأَرذَلِ

في عُصبَة مِنَ الطِّغَامِ الـجُهَّلِ

قَالَ: نَكُور دُونَ رَبِّي مَعقِلِي

أَتَـاهُ مَحْتُومُ القَضَاءِ الفَيْصَلِ[3]

وقال ابن هَانِئ (ت 362هـ) في الوَهْرَانِي[4] كاتب الأمير جَعفر صاحب المسيلة:

كَاذِبُ الزَّعمِ مُستَحِيلُ المَـعَانِي * فَاسِدُ النَّظمِ فَاسِـدُ التَّأليـفِ

أَنتَ لَا تَغتَدِي لِتَدبِيرِ مُلـكٍ * إِنَّمَا تَغتَدِي لِرَغـمِ الأُنُوفِ

نِلتَ مَا نِلتَ لَا بِعَـقلٍ رَصِينٍ * في المَسَاعِي وَلَا بِرَأيٍ حَصِيفِ

[1] - شاعر العهد الفاطمي الأوّل،على عهد عبيد الله المهدي،(مجهول سنة الولادة و الوفاة)، و لم يذكر شيء بشأن حياته.

[2] - نكّور: مدينة مغربيّة ، تقع بين سبتة شمالا و فاس جنوبا،هي مدينة النّاظور حاليّا."تاريخ إفريقيا الشّماليّة":شارل أندري جوليان الدار التونسية للنشر،تونس،(د،ط)،1398هـ/1978م،ص94.(الخريطة).

[3] -"محاضرات في الشّعر المغربي القديم":م س،ص 77.

[4] - لم يكن هذا الشّخص من ممدوحي ابن هانىء،بل هو مهجوّه الوحيد،وأهاجي الشّاعر لا تعدو هذه القطعة الوحيدة.

إلى أن يقول:

أَنتَ فِي دَولَةِ الحَبِيـــبِ إِلَينَا * فَتَرَفَّق بِالمَاجِدِ الغَـــطرِيفِ

. . .كَيفَ صَاحَبتَهُ بِأَخـلاَقِ وَغـدٍ * لاَ يَنِي فِي يُبُوسَةٍ وَجـــفُوفِ [1]

وفي هذه القصيدة الطويلة، يتّهم ابن هَانِئ هذا الكاتب بالسعي لإبعاد جعفر عن الولاء الفاطمي. وهذا ابن زِنجْي الكَاتِب [2] في أهل السنّة وصراعهم مع الشيعة يقول:

سَقَى الغَيظَ فِي طِيِّ الضَّمِـيرِ المكتم * دِمَاء كِلاَب حُللت فِي الـــمُحَرَّمِ

فَلاَ أَرَقَّ اللهُ الدُّمُوعَ الَتِي جَـــرَت * أَسى وَجَوَى فِيمَا أُرِيقَ مِنَ الـــدَّمِ

ثمّ ذكر المهاجمين للرّوافض بالقيروان، ودعا عليهم وشتمهم فقال:

. . .وكُنَّا نَـــظُنُّ الكُفر فِي جَاهِلِيَّـة * فَتَعسا لِكُفر جَاهِلِيّ مُحَضْـــرَمِ

. . .لَقَدْ رَفَضْتُم كُلَّ أَرض وَبُقعَـــة * وَقَد صَرَخت مِنكُم بِقَاعِ جَهَنَّـــمِ [3]

ففي شعره هذا يبدو ساخطا على الشّيعة وأهلها.

ومن العهد الصنهاجي يقول ابن أَبِي الرِّجَال في لوم أصدقائه ولكنه لا يهجو بمعنى الهجاء اللاّذع، وإن لم يتعدّ النقد البريء:

وَ إِنِّي لَأُطرِي كُلَّ خل صُحـبَتَه * وَ أَنتَ تَرَى شَتمِي بِغَير حَـيَاء

---

[1] -"ديوان ابن هانىء":م س، ص214..217،[الغطريف:السيّد الشّريف].

[2] - كان شاهدا للصّراع العنيف بين أهل السنّة و أهل الشّيعة في مطلع القرن الخامس الهجري،و هو من شعراء أهل السنّة(مجهول سنة الولادة و الوفاة).

[3] - "المغرب العربي تاريخه و ثقافته":م س،ص251.

سَتَعلَمُ يوما مَا أَسَأْتَ لِصَاحِب * تكرِم أَخْلاَقِي وَحُسْنَ وَفَائِي[1]

و قال الحَسَن بن رَشِيق مع العلم أنه كان مسالما ،يتجنّب المخاطر ،و لم تكن له اليد الطّولى في ذلك ، و لم يهج غيره إلاّ قوله في أحد الخصوم :

يَا مُوجِعِي شَتْما عَلَى أَنَّهُ * لَو فَرِكَ البُرْغُوثُ مَا أَوْجَعَا

كُلٌّ لَهُ مِن نَفْسِه آفَةٌ * وَ آفَةُ النَّحْلَةِ أَن تَلْسَعَا

و قال يهجو رجلا اسمه فُرَات:

قَالوَا رَأَينَا فُرَاتَاً لَيسَ يُوجِعُهُ * مَا يُوجِعُ النَّاسَ مِن هَجوٍ بِهِ قُذِفَا

فَقُلْتُ لَو أَنَّهُ حَيٌّ لَأَوْجَعَهُ * لَكِنَّهُ مَاتَ مِنْ جَهْلٍ وَمَا عَرَفَا[2]

أمّا عَبد الكَرِيم النَهْشَلِي (ت 405 هـ) فإنّه لم يهج غيره قطّ ، وإنّما إشادته كانت تعبيرا عن وجهة نظره فقط ، يقول :

وَ لَستُ بِهَاجٍ فِي القُرَى أَهل مَنْزِل * عَلَى زَادِهِم أَبكِي وَأُبكِي البَوَاكِيَا

فَأَمّا كِرَام مُوسِرُونَ أَتيتُهُم * فَحَسبِي من ذُو عِندَهُم مَا كَفَانِيَا

وَ أَمّا كِرَام مُعسِرُونَ عَذَرْتُهُم * وَ أَمّا لِئَام فَادّخَرتُ حَيَائِيَا[3]

[1]- م س :ص 302

[2]- " ديوان ابن رشيق" :م س ،ص 104-117.

[3]- "المغرب العربي تاريخه و ثقافته": م س ، ص 295.

و قال أَبُو إِسمَاعِيل الكَاتِب[1] من أبيات له في ذمّ البخل :

قُلْ لِلبَخِيلِ : وَ إِن أَصبَحتَ ذَا سِعَةٍ * لَأَنتَ بِالبُخلِ فِي ضِـــيقٍ وَ إِقلَالِ

لَتَأسَفَنَّ عَلَى تَركِ النَّدَى نَدَمـــًا * إِذَا تَخَلَّيْتَ من أَهل وَ مِن مَـــالِ

وَ مَن رَأَى فِي العَلاَ من مَالِهِ عِوَضـــا * أَفضَى إِلَى خَيرِ أَعْوَاض وَ أَبـــدَالِ[2]

قلّت قصائد الهجاء عند الشّعراء المغاربة، فالظّاهر أنّهم ابتعدوا عن الكلام الفاحش؛ و وصفوا المهجوّ بما فيه، كالبخل و كثرة الأكل و الشّراهة و غيرها .

7- الرثاء :

و ظلّت للرّثاء حيويّته، و نشط الشعراء المغاربة نشاطا واسعا . و كثرت النّماذج المبيّنة لذلك، إذ لم يمت خليفة و لا وزير و لا قائد مشهور، إلاّ و أبنوه تأبينا، مع تصوير لبطولاتهم و محنة الأمّة و الجيوش في وفاتهم.

كما ظهرت ضروب جديدة في الرثاء لم تكن معروفة و لا مطروقة من قبل، و قد ظهرت على أرض المغرب فنون جديدة، و هي رثاء المدن حين تنزل بها كوارث النّهب و الحرق.

و كما هو معروف عن الرثاء، فهو تعداد مناقب الميّت، و إظهار التفجّع و التلهّف عليه، و استعظام المصيبة فيه، و من أمثلة قول بعضهم : نذكر شعراء العهد الفاطمي منهم :

[1]- كان شاعرا كتابيّ الشعر، نظيف الألفاظ لطيفها، غوّاصا في بحر الحكمة على درّ البديع، قليل المديح و الهجاء، و مجهول سنة الولادة و الوفاة، إلاّ أنّه من معاصري ابن رشيق.

[2]-" أنموذج الزمان ..." : م س ، ص 51

عُثمَان بن سَعِيد الصَّقِيل[1]: رثى المَهدِيّ بقصيدة، ظهر منها صدق وحزن، فبكى و جزع لهذا المصاب الأليم، و من قوله :

وَهت مرّة الصَـــــبرِ فَانْجَلَت * وَرِثَت عُرَى الحَزم فَاجْتَثَـــت

وَ أيّ سَبيلٍ إلَى سَلـــــوه * وَ أوعِيَةُ الدّمعِ قَد فَضَـــــت

وَ كَيفَ العَزَاءُ وَ قَد خُدِشَـــت * خُدُودُ الخَرَائِدِ وَ أَربَـــدَت

...فَأَومَأتَ أَرمُقُ نَحوَ السَّمَـــا * وَ أَرنُو إِلَيهَا هَـــل انْشَقَّت

...جَزِعتُ وَ قَدْ كُنتُ جَلدا عَلَـى * صُرُوفِ الخُطُوبِ إِذَا كَـــرَت[2]

و قال : أَبُو مُضَر الطِبنِي (ت 394هـ) يرثي وزير ابنَ عَامر[3] المقتول، و هو حَسن بن أَحمَد، و عزّاه عن مصابه فيه، هذا نصّها :

لاَ شَكّ أَنَّ سِجَالَ الحَربِ مُختَلِف * فِيمَا رَوَى النَّاسُ مُذ كَانُوا وَ مُذْ عُرِفُوا

هَوِّن عَلَيكَ فَنَصرُ اللهِ يَعقُبُـــه * يَا رَبّ كَرّه إِلَى المَحبُوبِ يَنصَـــرِفُ

يَا غُرّةَ السَّعدِ المَيمُونِ طَائِـــرُه * لاَ تَكتَرِث فَإِلَيكَ النَّصرُ يَنعَطِـــف[4]

وقال ابن هانئ في رثاء والدة جعفر[5] ويحي ابني عليّ، في قصيدة تنبئ عن إحساس عميق، ظهر من خلال كلمات صادقة في معانيها، فلندع له الكلمة إذ يقول:

---

[1]- شاعر من العهد الفاطمي، و هو من أهل القيران، لم يذكر شيئ عن و لادته أو وفاته

[2]- " عيون الأخبار و فنون الآثار " : م س ، ص 155-156-157.[القصيدة طويلة جدّا هذا مقطع منها].

[3]- ابن عامر/و يقصد الخليفة المنصور (334هـ-341هـ).

[4]- "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" : م س، ص 293

[5]- جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسية وأخوه يحي.

أَلاَ كُلّ آتٍ قَرِيبُ المَدَى * وَكُلّ حَيَاة إِلَى مُنتَهَى

وَمَا غَرَّ نَفْسًا سِوَى نَفْسِهَا * وَعُمْرُ الفَتَى مِن أَمَانِي الفَتَى

. . . خَلِيلَيَّ ! هَل يَنْفَعُنِي البُكَاءُ * أَوِ الوَجدُ لِي رَاجِع مَا مَضَى؟

. . . وَإِنَّ الَّتِي أَنجَبتَ لِلوَرَى * كَآلِ عَلِيّ لِأُمِّ الوَرَى[1]

وفي أخرى يقول، دائما في أمّهما:

صَدَقَ الفَنَاءُ وَكَذَبَ العُمْرُ * وَجَلَ العِظَاتُ وَبَالَغَ النّذرُ

. . . أَيّ الحَيَاةِ أَلَذّ عِيشتُهَا * مِن بَعدِ عِلمِي أَنَّنِي بَشَرُ؟

خَرَسَت لعمر اللهِ أَلسُنُنَا * لَمَّا تَكَلَّمَ فَوقَنَا القَدَرُ.[2]

وقال في ولد لإبراهيم بن جعفر بن عَلِي، مات في سن الخامسة :

. . . مَاتَ مَن لَو عَاشَ فِي سِرْبَالِهِ * غَلَبَ النُّورُ عَلَيهِ فَاتَّقَد[3]

وكان ناقما على الموت وعلى الزّمن الّذي في نظره لم يكن عادلا وأخذ هؤلاء الأشخاص، ولكّنه في ذلك يصدّق الفناء ويكذّب العمر الذي لا طائل منه. وأنّ القدر فوق الجميع، والنهاية كائنة لا محالة.

وقال تَميم بن المُعِزّ الفَاطِمِي يرثي أباه المعزّ:

---

[1]-"ديوان ابن هانئ": م س ، ص 27 .ومراثيه لا تعدوا الثّلاث،والملاحظ أنّها في أسرة بني حمدون فقط، وتتضمّن قصر الحياة، وحتميّة الموت مع قساوة الدّهر ثم يحثّ على التصبّر .

[2]-م ن: ص166.

[3]-م ن: ص120.

مَن يُعَزِّي الجِيَادَ أَم مَن يُسَلِّي * مَجلِسَ المَلكِ وَالسَّرِير الكَئِيبَا
فَقَدُوا بَعدَكَ القُلُوبَ اللَّوَاتِي * شَقَّهَا وَاجِب فَشَقُّوا الجُيُوبَا
وَامُعِزَّاهُ وَامَعِزَّاهُ حَتَّى * يَغتَدِي الدَّمْعُ بِالدِّمَاءِ خَصِيبَا
فَلْيَذُقْ غَيرِي الحَيَاةَ فَإِنِّي * لَا أَرَى لِلحَيَاةِ بَعدَكَ طِيبَا .[1]

وفي رثاء أخيه عبد الله قال كلمات وعبارات عكست عواطف الأخوّة العالية فوق العروش أو السّلاطين:

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الفَنَاءِ يَصِيرُ * وَالمَيَالِي تَعِلَّةٌ وَغُرُورُ .
. . .يَا أَخِي إِنْ بَكَتْكَ عَينِي فَإِنِّي * بِالبُكَا وَالأَسَى عَلَيكَ جَدِيرُ
. . .كُنتَ مِلْءَ الجُفُونِ نُورًا فَأَمسَت * مِلؤُهَا مَدمَعٌ عَلَيكَ غَزِيرُ
خَانَنِي بَعدَكَ التَّجَلُّدُ وَالصَّـ * ـبْرُ عَلَى أَنَّنِي الجَلِيدُ الصَّبُورُ[2]

عواطف صدرت من قلب وعين دمعت على أخ فارقه إلى الأبد وما عساه يفعل فالموت يأخذ ولا يرجع، هذه هي الحياة.

وقال: عَبد الرَّحمَن النَّفزِي القَيرَوَانِي[3] في رثاء شيخه أَبِي بَكر مُحَمد بنَ اللَّبَاد[4]:

---

[1]- "نقائص ابن المعتزّ وتميم بن المعز" : م س . ص64.

[2]- م ن: ص 64.

[3]- ولد بالقيروان وبها نشأ وطلب العلم من علمائها،فبرع في علوم الشريعة ،ألّف الرّسالة المشهورة للصّبيان وسنّه سبع عشرة سنة. شاعر مجيد، له كتاب" النوادر"، توفي بالقيروان سنة 386هـ. "كتاب الوفيات ":ابن قنفذ القسنطيني، منشورات للكتب،بيروت،ط 1 1971 ،ص221.

[4]- أبو بكر بن اللباد: ولد سنة 250هـ و توفّي سنة 333هـ، كانت منزلته في الفقه المالكي كبيرة، فصيح اللّسان. سجنه الشّيعة لغضبهم عليه. أشهر مؤلفاته:" فضائل مالك بن أنس" و " الحجة في إثبات العصمة للأنبياء "وغيرها.م ن،ص217.

يَطُولُ شَوْقِي إِلَى مَاغَابَ مَنظره * وَذِكْرُهُ فِي جَوَى الأَحْشَاءِ قَد سَكَنَا

لَهَفِي عَلَى مَيِّت مَاتَت بِهِ سُبُل * قَد كَانَ أَحْيَ رُسُومِ الدِّينِ وَالسُّنَنَا

. . .فَتَى اسْتَنَارَ بِهِ الإِسْلاَمُ فِي بَلَد * لَوْلاَهُ مَاتَ بِهِ الإِسلاَمُ وَ انْدَفَنَا [1]

ومن العهد الصنهاجي نجد أكثر الشعراء إذ لم نقل كلّهم نظموا في هذا الغرض منهم:

عَبد الكَرِيم النَهشَلِي (ت 405هـ)،يقول في رثاء عِيسى بنَ خَلَف صاحب خراج المغرب، مات بسبب دواء تناوله:

مَنَايَا سَدَّدَت الطُّرق عَنهَا وَلَمْ تَدَع * لَهَا مِن ثَنَايَا شَاهِق مُتَطَلِّعَـــا

فَلَمَّا رَأَت سُورَ المَهَابَةِ دُونَهَـــا * عَلَيكَ وَلَمَّا لَم تَجِد فِيكَ مَطْمَعَا

. . .فَجَاءَتكَ فِي سِرِّ الدَّوَاءِ خَفِيَّـــة * عَلَى حِين لَم تَحْذَرَ لِدَاء تَوَقَعا [2]

وهذا الحَسَن بنَ رَشِيق (ت 463هـ) يرثي أحدهم ولكن لم يذكر اسمه،وكأنّها حكم صبّها على شخصه:

المَنَايَا حَتم فَطُوبَى لِنَفس * سَلَّمَت بِالرِّضَى لِحُكمِ القَضَاءِ

لَو بودّي قَتَلتُ نَفسِي لأَلقَا * هُ وَلَكِن خشيت فَوتَ اللِّقَاءِ [3]

وقال في التعزّي :

رَأَيتُ التَعَزِّي مِمَا يهيج * عَلَى المَرءِ سَاكِنَ أَوْصَابِه

---

[1]- "عنوان الأريب ...":م س، ص34.

[2]-" المغرب العربي تاريخه و ثقافته": م س، ص 359 .

[3]-الديوان: م س، ص23.

وَمَا نَالَ ذُو أُسْوَة سَلوَة * وَلكِن أَتَى الحُزن مِن بَابِهِ[1]

والأمثلة على رثائه للأشخاص كثيرة، ملئت ديوانه، ومنها يرثي قاضي بلدة المحمديّة طاهر بن عبد الله، وقد بلغه أمر وفاته بالقيروان منها:

...فَقَدَ نَعَى مِلءَ أَفوَاهٍ وَأَفئِـــدَةٍ * وَقَد نَعَى مِلءَ أَبصَار وَأَسْمَاع

أَمَّا لَئن صَحَّ مَا جَاءَ البَرِيدُ بِهِ * لَيكثرَنَّ مِنَ البَاكِينَ أَشْيَاعِـــي

يَا شُؤمَ طَائِرِ أَخبَار مُبَرِّحَـــة * يَطِيرُ قَلبِي لَهَا مِن بَينِ أَضْلاَعِي[2]

ويظهر من هذه المقطوعة تألّمه وحسرته على فقدان شخصيّة مثله، ويرمي بسخطه وشؤمه على ناقل الخبر،فجزع لذلك.

وفي المعزّ يقول:

لِكُلِّ حَيٍّ وَإِن طَالَ المَدَى هلك * لاَ عِزُّ مُلكِيَةٍ يَبقَى وَلاَ مَلِـــــك

...وَلَّى المُعِزُّ عَلَى أَعقَابِهِ فَرَمَـــى * أَو كَادَ يَنهَدُّ مِن أَرْكَانِهِ الفلـــك

...مَا كَانَ إِلاَّ حُسَامًا سَلَّهُ قَـــدَر * عَلَى الَّذِينَ بَغَوا فِي الأَرضِ وَانهمكوا[3]

وقال ابنَ شَرَف القَيْرَوَانِي[4] في رثاء مدينة القيروان، ويبكي زمانه بها،منها:

يَا قَيْرَوَان وَدِدْتُ أَنِّي طَائِـــر * فَأَرَاكِ رؤية بَاحِثٍ مُتَأَمِّـــل

1- ديوان ابن رشيق، م س، ص 28

2- م ن: ص106 .[ومراثيه الأخرى، ص 110- 123]

3- م ن: ص137.

4- مجهول سنة الولادة،توفي سنة 461هـ ،(أنظر الفصل الأول).

يَا لَو شَهِدت إِذَا رأَيتك في الكَرَى * كَيفَ ارْتِجَاعُ صِبَاي بعد تَكَهُّل

لاَ كثرة الإِحْسَانِ تُنسِي حَسرَتِي * هَيْهَاتَ تَذهَب عِلِيق بِتَعَلُّـل.[1]

وفي رثاء المدن نجد لابنِ رَشِيق قصيدة طويلة يندب فيها القيروان و يبكيها، مطلعها:

كَمْ كَانَ فِيهَا مِنْ كِرَامٍ سَادَةٍ * بِيضِ الوُجُوهِ شَوَامِخِ الإِيمَانِ[2]

وقال أَبُو الصَّلت الوافد على أرض المغرب في أمّ عليّ بن يحي:

تُضَايِقُنَا الدّنيا وَنَحن لَهَا نهب * وَتُوسِعُنا حَربا وَنَحنُ لَهَا حَـــرب

... أَلاَ إِنَّ أَيَامَ الحَيَاة بِأَسرِهَـــا * مَرَاحِل نَطْوِيهَا وَنَحنُ بِهَا ركَـــب

...وَلم أَرَ يَوما مِثلَ يَوم شَهِدتُـــهُ * وَقَد غَابَ حُسنَ الصَّبرِ واسْتَحْوَذَ الكَرب

فَلاَ قَلب إِلاَّ وَهُوَ دَام مُفَجَّع * وَ لاَ دَمع إِلاَّ وَ هُو مُنْهَمل سَكـــب[3]

و قال ابنَ الرَّبِيب: (ت 420هـ)، يرثي المنصور بن مُحَمد بن أَبي العَرَب:

يَا قَبْرُ لاَ تَظْلِمْ عَلَيهِ فَطَالَـــمَا * جَلَّى بِغُرَّتِهِ دُجَى الإِظلاَم

أعجب بِقَبْرٍ قَيس شِبْرٍ قَد حَوَى * لَيْثاً وَبَحرَ نَدى وَبَدْرَ تَمَام[4]

هنا وكأنه يخاطب القبر أن لا يضيق عليه و لا يظلم.

---

[1]- "عنوان الأريب..." : م س، ص 57.

[2]- الديوان: م س، ص204.(أنظر القصيدة في الملحق).

[3]-"خريدة القصر...":م س،ص334-335

[4]-"أنموذج الزمان...": م س، ص114.

غرض اقترن بالمدح و كان في نفس مرتبته، يذكر الشّاعر فيه صفات الشّخص الميّت و يؤبّنه بكلمات تدلّ على تأسّف الشّاعر.إلى جانب رثاء المدن، وفيه نظمت أجمل القصائد .

8 - الشعر الديني:

* المديح النّبوي:

وجدت من خلال تصفّحي لبعض المراجع والدّواوين أشعارا دينيّة كثيرة، وخاصّة في الزّهد، في حين تقلّ المدائح النبويّة والتصوّف، فلربّما يرجع ذلك إلى ضياعها . ولأنّ الثّقافة الدّينية في المغرب كانت موجودة، فمن الطّبيعي أن ينظم الشعراء في هذا الغرض . و لم يصلنا إلاّ مديح واحد هو للشّاعر يَحيَ الشَقْرَاطِسِي التُوزْرِي[1] (ت 466هـ)،وهي قصيدته اللاّميّة المشهورة، ضمّنها سيرة الرّسول ﷺ تلميحا وتصريحا، مطلعها:

الحَمْدُ لِلهِ مِنّا بَاعِثُ الرُّسُـــــل * هَدى بِأَحمَدَ مَنّاً أَحْمَد السُبُـــل

خَيرُ البَرِيّةِ مِنْ بدو وَمن حَضَـــــر * وَأَكْرَمُ الخَلقِ مِن حَاف وَمُنتَعِـــل

توراث مُوسى أَتَت عنه فَصَدّقهَـــا * إِنجِيلُ عِيسَى بِحَقّ غَيْرُ مُفْتَعَـــلِ

أخبار أَحبار أَهل الكُتُبِ قَد وَرَدَت * عَمّا رَأَوا أَو رَوَوا فِي الأَعْصُر الأَوَّلِ[2]

[1]- أبو محمد عبد الله بن أبي زكرياء يحي ولد بتوزر وبها نشأ، برع في العلوم فكان إماما في العلوم العربيّة والحديث والفقه، له كتاب "الأعلام في معجزات خير الأنام"، كان شاعرا مفلقا.الأريب...:م س،ص42.

[2]- "عنوان الأريب ...":م ن ، 43 .

* التصوّف :

في العهد الفاطمي نلتقي بـ: ابنَ سَهل الصُوفِي القَيْرَوَانِي[1] (ت 333هـ):

يا مَن أَذَابَ فُؤَادِي فِي مَحَبَّتِه * وَأَضرم النَّارَ فِي قَلبِي وَأَحشَائِي
مَا إِن ذَكَرتُكَ إِلاَّ كُنتَ فِي كَبِدِي * بِمَوضِعِ المَاءِ مِن قَلبِي وأَعضَائِي
وَلاَ ذَكَرتُكَ فِي قَومٍ أَسَرَّ بِهِم * إِلاَّ وَجَدْتَ لِهَيبًا بَينَ أَمعَاءِي
وَلاَ هَمَمتُ بِشُربِ المَاءِ مِن عَطَشٍ * إِلاَّ وَجَدتُ خَيَالاً مِنكَ فِي المَاءِ[2]

ومن المتصوّفة في العهد الصنهاجي: ابنَ النَحْوِي التُوزْرِي[3] (ت 513هـ)،إذ يقول:

سَأُثنِي عَلَى المَولَى بِمَا هُوَ أَهلُه * وَهَل يَستَطِيع العَبْد يثني عَلَى المَولَى؟
بَلَى ، كَلّ مَن لاَ يَستَطِيع فَإِنَّهُ * مِنَ الأَدَبِ المَحمُودِ أَن يتبع الأَولَى
فَسُبحَانَ مَن لاَ خَاطِر يَبلغ المَدَى * مَدَى مَدحِهِ فِي العَالَمِينَ وَلاَ قَولاَ
. . .وَسُبحَانَ مَن فَوَّضتُ أَمرِي كُلَّهُ * إِلَيهِ فَلَم أَرهَب عَلَى حَالَة هَولاَ[4]

وفي قصيدته المشهورة " المنفرجة " يقول:

اشْتَدِّي أَزْمَةُ انفَرِجِي * قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

---

[1]- هو أبو عبد الله محمّد ،كان عالما شاعرا،تنسّك في كبره،و اتّخذ نوالا في المقبرة يتعبّد فيه، ثمّ لزم بيته إلى أن توفي.

[2]-م س:ص32. و المدائح النبويّة من فنون الشّعر الّتي أذاعها التصوّف،فهي تعبير عن العواطف الدّينيّة، و تصدر عن قلوب مفعمة بالصّدق و الإخلاص.

[3]- هو أبو الفضل يوسف بن محمّد بن يوسف و يعرف بابن النّحوي التّوزري القلعي، دخل المغرب سنة 394هـ (أنظر ترجمته في الملحق).

[4]-"الأدب في عصر بني حمّاد": م س، ص305.

وَظَلاَمُ اللَّيْلِ لَهُ سُرُج * حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ [1]

وهي طويلة يقرأ قبلها قوله من نظمه:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَ النَّاس قَدْ رَقَدُوا * وَ قُمتُ أَشْكُو إِلَى مَولاَيَ مَا أَجِد

وَ قُلتُ يَا سَيِّدِي يا مُنتهَى أَمَلِـــي * يَا مَن عَلَيهِ بِكَشْفِ الضَرِّ أَعْتَمِدُ

أَشْكُو إِلَيكَ أُمُورًا أَنتَ تَعلمهـــا * مَا لِي عَلَى حَمِلِهَا صَبر وَ لاَ جَلَدُ

وَ قَد مَدَدْتُ يَدِي بِالضَرِّ مُشْتَكِيـا * إِلَيكَ يَا خَيرَ مَن مُدَّت إِلَيهِ يَـدُ [2]

* الزهد :

و النّماذج كثيرة :فمن العهد الفاطمي نجد الحَسَن بنَ مُحَمَد القَلاَنِسي القَيْرَوَانِي [3] (ت 327هـ)، الذي يقول :

اعمَل وَ أَنتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى خَطَر * وَاعْلَم بِأَنَّكَ بَعدَ المَوْتِ مَبْعُـــوثُ

وَاعلَم بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِن عَمَـــل * يُحْصَى عَلَيكَ وَ مَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثُ [4]

و من العهد الصنهاجي نجد قول أُمَيَّة بنَ عَبد العَزِيز و قد أوصى أن يكتب على قبره، و هو آخر شعر له :

[1] -"عنوان الأريب...":م س، ص50، "الأدب في عصر دولة بني حمّاد":م س، ص287.(أنظر القصيدة كاملة في الملحق).

[2] -م ن:ص 51.

[3] - نشأ بالقيروان، و طلب العلم و الأدب، كان فقيها و عالما و شاعرا.

[4] - م ن : ص 31.

سَكَنتُكِ يَا دَارَ الفَنَاءِ مُصَدِّقَا * بَانِي إِلَى دَارِ البَقَاءِ أَصِيرُ

وَ أَعْظَمُ مَا فِي الأَمرِ أَنِّي صَائِرٌ * إِلَى عَادِلٍ فِي الحُكمِ لَيسَ يَجُورُ

فَيَا لَيتَ شِعرِي كَيفَ أَلقَاهُ عِندَهَا * وَ زَادِي قَلِيلٌ وَ الذُّنُوبُ كَثِيرُ

. . . وَ إِنَّ يَكُ عَفوٌ مِنهُ عَنِّي وَ رَحمَةٌ * فَتَمَّ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَ سُرُورُ[1]

و قال عُلي بنَ حَبيب التَنُوخِي[2]:

لِلمَرءِ فِي أَيَّامِه واعِظٌ * لَو فَكَّرَ المَغرُورَ فِي أَمسِهِ

كَم مِن قَرِيرِ العَينِ فِي غِبطَةٍ * أَعداهُ صَرفُ الدَّهرِ عَن لُبسِهِ

. . . يَا رَبِّ غُفرَانَكَ يَرجُو الَّذِي * أَسرَفَ فِي الدُنيَا عَلَى نَفسِهِ[3]

و قال أَبُو حَفص عُمَر اليَدُوخ[4]،ذاكرا الموت و المعاد :

يَا رَبِّ سَهِّل لِي الخَيرَاتِ أَفعَلُهَا * مَعَ الأَنَامِ بِمَوجُودِي وَ إِمكَانِي

فَالقَبرُ بَابٌ إِلَى دَارِ البَقَاءِ فَمَن * لِلخَيرِ يَغرِسْ أَثمَارَ المُنَى جَانِ

. . . يَا ذَا الجَلَالَةِ وَ الإِكرَامِ يَا أَمَلِي * اختِم بِخَيرٍ وَ تَوحِيدٍ وَ إِيمَانِ[5]

و قال ابن حَمدِيس الصِقِلِّي (447هـ):

---

[1]- "الأريب..." :م س، ص 59

[2]- ولد في صفاقص و بها نشأ و برع في الأدب و العلم، و هو شاعر عذب الألفاظ، سهل الطريقة، قليل التكلّف، (مجهول سنة الولادة و الوفاة).

[3]- م ن : ص 45

[4]- لم يذكر عنه شيئ، سوى أنه شاعر الحماديّين.

[5]- "الأدب في عصر بني حماد" : م س ، ص 259

يَا ذُنُوبِي ثَقُلَت وَ الله ظَهري * بِأَنَّ عُذرِي فَكيفَ يُقبَلَ عُذرِي

كُلَّمَا تُبت سَاعَةً عُدْتُ أُخرَى * لِضُرُوبٍ مِن سُوءِ فِعلي وَ هَجرِي[1]

أغراض تطلّبتها الأخلاق الدّينيّة و الإيمان الصّادق، النّابع من نفس مؤمنة تتذكّر الموت و المعاد؛ و تحمد الله على نعمه،و تستغفر، و تنصرف عن شهوات الدّنيا .

9 – موضوعات أخرى :

نظم شعراء المغرب خلال العهدين في عدة أغراض أخرى منها : الشّكوى، الاعتذار و الحكم و النّصائح و الحنين. و فيما يلي حديث موجز عن بعض تلك الأغراض و الموضوعات.

أ – الشكوى : قال ابنَ النحوِي (ت 513 هـ)–العهد الصنهاجي– يشتكي من زمانه و من أهله :

أَصبَحَتَ فِيمَن لَهُ دِينٌ بِـــلَا أَدَب * وَ مَن لَهُ أَدَب عَار مِنَ الدِّيـــنِ

أَصبَحتَ فِيهِم غَرِيبَ الشَّكلِ مُنفَرِدًا * كَبَيتِ حَسَّانِ فِي دِيوَانِ سَحْنُونِ[2]

يشير لبيت ذكره الإمام سحنون في الجهاد من مدوّنته و قد أشار إليه محمّد النّيفر في كتابه :

وَ هَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لـــــوِيّ * حَرِيقٌ بِالبويرة مُستَطـــــير

[1]–"الدّولة الحمّاديّة .."،م س،ص182.

[2]–" عنوان الأريب..." : م س ، ص 52

و قال أَبُوبَكر يَحي بْن بُقّي القُرطُبي : (ت 540هـ) من قصيدة يشكو أهل المغرب، و قد ذمّ عندهم مثواه واصفرّت من نائلهم يداه :

أَقمت فِيكُم عَلى الإقتار وَ العدم * لَو كُنت حُرًّا أَبِيَّ النَّفْس لَم أَقُم
وَ ظَلَلْتُ أَبكِي لَكُم عُذرا لَعَلَّكُم * تَستَيقِظُونَ، وَ قَد نِمتُ عَنِ الكَرَم
فَلاَ حَدِيقَتُكُم يَجنَى لَهَا ثَمَـــر * وَ لاَ سَمَاؤُكُم تَنهَلُّ بِالدِّيَـــم[1]

و قال حَمّاد بنَ عَلِيّ المُلَقَّب بِالبَيِّن[2]: متوجّعا من الآلام التي كابدها في غربته :

لَم أَشْتَكِ مَا أَرَابِ مِنَ الدَّهـــرِ * وَ قَد ضَاقَ بِي عَن حَمِلِ أَيسَرِهِ صَدْرِي
أَرَانِي قَد أَصبَحتُ فِي قُطرِ بَاجَةَ * غَرِيبًا وَحِيدًا فِي هَوَان وَفِي قَهـــرِ
فَقِيرا لِمَن قَد كُنت أَغنَى بِنَيلِـــهِ * وَ أَنعَمَ فِي أَيَّامِهِ مُدَّةَ العمـــــر[3]

ب - الاعتذار:

نجد الفَزَّارِي[4] يقول في قصيدة، دخل بها تائبا إلى المنصور بالله، مستغفرا معتذرا:

لَعَمرُكَ مَا أَوس ابنُ سَعد بِقَومِهِ * وَلاَ سَيِّدَ الأَوبَارِ قَيس بن عَاصِم
. . . بِأَمنَعَ مِنِّي فِي جِوَارِ خَلِيفَـــة * عَطُوف عَلى أَهلِ البُيُوتَاتِ رَاحِم

---

[1]- "خريدة القصر..": م س ، ص 140-141

[2]- لم تذكر نشأته ولا تاريخ وفاته، و يبدو أنّه عاش في عصر" العزيز بن منصور" و أدرك دولة ابنه" يحي الحمادي". شاعر جزائري من أهل المائة السادسة للهجرة، كان حيا قبل سنة 561هـ. "معجم أعلام الجزائر":م س،ص52.

[3]-"الأدب في عصر دولة بني حمّاد":م س،ص164.

[4]- مجهول سنة الولادة والوفاة، المذكور عنه أنه شاعر المنصور بالله، الخليفة الفاطمي الثالث.و لم يذكر صاحب الكتاب اسمه بالكامل.

. . .وَكَذبت أَطْمَاع البُغَاةِ فَأَدْبَـرُوا * لِأَعْقَابِهم مَا بَينَ خَازِ وَنَـادِم[1]

جـ - الحكم و النصائح :

وجدت الحَسَن بنَ رَشِيق يقول في أبيات :

خُذِ العَفْوَ وَائْبَ الضَّيْمَ وَاجْتَنِب الأَذَى * وَ أغضِ تَسُد وَارْفُق تَنَل وَاسخ تُحْمَد[2]

و قوله :

فِي النَّاسِ مَن لاَ يُرْتَجَى نَفْعُهُ * إِلاَّ إِذَا مُسَّ بِأَضْـرَار

كَالعُودِ لاَ يُطْمَعُ فِي طِيبِـهِ * إِن أَنْتَ لَم تَمْسَسهُ بِالنَّـارِ[3]

وهذه في الناس عديمي النّفع ، لا يصلحون لشيء، إلاّ إذا دفعتهم.

وقال أَبُو الحَسَن الأَشُونِي الأَندَلُسِي في النّصح:

إِذَا صَدِئَت مِرْآة فِكْرِكَ فَأجلها * بِرَأي أَخِي نصح مُصِيب يُقَرْطِسُ

وَلاَ تُضَمِّن رَأْيًا مِنكَ دُونَ مَشُورَة * فَإِنَّ اقْتِرَانَ الرَّأي بِالرَّأي مَـدوس[4]

وهذا في معنى الأخذ برأي الآخرين، ومحاولة ذمج أفكاره بأفكارهم .

وقال أَبُو بَكر مُحَمَّد بنَ سَعْدُون[5] (ت 344هـ) في النّصح:

---

[1]- "عيون الأخبار و فنون الآثار " : م س، 308، 309، 310.

[2]- الديوان : م س ، ص 65.

[3]- "المغرب العربي تاريخه و ثقافته" : م س ،ص 317

[4]-م ن : ص332 .[يقرطس:يصيب، مدوس:آلة صقل.]

[5]- التميمي إمام جامع القيروان، أخذ عن شيوخ المشرق، كان فقيها عالما بالأدب صالحا، توفي وعمره 76سنة .

سِجنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلفَتَى * مِن كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِيصَال

إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَلتَ عُقَالَـــه * أَلقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيْسَ تُقَالُ

ومن قوله:

الخَيْرُ أَجْمَعُ فِي السُّكُوتِ * وفِي مُلَازَمَةِ البُيُـوتِ

فَإِذَا تَهَيَّـــأَ ذَا وَذَا * فَاقْنَع إِذًا بِأَقَلِّ قُوتِ[1]

د - الحنين والشوق:

قال عَلِيّ بنَ أَبِي الرَجَّال في شوقه إلى القيروان وأهله:

وَلِي كَبِد مَكْلُومَةٍ فِي فِرَاقِكـــم * أَطَا مِنهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجَنَّت

تَمَنَّتكُم شَوقًا إِلَيكُم وَصَـــبوة * عَسَى اللهُ أَن يُدنِي لَهَا مَاتَمَنَّت

وَعَين جَفَاهَا النَّومُ وَاعْتَادَهَا البُكَا * إِذَا عَنَّ ذِكر القَيْرَوَان اسْتَهَلَّت[2]

وقال الحَسَن بنَ رَشِيق، - ولكن لم يذكر لمن- :

مَن ذَا يُعَالِجُ عَنِّي مَا أُعَالِجُـــه * مِن حَرِّ شَوقٍ أَذَابَ القَلبَ لاَ عِجه

وَمَن يَكُن لِرَسِيسِ الشَّوقِ دَاخِلُهُ * يَكُن لِفَرْطِ الضَّنَى وَالسُّقْمِ خَارِجه[3]

[1] - "عنوان الأريب..." م س، ص32.

[2] - م ن: ص58

[3] - الديوان: م س، ص47.

وبهذا، فإنّ المغاربة على العهدين نظموا في كلّ الأغراض التّي ظهرت في الشّعر العربيّ، وذهبوا بشعرهم إلى مختلف الأجناس، ودخلوا عالم الطّبيعة فاستنبطوا منها جمال أقوالهم، وعبّروا عنها بتعبير جميل. فالمغاربة الشعراء لم يكونوا أقلّ شأنا من غيرهم. وفي كل ذلك، أدّى الملوك دورهم في تشجيع الشعر، لأنّه كان وسيلة إعلاميّة بالنّسبة لهم، تروّج أفكارهم وتدافع عن مذهبهم.

وما ذُكر من شعرهم في هذه الصّفحات ما كان إلاّ قطرة من بحر مترامي الأطراف، يتضمّن أجمل الأشعار و أسمى العبارات؛ اخترتها و إن كان الاختيار صعبا لجودتها و جمال عباراتها.

الفصل الثالث

المقومات الفنية لأدب هذه الفترة

أ – اللغة

ب – الإيقاع

جـ – الصورة الشعرية

د – المعجم الشعري

* المعجم الديني

* المعجم التاريخي

* المعجم الاجتماعي

* المعجم الطبيعي

- **المقومات الفنية لأدب هذه الفترة:**

ممّا لا يحتاج إلى تأكيد، هو أنّ أيّ أدب قد يختلف أو يتساوى أحيانا مع أدب آخر، أو بالأحرى يستمدّ منه بعض الصّفات، و يتميّز بميزات و خصائص ترجع إلى طبيعة كلّ أديب أو شاعر، و هذا تبعا للبيئة الّتى عاش فيها و نشأ، بصفتها الإطار الّذي تشكّل فيه فكره، دون أن ننسى الأصول الّتي استمدّ منها وجوده؛ و من الخصائص الّتي يجدر الوقوف عندها:

أ-اللّغة:

إنّ اللّغة هي أداة الفنّ التّعبيري، و أداة التّبليغ لإيصال مشاعر و عواطف شخص عاش وسط محيط مليء بالتغيّرات و الأحداث، فيحاول بواسطة هذا الخليط من الأدوات أن يوصلها بشكل مؤثّر، و يجعل الأحداث في متناول أيّ شخص بطريقة تجذبه إلى قراءتها.

لغة الكاتب و الشّاعر، وسيلة للتّعبير عن خلجات نفس كلّ واحد منهما، و هي الأداة الطيّعة لثقافة أيّ عصر، دينيّة كانت أو أدبيّة. مع أنّ الهدف واحد و الغاية واحدة، إلاّ أنّ كلّ من الكاتب و الشّاعر يختلف في أسلوبه و تفكيره، في دفع عجلة الزّمن، و إلقاء ما تحمله نفسه، حتّى و لو لم يكن يسمو إلى ذلك.

فللكاتب لغته السّهلة و المفهومة، و أسلوبه السّلس الخال من كلّ تعقيد أو إبهام؛ و هذا ما لاحظته من خلال النّصوص الّتي أدرجتها في الفصل الأوّل، رسائل و خطب تنمّ عن وجود هدف أسمى، هو إفهام الجاهل، و إقناع العارف بشكل يمكّن الخطيب و المرسل من تحقيق مراده، دون أن يدخل السّامع في معمعة اللاّفهم؛ و هذا هو في الأصل غرض و طبيعة و هدف الخطيب، أو أيّ كاتب ما دام أنّه يكتب للسّامع أو القارئ.

في حين نجد الشّاعر يملك اللّغة نفسها، و لكنّه يضفي عليها نوعا من اللّباس التنكّري، أو القناع الّذي يجعل المعنى مدفونا في كلمات أرادها الشّاعر أن تعطي نكهة أخرى، فجعلها خياليّة عميقة بعكس الكاتب.

و بالنّسبة للشعر دائما، فالفترة الّتي مررت بها في دراستي طغت عليها اللّغة السّهلة، أو تلك الملوّنة بألوان البديع و الخيال، حيث وظّفها الشّعراء المغاربة بنوع من البساطة أحيانا، و بنوع من الصّنعة أحيانا أخرى، ولكنّها في الحالتين كلتيهما لم تؤثّر سلبا على المعنى المراد.

و مع أنّ الشّاعر و الكاتب يختلفان في أسلوبهما و طريقة التّأمّل في الكلمات، فإنّ هناك قاسما مشتركا يجمعهما و هو اللّغة بصفتها الوسيلة و الأداة، و المعبّرة عن شعور كلّ واحد منهما، و الغاية هي الاتّصال بالآخرين.

و ما يساعد على التصوّر بقدرة الشّعراء المغاربة على كيفيّة استعمال اللّغة في هذه الفترة،قد ظهر في معظم الأشعار الّتي توزّعت على الأغراض والّتي تناولها الفصل الثّاني؛ نسوق بعض الأمثلة للتعرّف على إبداع هؤلاء، أبيات حملتها معنويّة، أدّت المقصود منها، و هذا راجع إلى حسن توظيف الكلمات و المفردات في منظومة لمكوّناتها قيمة. كقول ابن هانئ (ت362هـ) في وصفه لرجل أكول هذا مطلعها:

انْظُر إِلَيه و في التّحريك تَسكِين * كَأَنّمَا التقمَت عَنهُ التّنَانِينُ

. . . كَأَنّهَا وَخَبِيثُ الزّادِ يَضْرِمُهَا * جَهَنّم قُذِفَت فِيهَا الشّيَاطِينُ[1]

حملت المدلول و المعنى داخل السّياق الّذي أراده لها ابن هانئ، كما تمكّن فيه من وصف المشهد الّذي رأته عيناه و تأثّر له فكره، و الجميل فيها أيضا هو حسن التّشبيه، فالمنظر البشع و الكيفيّة الّتي التهم بها الرّجل الأكل، جعلت الشّاعر يصفها بطريقة تجعلنا نتصوّر المنظر من دون أن نراه.

و للدّلالة أكثر، هناك أيضا قول ابنِ رَشِيق (ت463هـ)، في القاضي جعفر، و هو مدح له،ذاكرا مقدرته الكبيرة و حسن رأيه؛ بكلمات فيها نسق فيما بينها، و لغة هادفة إلى ما أريد بها، يقول :

لَهُ بَدَهَات حِينَ لَا ينطق الوَرَى * وَ رَأي إِذَا مَا اسْتَعْجَزَ السَّيْفُ بَتّارُ

وَ لَمْ أَرَ بَحْراً قَطّ يُدْعَى بِجَعْفَرٍ * سِوَاهُ وَ إِلاّ فَالجَعَافِرُ أَنْهَارُ[2]

انسجام و تجسيد قويّ لأفكار الشّاعر، مع حسن التّركيب بكلمات مفيدة، و في الوقت نفسه لها معان بديعة.

و من المدح أيضا، لابدّ من أنّ أسمى المعاني و العباراة وُجدت أيضا عند الشّاعر الفاطمي ابن هانئ، صاحب اللّغة الجميلة في أشعاره، و قد أدرجت في الفصل الثّاني بعض أبياته الّتي تناولت مختلف المعاني، المختفية وراء مبالغة ممقوتة، يتنبّه لها القارئ لديوانه و المتأمّل لقصائده، يقول في إحداها :

[1] -"ديوان ابن هانئ الأندلسي": م س ، ص376

[2] -"ديوان ابن رشيق": م س ،ص89-90.

ما شئت لا ما شاءت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهّار

وكـــأنّما أنت النبيّ محمّد * وكـــأنّما أنصارك الأنصار[1]

وصفه بالإماميّة و التّقوى، و شبّهه بالنبيّ ﷺ، فلغته الجميلة أفضت به إلى إعلاء الكلمة في حقّ الممدوح حتّى وصفه العديد من الكتّاب بنعوته الّتي توهم بالكفر و بالمبالغة.

و غيرها من الأبيات الّتي تطرّقت إليها سابقا، حيث كانت اللّغة ذات فضاء واسع، و أدّت المطلوب منها، لحسن وقعها عند هؤلاء الشّعراء المغاربة. فكانت تنساب في أيديهم انسياب الماء في الجدول، لا حواجز ولا عوائق بالنّسبة للسّيطرة عليها؛ و لكنّ الملاحظ، هو التّفاوت في مسألة تناولها،و التحكّم في ألفاظها في الأغراض الأخرى.

و هذا ما يلاحظه النّاظر إلى شعراء الزّهد و التصوّف، إذ نجد الشاعر قد أسقط قناع الغرض الشّعري، و كانت أشعار التصوف أقرب إلى الزهد، فكان المعنى غير المعنى و اللّفظ غير اللّفظ، و هذا نظرا لاختلاف التّفكير، و النّظرة إلى المواضيع الّتي تناولها شعراء المدح و الهجاء و غيرهم. فقد اعتبرت عند شعراء الزّهد و التصوّف مجرّد وسيلة أو مجرى من مجاريه فقط، ذاكرا الله سبحانه و تعالى في كلماته، حاملا معنى الحمد و الشّكر، و ذكر الأخبار و الأحبار.

أشعارهم كانت مملوءة بالحبّ الإلهيّ، فكانت السّيطرة على اللّغة أكبر، إذ إنّ نوع التّعبير له هدف التّفكير في ملكوت الله سبحانه و تعالى، و تذكير بنعمه على عباده، و التّحذير من شهوات الدّنيا، فنصائح و مواعظ، و في الوقت نفسه حسن نقل ذلك بكلمات فيها إحساس

[1]-"ديوان ابن هانئ": م س ، ص 146(أنظر النص في الملحق).

بصدق الشّاعر و خوفه من خطر الدّنيا، و الإيمان الصّادق المتفكّر فيما حوله، يقول الحسَن بن مُحَمّد القُلاَنسِي (ت327هـ):

اعمَل وَ أَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى خَطَر * وَ اعلَم بِأَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ مَبْعُـــوثُ

. وَ اعلَم بِأَنَّكَ مَا قَدَّمتَ مِن عَمَل * يُحْصَى عَلَيْكَ وَ مَا خَلَّفْتَ مَوْرُوثُ[1]

و الأمثلة على ذلك كثيرة في محور الزّهد، فقد تمخّضت في هذا النّوع من الكلام قصائد كثيرة لا يسعها المقام هنا، إذ أعطى هذا النّوع من الشّعراء للكلمة حقّها، ووضعها موضعها، مع سيطرة كاملة على لغته.

فالاختلاف كائن لا محالة بين الأغراض، لا من حيث اللّغة الّتي أخذت منزلة من جسد الشّاعر، يشعر بها و يوظّفها حسب نظرته لواقعه، و لا من حيث الطّريقة الّتي اتّخذها لتوظيف هذه اللّغة و حسب، و لكنّ الأهمّ في ذلك هو حسن الصّياغة و عدم تجميد وظيفة الكلمة؛ حتّى يكون مدلولها قائما وسط التّركيب الّذي أراده الشّاعر، إضافة إلى التّنسيق الجيّد داخل الصّياغة، و هذا ما منع هجوم العجز على السّامع في بعض الأبيات، إلاّ ما جاء صناعة لضرورة شعريّة.

و من الظّواهر الملاحظة أيضا على شعر هؤلاء هو السّهولة الّتي التمستها في معظم أشعارهم، إلاّ ما جاء في بعض الأبيات المتناثرة في قصائد هؤلاء. و إن كانت الكلمات غير مفهومة في بعضها، إلاّ أنّها لا تطيح من قيمة المعنى أو شكل البيت. و اعترى قول بعضهم من الغريب في الكلام و الغموض، كقول ابن رشيق:

---

[1]-"الأريب...": م س،ص 31.

وَ مَا تَمْتَرِي فِي الهَقْعَةِ العَيْنُ إِنَّهَا * عَلَى عَاتِقِ الجَوْزَاءِ قُرطٌ مُفَضَّضُ[1]

و الغموض في قوله:

فِيكَ خِلاَف لِخِلاَف الَّذِي * فِيهِ خِلاَف لِخِلاَف الجَمِيل

وَ غير من أَنتَ سِوَى غيره * وَ غَيرِ غَيرِكَ غَير جَمِيل[2]

و غيرها من الأساليب التي صدرت عن الشّعراء المغاربة، إضافة إلى ذلك نجد من أعطى اهتماما و عناية بالصّنعة اللّفظيّة أحيانا، ممّا أدّى إلى غموض كلامه و إيصال ما يريد، إلى حدّ تورّطه إن لم نقل إخفاقه في تأدية المعنى، و هذا مثال للشّاعر ابن هانئ يقول فيه:

وَ الزَّاغِبِيَّة شُرَّع،وَ المَشْرِفِ * يَّةُ لُمَّعٌ، المَقْرَبَات صُفُوفُ[3]

و يذهب بعض الدّارسين، و منهم محمّد اليعلاوي إلى أنّ الشّاعر أخفق و تورّط في أبيات لا قيمة لها، و أنّها مجرّد تراكم معجمي فقط:

وَ عَوَابِس وَ قَوَانِس وَ غَوَارِس * وَ كَوَانِس وَ أَوَانِس وَ عَقَائِل[4]

ومنهم محمّد الإيَادِي الشّاعر الفاطمي في قوله:

فَارْتَقَى المَلْعُون مِن خِيفَتِه * فِي ذُرَى أَعْيَط عَالٍ مُصْمَعَدِ[5]

فكانت الألفاظ متناثرة في أبيات بعضهم، و كأنّهم جُبلوا على إدراج تلك الألفاظ، أو حتّى أنّها كانت وسيلة لاشتقاق مفردات هجينة و جديدة في الوقت نفسه، فلطالما وصفها

---

[1] – "الديوان": م س ، ص 99.

[2] – م ن : ص 157، "محاضرات في الشعر المغربي": م س ، ص 157.

[3] –" ابن هانئ المغربي...": م س ،ص326.

[4] – م ن: ص326، و "الديوان": م س ، ص293. و شغفه بالصور و الخيالات جعله رائدا لمدرسة البديع في المغرب.

[5] –"عيون الأخبار و فنون الآثار":م س ، ص 307.

الواصفون – اللّغة – بأنّها على الألسنة أغزر مادّة، و أوسع تعبيرا، و أطوعها للمعاني تصويرا . و الأبيات على ذلك كثيرة، إلاّ أنّ ما يمكن قوله، هو أنّ العناية بالمعنى كانت أكثر من اللّفظ، إلاّ ما جاء عن ضرورة.

ب- الإيقاع:

و هو من أعمدة الشّعر العربي، و هو ما يميّز الشّعر عن النّثر؛ و إن كان للنّثر وزن أيضا، من جانب عبارات وكلمات المتحدّث أو الكاتب. فعن الإيقاع الدّاخلي شكّلته عناصر توفّرت في قصائد هؤلاء الشّعراء و اختلفت من شاعر لآخر. فكان أجمل ما يكون في شعرهم هو القافية الدّاخليّة مطلقة في كلّ أشعارهم، و القافية الخارجيّة مقيّدة، ممّا يوحي باستمراريّة الكلام في الأولى و الصّمت في الثّانية. من مثل قول عَبد الله بنَ أُصْبُع:

وَ يَوم بِأَرضِ القَيْرَوَانِ شَـــهِدْتُـــه * وَ قد ظَلّ فِيهِ الجَوُّ أَغْبَرَ أَقْتَمَـــا

وَ كَاشَتْ بِهِ الأَبْطَال خَوْفاً وَ أَخْرَسَت * لِمَوضِعِ خَطبٍ يَملأُ السّمعَ وَ الفَمَا

أَزَالَ رِجَالاً مَنْ لَهُ عَن صُفُوفِهِـــم * وَ نَكَب ذُو الأَقْدَامِ فِيهَا وَ أَحْجَمَا[1]

وقليلا ما كانت القافية الدّخليّة ملتزمة في نهاية الشّطر الأوّل من كلّ بيت، مختلفة عن الأبيات الأخيرة في حرف الرويّ من مثل قول القَلْعِي الأَصَمّ في الوصف:

وَ حَاكِيَةٍ بِالمَاءِ لَوْن اضْطِرَابه * قِوَاما وَ حُسنا حِينَ يَبْدُو وَ يُوبِصُ

قَضِيبٌ لَجِينٌ أَلمَعَ الصّقْلِ مَتْنُهُ * وَ أَخْلَصَهِ فِي السَّبْكِ مِن قَبل مُخْلِصُ[2]

[1]- م س : ص 241.

[2]-"الأدب في عصر بني حمّاد": م س، ص 248.

و تشابهت أيضا في بعض الأحيان القافية الدّاخليّة مع القافية الخارجيّة من مثل قول ابن هانئ:

تَقُولُ بنو العَبّاسِ هَل فَتِحَت مِصر؟ * فَقُل لِبَني العَبّاسِ قَد قُضِيَ الأَمرُ

وَ قَد جَاوَزَ الإِسكَندَرِيَّةَ جَوهَر * تُطَالِعُهُ البُشرَى وَ يَقدُمُهُ النَّصرُ[1]

كما لم يخل شعرهم من التّكرار، و منه التّكرار الصّوتي الّذي وجد في أغلب أشعارهم، من مثل قول الحكيم أَبُو الصَّلت من مدح له :

لِلَفظِكَ يَهجُرُ الرَّوضُ البَهيجُ * وَ دُونَ ثِيَابِكَ المِسكُ الأَرِيجُ[2]

و أيضا تكرار الصّيغة من مثل قوله دائما:

وَ سَقَى النَّعِيم بِذَوبه وَ جَنَّاتِهَا * فَوَشَى بِهَا حُلَلَ الرِّيَاضِ وَ دَبَّجَا[3]

أمّا عن القافية الدّاخليّة فقد تعدّدت في حشو البيت في بعض الأشعار، من خلال بيت واحد على الأقلّ في القصيدة الواحدة و هو ما ذكرته أعلاه. وهو ما اصطلح عليه كثير من الدّارسين، على أنّ الجمال يزداد بالفواصل المسجوعة المتشابهة.

أمّا عن البحور و الأوزان، نجد الشّعراء المغاربة قد ساروا على ماخطّطه الخليل، و نوّعوا منها في أشعارهم، بما فيها البحور القليلة الاستعمال، و لكنّ الغالب عليها هو الطّويل و البسيط، في جميع الأغراض. كما جاءت أشعارهم في شكل أرجوزة.

---

[1]-الدّيوان: م س، ص 131.

[2]-"خريدة القصر...":م س، ص 245.

[3]-م ن: ص 247.

و من الخصائص الفنيّة، هو اتّباع الأسلوب العربي بالتزام وحدة الوزن و القافية و الرويّ الّذي اختلف حسب حروف الهجاء. و الملاحظ على البحور أيضا، هو تعرّض بعض تفعيلاتها إلى دخول بعض الزّحافات و العلل عليها في بعض الأحيان، حتّى صعب كثيرا العثور على نوعيّة البحر. و لكنّ المهمّ هو التّوافق و الانسجام الّذي أحدثه الشّاعر المغربي، و استطاع أن يحقّقه بين الإيقاع الموسيقي و الإيقاع الوجداني.

و الملاحظ أنّ بحر الطّويل قد احتلّ نسبة كبيرة في شعر هذه الفترة الّتي نحن بصدد دراستها؛ و قد يكون السرّ في ذلك راجع إلى أنّه يستوعب من المعاني ما لا يستوعبه غيره، و لهذا وجدته يتّسع للأغراض المختلفة؛ و البسيط يقرب منه و وصف بأنّه يفوقه رقّة و جزالة، و الشّاعر المغربي نظم الشّعر حيث يحسن وقعه.

جـ - الصّورة الشعريّة:

الصّورة الشعريّة هي عماد الكتابة الفنيّة، و المعادل الفنّي للفكرة، و كون الشّاعر المغربي في هذه الفترة من المبدعين، فقد جمع قوّة إدراكه و قوّة بنائه و حقّق الشّعر أو بالأحرى البناء الذي وضّح رؤيته و جسّد كلّ ذلك بالصّورة.

و المنبع طبعا كان البيئة التي حملت طبيعة تملؤها الصّور، و تحاكي واقعه، و الدّليل على ذلك هو الموضوعات الكثيرة الّتي طرقها، و حقّق ما أسماه البعض إخفاق الطّبيعة الّتي كانت المصدر الّذي حرّك مشاعر الإبداع و أخرجها على الصّورة الّتي هي عليها في كلّ الأشعار. عكس التّقليد أو النّقل الفوتوغرافي الذي لا يوحي بمشاعر و لا إبداع، و كأنّ القارئ ينظر بنفسه إلى الطّبيعة.

و الشّاعر المغربي في هذه الفترة، نقل الواقع بإحساسه، و عبّر بطريقة بارعة ما رصدته عينه داخل البيئة التي عاش فيها . و على الرّغم من أنّه عاش داخل معمعة الحروب و كثرة الفتن، فإنّه لم يصوّر الحالة المأسويّة للشّعب المغربي، و لا حالته التي لم تستقرّ على طول حكم الفاطميّين و الصنهاجيّين. فلقد طفت أشعاره على بحار المدح للملوك، و التهجّم بشعره على أعداء هاتين الدّولتين، مع وصف كبير و كثير للحيوان، للزّهور، و للفواكه و غيرها من الأغراض و الموضوعات.

و هذا يعني أنّه كان ذاتيّا في أشعاره، و لم يواكب الأحداث السياسيّة إلاّ في بعض الحالات، فكان يبيّن كيف تحارب الملوك ، و كيف كانت بسالتهم، و سفنهم، و جنودهم. و بذلك لم يحقّق التكامل بينه و بين الأشكال الأساسيّة للعالم الطّبيعي و الإيقاعات الحيويّة للحياة.

و الفنّ في الأصل هو بديل للحياة، يستعير منها المعاني الّتي تقاربها أو تدانيها أو تشبهها، و لكن مع وضوح حتّى يصحّ التّشبيه. فالمعرفة الجديدة من اختصاص الصّورة، و بذلك تكون حاملة انفعال لا مقولة. و هكذا منحوا الأولويّة و الصّلاحيّة الكاملة للشّعر المتعدّد الألوان كقوس قزح. فكانت مصادرها متنوّعة، بدءا بالقرآن الكريم لبّ اللّغة و الأدب ككلّ. فهذه الرّوح الدّينيّة الّتي ملأت نفوسهم و وجدانهم، ظهرت في شعرهم الّذي حمل اقتباسات من القرآن الكريم؛ و من أمثلة ذلك أذكر:

ابن هانئ من خلال وصفه للرّجل الأكول، في قوله:

تَبَارَكَ اللهُ مَا أَمْضَى أَسِنَّتَهُ * كَأَنَّمَا كُلُّ فَكٍّ مِنْهُ طَاحُون

كَأَنَّ بَيْتَ سِلاَحٍ فِيهِ مُخْتَزَنٌ * مِمَّا أَعَدَّتْهُ لِلرُّسُلِ الفَرَاعِينُ[1]

فالصّورة مستمدّة من الرّصيد القرآني: بطن الحوت الّذي ابتلع النبيّ يونس عليه السّلام، و هو دون بلعومه في الاتّساع، و معدته مثل نار جهنّم الّتي تطلب المزيد[2].

و يقول حَمّاد بن عَلي المُلَقّب بالبَيّن في شوقه و حرمانه من العودة إلى أهله:

... وَقَالَ : اقْتَنِع وَ اقْنَعْ بِرِزْقٍ تَنَالُه * - بِلُطفٍ- لَعَلّ اليُسْرَ يُذْهِبُ بِالعُسْرِ[3]

و هذا اقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا﴾[4]

و يقول ابن رشيق من قصيدته الّتي بكى فيها القيروان و رثاها:

المُتّقِينَ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ * وَ العَارِفِينَ مَكَايِدَ الشَّيْطَانِ[5]

استمدّ الشّاعر أفكاره و ألفاظه من المعنى الموجود في كتاب الله، و هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَ لاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.[6]﴾

و يقول ابن حَمْدِيس في وصفه لقصر:

وَ ظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ * لَمّا رَأَيْتُ المُلْكَ فِيهِ كَبِيرُ[7]

اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا﴾[8].

و ها هو ذا ابن رشيق أيضا يقتبس معاني بعض مقطوعاته من القرآن الكريم كقوله:

---

[1]- "الدّيوان": م س، ص 376.

[2] - " ابن هانئ المغربي الأندلسي": م س، ص 236 (بتصرف).

[3] - " الأدب في عصر دولة بني حماد": م س ، ص 164.

[4]-سورة الشّرح- الآية 5،6.

[5]- "الديوان": م س، ص 204.

[6]-سورة آل عمران- الآية 102.

[7] - "الأدب في عصر دولة بني حمّاد": م س ، ص 333.

[8]- سورو الإنسان-الآية 20.

طير أَبَابِيل جَاءَتْنَا فَمَا بَرِحَت * إِلاَّ وَ أَقْوَاسُنَا الطَّير الأَبَابِيل.

يَرمِينَهَا بِحَصَى طِينٍ مُسَوَّمَةٍ * كَأَنَّ مَعدنها لِلرَّملِ سِجِّيلُ[1]

فقد ضمّن كلامه قوله تعالى : ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾[2].

و قوله تعالى: ﴿وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾[3].

إلى غير ذلك من الاقتباسات الّتي أظهرت رسوخ الدّين في عقول هؤلاء و تمسّكهم بالعقيدة الإسلاميّة، و مقدرتهم ظهرت في حسن الاختيار للكلمات و الألفاظ، فصاغوها بشكل يدلّ على جودة و حسن شاعريّتهم.

و هذه القصائد و المقطوعات لم تخل من التحلية بالمحسّنات البديعيّة الّتي زادت الأشعار بيانا و حسنا . و هو الإيقاع الدّاخلي الّذي يأسر حاسّة السّمع لدى المتلقّي، و هو النّسيج الّذي يشكّل البيت الشّعري، و الّذي يختلف من بيت لآخر.

و أفرط جلّ شعراء الفترتين في استخدام التّشبيه و الاستعارة، و بعضهم الآخر كان يحبّ المجانسة و المطابقة و غيرها من الأساليب البلاغيّة، و من التّشبيهات الكثيرة و الجميلة، بعضها مبالغ فيه؛ من العهد الفاطمي يبرز ابن هانئ الّذي اشتهر بأشعاره الّتي تضمّنت مبالغات عدّة وصلت إلى حدّ رفعه ممدوحه إلى مرتبة فاقت مرتبة البشر[4].

قال في مدحه للمعزّ :

1- م س : ص 237، و" الديوان": م س ، ص 144.

2- سورة الذاريات – الآية 33- 34.

3- سورة الفيل –الآية 3-4.

4 و هذا يُعد كفرا، فقد كان مدحه التكسبي في أول الأمر يدفعه دفعا إلى ذلك، إضافة إلى تعاليم الشيعة المنشورة فيه.

وَكَأَنَّمَا أَنتَ النَّبِيّ مُحَمّد * وَكَأَنَّمَا أَنصَارُكَ الأَنصَارُ

... كَالبَدْرِ تَحتَ غَمَامَة مِن قَسْطل * ضِحيَان لاَ يَخفيهِ عَنكَ سَرَارُ[1]

فكانت كلّ قصائده التي قالها في المعزّ تحمل تشبيهات عديدة و جميلة على الرّغم من مبالغته فيها، فقد أضفت على قصائده نوعا من الإيقاع الجميل الّذي يحسّ به القارئ لمجرّد الاستماع إليها . و كثرت الاستعارات أيضا في قوله:

لَبِست بَيَاضَ الصُّبْحِ حَتّى خِلتها * فِيهِ نَجَاشِيًّا عَلَيه قبَاء[2]

فيه تشبيه و استعارة في أنّ اللّيلة لبست بياض الصّبح. ومختلف الأساليب البلاغيّة، و هذه كناية في قوله:

تَدْنُوا مَنَالَ يَدِ المُحِبّ وَ فَوْقَهَا * شَمْسُ الظَّهِيرَةِ خِدرها الجَوْزَاء[3]

شمس الظّهيرة: كناية عن المرأة المتغزّل بها .

و الملاحظ على شعر بعضهم التّرصيع الّذي تفنّنوا فيه، فقسّموا البيت إلى وحدتين متوازيتين و ثلاث حتّى إلى أربعة، و ختموا كلّ واحدة أحيانا بقافية مماثلة للقافية الختاميّة. وهذا مثال لنفس الشّاعر إذ يقول (و هنا ثلاثي):[4]

و من التّشبيهات الكثيرة يقول جَعفَر بن مَنصُور اليَمَن الشاعر الفاطمي من قصيدة،في أثناء ملاحقة المنصور للدجّال:

---

[1]- " الديوان": م س،ص146. [القسطل: غبار الحرب، الضحيان: البارز للشمس، السرار: آخر ليلة من الشهر.]

[2]- م ن :ص11 [النجاشي: لقب ملك الحبش، القباء: الثوب يلبس فوق الثياب].

[3]- م ن: ص9

[4]- وخطبت الزهراء فيها الحكمة الـ ... ـبيضاء وفيها الحجة البيضاء . الديوان : م س: ص 43.

لَمَّا غَدَا المَارِق الدَجَّال مُخْتَبِلا * كَالكَلب فِي سَجف مَعدَاه فِي الكَلب[1]

و لم يقف شعرهم عند هذا، بل تعدّاه إلى الجناس و الطّباق و المقابلة و غيرها من الأساليب البلاغيّة التي جمّلت أشعارهم و أعطت الصّور النّابعة من واقع ملموس، استعار الشّعراء لها معان لما ليس لها، بما كان يقاربها أو يشابهها .

و لم يكن شعراء العهد الصّنهاجي بمنأى عن ذلك، و هو عصر الشّعراء الّذين ملئوا بلاط الملوك، فكان أزهى من البلاط الفاطمي . و منهم ابن رشيق شاعر البلاط الزّيري، في قوله متغزّلا بامرأة، مشبّها إيّاها بالورد الأحمر داخل الرّياض :

وَ فَاتِن الأَجْفَانِ ذِي وَجنَة * كَأَنَّهَا فِي الحُسنِ وَرد الرِّيَاضِ[2]

و الاستعارة في قوله: في رثاء لقاضي المحمديّة،

يَا شُؤم طَائر أَخْبَار مُبَرَّحَة * يَطِيرُ قَلبِي مِن بَيْن أَضْلاَعِي[3]

فخوفه و جزعه جعله ينعي و يبكي القاضي،فالخبر السيّئ لم يكن بالسّهل الوقوع عليه هكذا . و قال يشبّه أربعة بأربعة:

بِفَرع وَ وَجْه وَ قَدٍّ وَ رِدْفٍ * كَلَيْلٍ وَ بَدر وَ غُصن وَ حَقف[4]

هذا دون التّشبيهات و الاستعارات والطّباقات الكثيرة الّتي ملأت أشعاره، و كان يستخدم أيضا الجناس، أمّا عن التّصريع فكان في جلّ قصائده و ليس في كلّها .

---

[1]- " عيون الأخبار و فنون الآثار " :م س ، ص274.

[2]- " الديوان":م س،ص96.

[3]- م ن: ص106.

[4]- م ن: ص119.

و كذا الأمر بالنّسبة للشّعراء الصنهاجيّين، فالمقام لا يسعهم كلّهم، المهمّ أنّ أشعارهم اتّسمت بالجودة و الابتعاد عن حوشي الألفاظ ما عدا بعض الأبيات التي اتّسمت بالغموض.

و الملاحظ على شعرهم أيضا:" هو كثرة المقطوعات كثرة مفرطة، و هي ظاهرة عامّة في الشّعر المغربي"[1].

و كلّ ذلك و غيره ينمّ عن رصيد ثقافي واسع، و مقدرة كبيرة في التّركيب و الإبداع. فلقد بنى الشّاعر المغربي نصّه و جمّل شعره بحلية غطّت جوانبه كلّه؛ و المشهود له هو براعة الرّبط و حسن التّنسيق، إذ يتوفّر النصّ على قيمة جماليّة.

كما كان أسلوبه يضمّ المقطع الإخباري و الإنشائي المناسب لغرضه، و قد اختلف المقطعان بين النّصوص؛ إذ كلّ موضع يحتاج إلى استعمال معيّن، و الأغلبيّة كانت النّدرة للمقطع الإنشائي المتضمّن لأساليب النّداء و الأمر و الاستفهام و غيرها.

إلى جانب التّنويع في استخدام الضّمائر، إذ إنّ المادّة مستوحاة من مشاهد مختلفة، ممّا يؤدّي إلى الدّمج في مشهد واحد، مثلا مشاهد معركة، تتضمّن ذكر الممدوح و صفاته، و ذكر جنوده تحت قيادته، و ذكر الخيول و رشاقتها داخل أرض المعركة. كما أنّه لا بديل لاستخدام الرّبط (العطف)، فلولاه لسقطت قيمة النصّ، و حينما يسقط العطف يسقط الجمال.

فأشعار هؤلاء المغاربة سارت داخل الإطار العامّ للّغة؛ تنوّعت جمل قصائدهم بين اسميّة و فعليّة، و استعملوا لها البناء المتين، و مفردات توحي بما أراده الشّاعر.

[1]-"محاضرات في الشعر المغربي القديم": م س، ص118.

و الملاحظ على شعرهم، هو شغفهم الكبير بالجناس و السّجع، و كذا التّكرار الّذي ظهر في بعض الأبيات، كقول ابن رشيق من أبياته الّتي رثى بها مدينة القيروان دائما:

نَظَرَت لَهَا الأَيَام نَظرَةَ كَاشِحٍ * تَرَنُوا بِنَظرَةِ كَاشِحٍ مِعْيَان[1]

و قد عُدّت قصيدته هذه من روائع الشّعر العربي و أجوده في هذا العصر.

و الشّعر العربي القديم، هو أيضا أحد المقوّمات الفنيّة لشعر هؤلاء المغاربة، و لم يحيدوا عمّا ألفوه من التزام؛ و بهذا كان معجمهم الأدبي يجمع بين الجديد و الموروث. و هذا ما عانى منه شعراء المغرب لهذه الفترة، مشكل القديم – إن صحّ القول – القضيّة المطروحة و المعالجة من قبل عدّة دارسين، و للأسف انتشر وباء اسمه التّقليد و وصل إلى الفترة الّتي عرفت نهضة كبيرة في مجال الأدب، و لم تتمكّن العقول و الأحاسيس المغربيّة من الإفلات منها.

و في غضون هذا النّزاع الّذي طالما زحف من عصر إلى آخر، و لم يترك الذي شاعرا إلاّ و أثّر فيه تأثيرا كان بالغا في بعض الأحيان، فالتّغيير لم يمسّ هذا الجانب من التّعبير و الشّكل إلاّ قليلا. فميراث العصور الماضية و واقع الحياة الجديدة، ما فتئت أن اندمجت في بعضها البعض مع هيمنة الماضي على الحاضر؛ و هذا واضح في أشعارهم الّتي اقتبسوا بعض معانيها و حتّى بعض الألفاظ من الشعراء القدماء.

[1] - البيت 22 من القصيدة.

و الموقف لم يحسم لصالح الواقع حسما نهائيّا، و لا حتّى للموروث في العصور السّابقة. وهذا المزيج أو الخليط تسبّب في نموّ برعم الماضي، إذ مدّ جذوره عميقا و تشبّث به من سحرته قيم الماضي و سيطرت عليه[1].

إلاّ أنّ الشّاعر المغربي في بعض أشعاره، كان يحاول الخروج عن هذا الإطار بحكم عيشه في محيط حضاري آخر، له صفاته و له مضامينه الجديدة الّتي ظهرت مع أوّل بزوغ لتغيّرات طفت على بلدان المغرب العربي.

فلوحة الواقع الحيّة تحرّك مشاعر جديدة لدى الشاعر، و لكنّ المسألة لم تكن صافية مئة بالمئة، و إنّما حذا بعض الشعراء المغاربة في الفترتين حذو بعض الشعراء السّابقين، نذكر منهم ابن هانئ من العهد الفاطمي، و الّذي اعتبر من الشّعراء المقلّدين، صاحب الألفاظ الكثيرة إذ كان يعنى باللّفظ أكثر من المعنى[2].

كانت محاكاته لأبي نوّاس في رحلته الخمريّة، و لعمر بن أبي ربيعة في مغامرته الغزليّة، كما يستقي عناصر تقليده أحيانا من متأخّرين، من علقمة أو امرئ القيس. إلاّ أنّ إعجابه بالقدماء و تعلّقه بمنهجهم لم يغلق عليه باب التخلّص من قيوده التقليديّة، و ذلك بإدخاله للمشاهد الطبيعيّة على حدّ تعبير صاحب الكتاب، و مثال على ذلك، أنّه يضمن وصفا لمجلس اللهو في الاستهلال على الطّريقة النواسيّة كقوله:

---

[1]- و كأنهم يعملون على أساس أن أشعار المحدثين مثل الريحان يشم يوما و يدوى فيرمى به ، و أشعار القدماء مثل المسك و العنبر، كلماحركته ازداد طيبا." والجودة الفنية لا تقاس بالقدم و الحداثة، فالشعر الجيد جيد في كل زمان و مكان

[2] -" ابن هانئ المغربي الأندلسي" : م س ، ص 203 – 206 – 216 (بتصرف).

وَ لَئِن ذَكَرتَ الغَانِيَاتِ فَخُطرة * تَعتَادُ صَبّا بِالحِسَانِ مُكَلَّفا

كما يصف لوازم الشراب :

وَ الأَبَارِيقُ كَالظِّبَاءِ العَوَاصِي * أَوْجَسَت نَبْأَةَ الجِيَادِ العِتَاقِ[1]

و انتهج ابن هانئ[2] التّقسيم القديم للقصيدة بهذه الاستهلالات الغزليّة، و لكنّه كثيرا ما يتحرّر منها ويدخل إلى المدح مباشرة، و يعوّضها في بعض الأحيان بوصف مشهد ليلي.

"و المشرق هو منبع ثقافته العربيّة الإسلاميّة بكلّ ما لقّنوه و حفظوه، و سمّي بمتنبّي المغرب، فقد درس ديوان المتنبّي وسهر عليه، أي كان يؤيّد فكرة التّأثّر بالمتنبّي إن لم نقل تقليد المتنبّي"[3]. و مثال ذلك استخدام صيغة (فعول) في الأكل و الشراب و إسنادها إلى جيش المسلمين.

قال المتنبّي ، مخاطبا الرّوم:

أَغَرَّكُم طُولُ الجُيُوشِ وَ عَرضُها ؟ * عَلِيّ* شرُوب لِلجُيُوشِ أَكُولُ

و قول ابن هانئ:

حَتّى إِذَا ارْتَعَصَ القَنَا، وَ تَلَمَّظَت * حَرْب شَرُوب لِلنُّفُوسِ أَكُولُ[4]

---

[1] – م س : ص 217، و "الديوان": م س ، ص 202 – 219.

[2] – و يوم وفاة ابن هانئ بلغ الأمر المعز بمصر فتأسف عليه كثيرا ، و قال: "لا حول و لا قوة إلا بالله! هذا الرجل كنا نرجوا أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يقدر لنا ذلك."

[3] – م ن : ص 333.

* علي سيف الدولة.

[4] – م ن : ص 337 – 338 ، و "الديوان" : م س، ص 262.

و من العهد الصّنهاجي ابنُ رَشِيق شاعر البلاط الزّيري، الّذي تأثّر بالبحتري على حدّ قول عبد الرّحمن ياغي نقلا عن الشريشي، و ذلك في قوله في الشّيب:

تَعَافِينَ المَشِيبَ وَ لَيسَ هَذَا * وَ لَكِن هَذِهِ شِيَةَ الشَّبَاب

أخذه عن البحتري:

عَيَرَتنِي بِالشّيبِ وَ هِي رُمْتَه * فِي عَذَارِي بِالصَدِّ وَ الاجْتِنَاب

لاَ تَرِيه عَارًا فَمَا هُوَ بِالشِيـ * ـبِ وَ كَأَنَّهُ جَلاَء الشَّبَـــاب[1]

كما أخذ عن عمر بن أبي ربيعة في قوله :

رَأَيْتُ التَّعَزّي مِمَّا يَهِيـجُ * عَلَى المَرءِ سَاكِن أَوصَابه

وَ مَا نَالَ ذُو أسوة سَلوة * وَ لَكِن أَتَى الحُزن مِن بَابه.

قال ابن رشيق أخذته من قول عمر بن أبي ربيعة :

وَ ذُو الشَّوقِ القَدِيمِ وَ إِنْ تَعَزّى * مُشَوّقَ حِينَ يَلقَى العَاشِقِينَ[2]

و أَبُو حَفص عُمر بنَ فَلْفُول من العهد الحمّادي ، تأثّر بعمَرَ بنَ أَبي رَبِيعَة في أسلوبه الغزلي المبني على القصص و الحوار.[3]

و ابن أبي المليح الطّبيب* تأثّر بامْرِئ القَيس، فأخذ عنه تشبيهه للخيل. فقال الأوّل من قصيدة عيديّة في الأمير عَبد الله الحمّادي :

---

[1] – "الديوان": م س ، ص 25.

[2] – م ن : ص 28.

[3] – "الأدب في عصر دولة بني حماد": م س ، ص 150

* عاش في عصر " يحي بن العزيز" الحمادي (515 هـ – 547 هـ). (راجع الفصل الثاني).

وَ جَالَت بِهِ جُرْد المَذَاكِي كَأَنَّهَا * عَذَارَى وَ لَكِن نُطْقُهُنَّ تَحَمْحُم[1]

و قال امرؤ القيس:

فَعَن لَنَا سِرب كَأَنَّ نِعَاجَهُ * عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذَيَّل[2]

كما أنّه تناول غرضا تقليديّا مسبوقا في المناسبة و الصّورة، نهج البحتري و هو مدح الخليفة و خروجه يوم عيد الفطر، (و قد تناول الغرض العديد من شعراء البلاط الفاطمي) وقد حاكى ابن مليح بعض تشبيهات البحتري، فقال:

فَلَمَّا قَضَى حَقَّ الصَّلَاةِ معظَما * ثَنَى وَ الهُدَى فِي وَجْهِهِ يَتَوَسَّم.

مأخوذ من قول البحتري :

حَتَى انْتَهَيت إِلَى المُصَلَّى لَابِسًا * نُورَ الهُدَى يَبدُو عَلَيكَ وَ يَظهَر[3]

و هذا إبراهيم الرّقيق شاعر البلاط الحمّادي دائما، يسير على خطى بشّار و الظّاهر من شعره ، تلك القصيدة الّتي مدح بها باديس، و منها هذا البيت :

وَ البِيضُ فِي ظُلَمَاتِ النَّقعِ بَارِقَة * مِثلَ النُّجُومِ تَهَاوَت فِي دُجَى الغَسَقِ.

فهو مأخوذ من قول بشّار :

---

[1] – " الخريدة"....: م س ، ص 217 (راجع عنصر الوصف في الفصل الثاني).

[2] – " الأدب في عصر دولة بني حماد": م س ، ص 159.[دوار: حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه و يطوفون حوله، الملاء: ج ملاءة، لباس تستر به المرأة نفسها، تلبسه فوق الثياب، مذيل: أطيل ذيله و أرخي].

[3] – م ن : ص 159 – 160 (بتصرف)

كَأَنَّ مثَار النَّقع فَوْقَ رُؤُوسِهم * وَ أَسْيَافُنا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكبه[1]

فالتّأثّر واضح و التّقليد ظاهر في أشعارهم، و كثير منهم تأثّر بعمر بن أبي ربيعة. و لكنّ بعضهم حاول الخروج عن هذا الإطار الواسع المترامي الأطراف،المليء بأجود الصّور و منبع كلّ جزء من أجزاء القصيدة العربيّة . و حاولوا التّجديد في أشعارهم و لو أنّها كانت قليلة ومحدودة. أجملها لنا رابح بونار في قوله:"و أهمّ الموضوعات الّتي جدّت فيه: القصص الشّعري عند قاضي ميلة و التي مطلعها:

يُذِيل الهَوَى دَمعِي وَ قَلبِي المُعَنَّف * وَ تَجنِي جُفُونِي الوَجْدَ وَ هو المُكَلَّف[2]

و كان يسلك فيه مسلك ابن أبي ربيعة؛ و شعر التوسّلات عند ابن النَحْوِي (ت 514هـ)"[3]

كما تحدّث الكتّاب عن الموشّحات* و ظهورها بالمغرب في هاته الفترة، و لكن لم أعثر على واحدة منها فيما اطّلعت عليه، و ذكروا يُوسُف بنَ المُبَارَك الذي كان شاعرا وشّاحا، و له مدائح في بني حماد.

و هكذا كانت الفترة الصّنهاجيّة أكثر تجديدا في مادة الشّعر خاصّة، إذ من مميّزات الأدب في هذا العصر هو ابتكار فنون جديدة، كالنّقد الشّعري و الأدبي.

و بغضّ النّظر عن الجديد و محاولة الخروج عمّا ألفه الشّعراء، نجد المعجم الفنّي للقصيدة المغربيّة قد اتّخذ الأصل فيما يخصّ الاستهلالات الغزليّة، و في بعضها الآخر الوقوف

---

[1] – م س : ص 171 (البيت الثالث).

[2] – أنظر القصيدة كاملة في "تاريخ الأدب الجزائري": لمحمد الطمار : م س ، ص 90.

[3] –"المغرب العربي تاريخه و ثقافته ": م س، ص 289 (بتصرف).

* الموشحات فن ظهر في الأندلس في القرن 3 هـ، ثم انتقلت إلى المغرب ومنه إلى المشرق – في حين قيل أن دخول الموشحات إلى المغرب كان في العصر الموحدي .

على الأطلال. و من أمثلة ذلك قول الكَاتِب الرَّقيق من قصيدة مدح بها أحد الولاّة،مبتدئا القصيدة بأبيات في النّسيب:

أَظَالِمَةِ العَينينِ لَحْظُهُمَا السِّحَر * وَ إِنَّ ظُلْمَ الخَدَّانِ وَ اهتَضَمَ الخَصر

أَعُوذُ بِبَرَدٍ مِن ثَنَايَاكِ قَد ثَنَى * إِليك قُلُوبًا حَشو أَثْنَائِهَا جَـــمر[1]

فلم يدخل في المدح مباشرة، و كانت هذه هي الطّريقة المتّبعة في أغلبيّة أشعارهم.

و في قول للحَكِيم أَبِي الصَّلت (ت 520هـ)، يمدح فيه الحسن بن عليّ آخر الملوك الصّنهاجيّين، نجده يبدأ بذكر الشّيب و فقده لبصره، ثمّ وصف الخمر و ساقيته، فوصول إلى مدح الأمير.[2]

في حين تخلّص منها بعض الشّعراء، واستهدفوا صلب الموضوع مباشرة من دون مقدّمات، و من ذلك قول ابنِ هَانِئ في إحدى قصائده الّتي مدح بها المعزّ[3]، دخل مباشرة إلى مدحه و ذكر صفاته، معتمدا على التّشبيهات الّتي ملأت النصّ بأكمله، محاولا أن يجعله مظهرا من مظاهر القوّة.

و ابنُ رَشِيق في قصيدته النّونيّة الّتي رثى بها مدينة القيروان العريقة، دخل فيها مباشرة إلى الرّثاء، مصوّرا إيّاها إبّان مجدها و ازدهارها و عزّها، و عظمة ملوكها، فوصف نكبة و محنة هذا البلد بانقضاض يد الغدر عليها، و الفتن الّتي أظلمت بسحبها أرضها.

---

[1]-" أنموذج الزّمان...":م س، ص59.

[2]-راجع الفصل الثاني: ص 111.

[3]- أنظر الملحق.

هذا باختصار ما جادت به قريحة الشّاعر، فكانت المشاعر الحزينة، والأفكار قد صوّرت المصاب خير تصوير، و الإحساس كان عميقا و صادقا . وقد توسّط القصيدة بيتان من الغزل في قوله :

وَ بِكُلّ بِكر كَالمَهَاة عَزِيزَة * تَسْبِي العُقُولَ بِطَرْفِهَا الفَتَّانِ

خُود مُبَتّلة الوِشَاح كَأَنَّهَا * قَمَر يَلُوحُ عَلَى قَضِيب البَانِ[1]

وهذا ابن النّحوي (ت513هـ)، يتخلّص أيضا من المقدّمات في شعر التوسّلات الّذي اشتهر به هذا الفقيه الكبير، صاحب أشهر قصيدة و هي المنفرجة؛ وهي أوّل نظم دلّ على حسن قريضه و براعته في نظم القوافي، إذ إنّ روحه الدّينيّة في توكّله على الله، و زهده في الدّنيا، يمنع من دخول أيّ مقدّمات. و هذا ما تميّز به الفقهاء و الزهّاد بعامّة، فهم بشعرهم يتضرّعون إلى الله عزّ و جلّ. و في تضمين قصيدته أربعة أجزاء، مقدّمة في انتظار الفرج، و عقيدة سليمة، ثمّ إرشاد و توجيه. فكانت الصّورة حسيّة، مثّلتها المسحة الدّينيّة الرّوحيّة، الّتي تؤثّر في النّفس و الحسّ العربي دون غيره، فالإحساس أصل و غاية.

*- الرّمز :

و هو البديل الّذي اتّخذه الشّاعر لتبيان قوّة الممدوح و شجاعته و كرمه و جوده، وقد تضمّنت الأشعار من هذا القبيل ما يلفت الانتباه. و رمز الأسد و البحر هما أكثر الرّموز سيطرة؛ و من أمثلة ذلك قول بعض الشّعراء في المنصور بالله :

وَ لَأَنتَ ذَلِكَ الفَارِسَ الأَسَدُ الّذِي * شَهِدَت لَهُ وَ أَقَرّت الفُرسَان[2]

[1] - البيت 38 من القصيدة.

[2] -" عيون الأخبار و فنون الآثار": م س، ص269.

و يقول ابن هانئ في إحدى مدائحه الّتي خصّ بها صاحب المسيلة جَعفَر بن عَلِيّ الأندلسي:

. .يَا لَيثَ كُلِّ عَرِينَةٍ،يَا بَدرَ كُلِّ * دُجُنَّةٍ،يَا شَمسَ كُلِّ ضَحَاء[1]

و غيرها من الأبيات الّتي كان فيها الأسد رمز الشّجاعة و القوّة، بغضّ النّظر عن صفة الشّراسة،و اعتبروه أقوى الحيوانات على الإطلاق.

إلى جانب رمز الأسد، هناك رمز البحر الدّال على الجود والكرم والسّخاء، ومن أمثلة ذلك قول ابن هانئ في مدح الخليفة المعزّ دائما:

. .جُودُ كَأَنَّ اليَمَّ فِيهِ نفَاثَة * وَ كَأَنَّمَا الدّنيا عَلَيهِ غُثَاء[2]

فكان البحر الرّمز الّذي عدّوه الأنسب لوصف جود الملوك، و تبيان كيف أنّ يدهم لم تكفّ يوما عن العطاء.

و لم يقتصر معناه على هذا المعنى فقط، بل رمزوا به إلى سعة علم الممدوح، و مقدرته الفائقة في العلم، و منها يقول تَمِيم بنَ المُعِزّ الفَاطِمِي مادحا أحد الخلفاء الفاطميين:

. .لأَنَّكَ فِي بَحرِ البَلاَغَةِ مَفرَق * وَ فِي سَاحَتِي أَرضِ النّبُوّةِ مُنجِب[3]

و في الإطار نفسه دائما، هناك قول آخر لشاعر الصنهاجيّين ابن رشيق، مادحا أحد القضاة يقول فيها:

. .وَ لَم أَرَ بَحرًا قَطّ يُدعَى بِجَعفَرٍ * سِوَاهُ وَ إِلاَّ فَالجَعَافِرُ أَنهَارُ[4]

---

[1]-" الديوان":م س، ص18.

[2]-م ن :ص 9.

[3]- " نقائض ابن المعتزّ وتميم بن المعز":م س ،ص69.

[4]-" الدّيوان": م س ،ص89.

إلى غير ذلك من الأبيات الّتي حملت هذه الرّموز الدّالّة على جود الملوك وسعة علمهم.

د- المعجم الشّعري:

حقله كبير و واسع، اتّسمت ألفاظه و مفرداته بتنوّع مصادرها. حتّى كانت هناك ألوان اختلفت منابعها، فأعطتنا أنامل هؤلاء الشّعراء المغاربة تناسقا و انسجاما و حسن الاختيار، و لم تغفل عيونهم عن أيّ مصدر أو أيّ شيء تحويه هذه الأرضيّة الواسعة.

*- المعجم الدّيني:

مادامت الرّوح الدّينيّة هي روح الشّاعر العربي المغربي، فهذا طبيعي أن يستلهم مفرداته و ألفاظه من منبعه الإسلامي. فالشّاعر عربي اللّسان، مؤمن القلب، إسلامي التّفكير. و قد اتّخذ اقتباسات من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشّريف؛ و ألفاظه الدّينيّة، ألفاظ تدلّ على الإيمان، و ذكر الأنبياء، كما ذكروا الله سبحانه و تعالى، و ذكروا الموت و القبر و غيرهما. و فيما يلي بعض ما جادت به قرائح هؤلاء.

يقول جَعفَر بنَ مَنصُور اليَمَن، في الخليفة الفاطمي المنصور إثر تمكّنه من يد الغدر:

. .فِي كُلِّ يَومٍ يُرِينَا اللهُ مُعْجِزَة * مِن نَصْرِه لَكَ تَحْلُو غُمَّةُ الكَرَبِ[1]

و يقول ابن رشيق من قصيدته الّتي بكى فيها القيروان:

. .وَ تَجَمَّعَت فِيهَا الفَضَائِل كُلّها * وَ غَدَت مَحَلّ الأَمْنِ وَ الإِيمَانِ[2]

[1]-" عيون الأخبار و فنون الآثار ":م س، ص269.

[2]-" الديوان": م س ،ص204.

و أكثر الكلام ظهورا، كان في قصائد الزهّاد و المتصوّفة، حيث ظهرت معالم التّوبة و الإيمان و الاستغفار، و منهم ابن النّحوي (ت513هـ) الّذي يقول مشتكيا إلى الله سبحانه و تعالى:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَ النَّاس قَدْ رَقَدُوا * وَ قُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِد

وَ قُلْتُ يَا سَيِّدِي يَا مُنْتَهَى أَمَلِـــي * يَا مَنْ عَلَيْهِ بِكَشْفِ الضَرِّ أَعْتَمِدُ[1]

و من قصيدته المنفرجة هذه الأبيات:

وَاتْلُ الْقُرْآنَ بِقَلْبٍ ذِي * حَرَق وَ بِصَوْتٍ فِيهِ شَجِ

وَ صَلاَةِ اللَّيْلِ مَسَافَتُهَا * فَاذْهَبْ فِيهَا بِالْفَهْمِ وَجِ.[2]

و هناك أبيات أخرى ضمن أشعار هؤلاء المغاربة، تتضمّن ألفاظا تدلّ على الإيمان و التّقوى؛ فهي الّتي دلّت على أنّهم يتنفّسون في جوّ مشبع بالثّقافة الدّينيّة. و كان ابنُ هَانِئ أكثرهم استخداما لها في مدائحه.

*- المعجم التّاريخي:

وهو ما أكّد حضورالشّعراء و مواكبتهم لحروب العصر، و هي كثيرة؛ وصفوا بعض المعارك، و تحدّثوا عنها من خلال مدائحهم للملوك. و منها قصيدة ابن رشيق النّونيّة في رثاء القيروان، فكان التّفصيل فيها جامعا لكلّ ما جرى، ذاكرا النّكبة الّتي ألّمت بالبلد بعد أن كانت زهرة وسط الزّهور.

1- " عنوان الأريب..":مس،ص51.

2 - أنظر القصيدة كاملة في الملحق.

و منها أيضا قول لعبد الله بنَ أصبَغ، و دائما بأرض القيروان:

وَ يَوم بِأَرضِ القَيْرَوَان شَهِدْتُـــــه * وَ قَد ظَلَّ فِيهِ الجَوُّ أَغْبَرَ أَقْتَمَـــا

وَ كَاشَت بِهِ الأَبْطَال خَوفًا وَ أَخرَسَت * لِمَوضِع خَطْبٍ تَمْلأُ السَّمْعَ وَ الفَمَا[1]

و يقول ابن هانئ في الحرب دائما:

ضَرُوس لَهَا أَنبَاء صِدقٍ تَحُشُّهَا * فَمِن خَادِر وَرْدٍ وَ أَشْجَع أَيْهَم

رَدَدَت رَمَاحِيهَا بِأَوَّلِ صَدْمَة * وَ زَعْزَعَة خَيْلُهَا بِأَوَّل مَقدم[2]

و غيرها من المواصفات الّتي كشفت النّقاب عن حال شعب تلك الفترة، و معاناته الشّديدة. و كلّ تلك الأشعار كانت شاهدا على الفتن الّتي اجتاحت أراضي المغرب في ذلك العصر، و أنزلت به خرابا و دمارا، فراح الشّعراء يصفون قسوة الحروب و آلامها، و في الوقت نفسه بسالة و شجاعة الملوك، و تمكّنهم و سيطرتهم على الوضع، و قدرتهم على حماية الشّعب من خطر الحروب.

*- المعجم الاجتماعي:

إنّ الشّاعر إذا ما أخذ يقلّب عيناه في محيطه، فإنّه يغفل حتما عن مجتمعه الّذي تربّى داخله و نشأ؛ و ما وصلنا من تلك الأشعار تضمّن بعض الآفات، و منها الألفاظ الدّالّة على آفة الكذب؛ يقول ابنُ هَانِئ في الوَهْرَاني من قصيدة هجاه بها:

كَاذِبُ الزَّعم مُسْتَحِيل المَعَانِي * فَاسِدُ النَّظمِ فَاسِدَ التَّأْلِيفِ

[1]- " عيون الأخبار و فنون الآثار": م س،ص241.

[2]- "رفع الحجب المستورة..." : م س،ص89، "الديوان" : م س : ج 3،ص 320.

أَنتَ لاَ تَغتَدِي لِتَدبِيرِ مُلك * إِنَّمَا تَغْتَدِي لِرغم الأُنُوفِ[1]

و من الآفات أيضا البخل الّذي ذمّه الكثيرون، منهم أبُو إِسْمَاعِيل الكاتب الشّاعر الصّنهاجي يقول فيها:

قُل لِلبَخِيلِ: وَ إِن أَصبَحتَ ذَاسِعَةٍ * لَأَنتَ بِالبُخلِ فِي ضِيق وَ إِقلَالِ

لَتَأْسَفَنَّ عَلَى تَركِ النَّدَى نَدَمَـــا * إِذَا تَخَلَّيتَ من أَهل وَ مِن مَالِ[2]

كما تحدّثوا عن كرم النّاس و أهل البلاد، و تناولوا مختلف الآفات الاجتماعيّة، فالمجتمع مصدر الإلهام، و منبع من منابع الأفكار.

*- المعجم الطّبيعي:

الطّبيعة مصدر انعكاس لجميع التّشبيهات، الّتي أودعت في الشّعراء جميع أسرارها، تلك الّتي يتّسع جمالها أمام من تحبّ و تكره، و تلك الّتي كلّما أحبّها الشّاعر و الأديب ازدادت استفهاما. الطّبيعة و كلّ ما تحويه الطّبيعة، ألا تدهش حقّا؟، و حسبها الجمال ممتلكا للشّاعر يستعمله كيفما يشاء.

فكان شعر هؤلاء المغاربة في تلك الفترة يحمل قطعا منتزعة من أجزاء الطّبيعة، و بها تكلّم عن مختلف خلجات نفسه؛ و عبّر عمّا شعر به لمجرّد رؤية إحدى الظّواهر، و تقليب أبصاره في ملكوت الله. و كانت كلّ كلمة لها أصلها في الطّبيعة، و الأداة الدّالّة على حجم سخاء هذا و بخل ذاك... و هكذا..

[1]- "الدّيوان": م س،ص 214.

[2]- "أنموذج الزّمان..":م س، ص51.

و من بين الأمثلة أذكر قول عَلِيّ بنَ مُحَمَّد الإيَادِي، يذكر فيه تشبيها بالرّبيع، ذلك البساط الزهريّ الجميل:

فَكَأَنَّمَا البَحْرُ اسْتَعَارَ بِزِيِّهِم * ثَوبَ الجَمَالِ مِن الرَّبِيعِ المُعْجَبِ[1]

و نجدهم في أبيات أخرى يذكرون الحيوانات الأليفة و يصفونها، و منها الخيل. يقول ابن هانئ بشأنها:

وَ مِن رِفْقِهَا أَنَّهَا لاَ تُحَسّ * وَ مِن عَدْوِهَا أَنَّهَا لاَ تُرَى

جَرَيْنَا مِنَ السَّبْقِ فِي حَلْبَة * إِذَا مَا جَرَى البَرقُ فِيهَا كَبَا[2]

و ذكروا في مواصفاتهم أيضا الفيل و الزّرافة، يقول عبد الكريم النّهشلي (ت405هـ) في وصف فيل و قد أجاد:

وَ أَضْخَم هِنْدِيّ النِجَّارِ تَعُدُّه * مُلُوكُ بَنِي سَاسَان إِنْ رَابَهَا أَمْرُ

. . . يَجِيء كَطُودِ جَائِل فَوقَ أَرْبَـع * مُضَبَّرَة لُمَّت كَمَا لُمَّت الصَّخر[3]

و قد وصفها وصفا دقيقا، و ألّم بكلّ ما يميّزه عن سائر الحيوان.

و يقول ابن رشيق في وصف هديّة و هي زرافة:

. . . وَ أَتَتْكَ مِن كَسْب المُلُوكِ زَرَافَـــة * شَتَّى الصِّفَاتِ لِكَوْنِهَا أَنْبَاء

جَمَعَت مَحَاسِنَ مَا حَكَت فَتَنَافَسَت * فِي خَلقِهَا وَ تَنَافَت الأَعضَاء[4]

---

[1]-"رفع الحجب المستورة..":م س،ص36.

[2]-" الدّيوان":م س ،ص22.

[3]-" المغرب العربي تاريخه و ثقافته":م س،ص298.

[4]-" الديوان":م س،ص15.

و لم يكن من جانب الحيوانات الأليفة فقط، بل تعدّاها إلى الحيوانات المتوحّشة، و منها الأسد الّذي كان رمز الشّجاعة و القوّة، إلى جانب وصفهم لسمك القرش في قول لابن قَاضِي مِيلَة:

وَ أَشغَى بِكَفَّيهِ مِثْلَ المُـدَى * طَوِيل القَرَا مُدمج الأَعْظَمِ

تَصَرَّفُهُ فِي ضَمَانِ المِيـــاهِ * وَ مُهْجَتُهُ فِي يَدِ الخِضـرم

يَخَافُ الهَوَاءَ وَ يَخشَى الضِّيَـاءَ * وَ إِنْ كَانَ أَجرَأَ مِن ضَيْغَمِ

لَهُ دَاخِل اليَمِّ بَطْشُ الأُسُـــود * وَ تَصحَبُهُ مِشيَةُ الأَرْقَـمِ[1]

و غيرهما . و لم يتوقّف الوصف عند هذا الحدّ؛ بل إنّهم رفعوا بصرهم إلى السّماء، فأذهلهم جمال النّجوم و بريقها، يقول ابنُ هَانِئ:

وَ وَلَّت نُجُومٌ لِلثُّرَيَّا كَأَنَّهَا * خَوَاتِم تَبدُو فِي بَنَانِ يَدٍ تَخْفَا[2]

و ذكروا البدر بجميع مراحله و خصوصا في الغزل، و أيضا اللّيل و النّهار و الكواكب، و وصفوا الأزهار بأنواعها، من مثل قول ابن رَشِيق في البنفسج:

بَنَفسَج جَاءَكَ فِي حِينِ لاَ * حُرٌّ يُرَى فِيهِ وَ لاَ فَرْط بَرد[3]

و أخذت الفواكه نصيبها أيضا في كلامهم، كقوله في الموز:

لِلّهِ مَوزٌ لَذِيـذٌ * يُعِيذُهُ المُستَعِيذُ

---

[1]-"أنموذج الزّمان.."م س،ص225.[أشغى: متخالف الأسنان في نظامها،القرا :الظّهر،الخضرم: البحر المتلاطم].

[2]- " رفع الحجب المستورة.."م س، ص106، الديوان : م س ، ص205

[3]- " الديوان": م س،ص65.

فَوَاكِهُ وَ شَرَابُ * بِهِ يَفِيقُ الوَقِيذُ[1]

و ذكروا الماء و البحر الدّالّ على السّخاء، و ذكروا الرّياض و وصفوا الخصب و النّماء الّذي كان يسود الأرجاء، و منها يقول الحَكِيمُ أَبُو الصَّلْت (ت520هـ) في الأمير يَحيَ بنَ تَميم بنَ المُعِزّ الصّنهاجي:

. . .وَ سَقَى النَّعِيمَ بِذَوبِهِ وَ جَنَاتِهَا * فَوشَى بِهَا حُلَلَ الرِّيَاضِ وَ دَبَّجَا

الآسِ أَخضَر و الشَّقَائِقُ غَضَّةَ * وَ الأَقحُوَان كَمَا عَلِمت مُفَلَّجَا[2]

و ظهرت هذه الألفاظ بخاصّة في الحنين إلى البلدان، فذكروا الأراضي الخضراء و أشجارها العالية، و أزهارها الجميلة. فكان نوع من إظهار جمال البلاد و حبّ الوطن، و تبيان لما يحنّ لها .

فكانت المواصفات كثيرة، و المعاني جميلة حملت مختلف الألفاظ المأخوذة من الطّبيعة الجميلة، كما قلّبوا أبصارهم صوب القصور و البساتين؛ و لم يفتهم منظر البحر والسّفن الّتي تطفو على مياهه في حروب الملوك، و وصفوا الظّواهر كالبرق و المطر و السّحب. إلى غير ذلك من المواصفات الّتي استغلّها الشّعراء المغاربة ضمن أشعارهم، و نقلوها بشكل رائع جدّا .

تِلْكُم باختصار ما جادت به مشاعر الشّعراء، فكانت المشاعر الفرحة و الحزينة، و الأفكار قد صوّرت ما يجول بخاطرهم خير تصوير. وقد حضر الشّاعر الخراب و رأى الدّمار الّذي حلّ بالبلدان، و التقط مختلف الصّور الشعريّة من واقع و لوحة حيّة، فكان

[1]-م س: ص70.

[2]-"خريدة القصر..":م س،ص247.

المدح و الرّثاء، و الهجاء و الزّهد و مختلف الأغراض. فالإحساس أصل و غاية، و هذه كانت مهمّة الشّاعر المغربي لهذه الفترة.

أمّا من جهة النّثر، فقد تدفّقت المعاني في تلك الخطب و الرّسائل و التّوقيعات و الوصايا، الّتي اتّخذت أسلوب الإقناع، كمحاولة لاستمالة النّاس والتّأثير عليهم. و لم تكن بمنأى عن الإبداع و حسن استخدام اللّفظ، فكانت كتاباتهم بديعة في تعبيراتها، السّجع حليتها، ذات جمل قصيرة وطويلة تحمل تشبيهات تناسب المعنى الّذي أراده الكاتب، مع ألفاظ متناسقة، و مع حسن الرّبط بين الجمل. و كانت الثّقافة الدّينيّة ظاهرة من خلال الألفاظ؛ و في بعض الأحيان اقتباسات من القرآن الكريم و الحديث الشّريف.

و ما تميّزت به أيضا ،هو الأسلوب المباشر البليغ و المعبّر، و الألفاظ السّهلة البعيدة عن التّكلّف والغموض.

و كانت العناية بالمضمون دون الشّكل، فالآيات كانت عونا و زادا لتثبيت الرّأي، وحلية خفيفة لتزيين القول. فالقرآن خير بيان و أجمل قول، وأبلغ كلام، يهذّب الطّباع و يصقل الذّوق الأدبيّ لدى العربي. و اللّسان ترجمان اللبّ و بريد القلب، و المبيّن عن الاعتقاد بالصحّة و الفساد كما قال الشّاعر:

وَ هَذَا اللِّسَانُ بَرِيدُ الفُؤَا * دِ يَدُلّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

و قول آخر :

إِنَّ الكَلاَمَ لَفِي الفُؤَادِ وَ إِنَّمَا * جَعَلَ اللِّسَانَ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيلاَ

لاَ يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيب قَوْلُه * حَتَّى يَكُونَ مَعَ البَيَانِ أَصِيلاَ [1]

هذا، و على الرّغم من الفتن و الحروب الّتي سيطرت على الفترتين، و على الرّغم من الخلافات بين المذاهب، و خصوصا الشّيعة الّذين سيطروا و حاولوا ترسيخ مذهبهم بالقوّة، و إجبار الناس على اعتناقه؛ فإنّ ذلك لم يؤثّر على الحياة الأدبيّة؛ بل إنّه زادها قوّة و ازدهارا؛ و كان كالحافز على نظم أشعار و كتابة خطب ورسائل للدّفاع عن مذهبهم، و الوسيلة المثلى للتّحريض على الحروب و إعلان عن وفاة خليفة و تنصيب آخر.

و نجح الفاطميّون إلى وقت ما و الصنهاجيّون بعد تولّيهم أمور الخلافة بالشّعر كما بالسّيف في المغرب؛ حتى إنّ الطّاغية مخلّد بن كيداد، و العدوّ الأكبر للصنهاجيّين بنو هلال كان لهم الدّور الكبير في تدعيم هذه الحركة الأدبيّة التي نجحت و ازدهرت.

و هكذا انتقلت لغة العرب بعد الإسلام من عهد إلى عهد، وغيّرت الكلام و مميّزات القول، وأخذت صيغة نفذت بها إلى قلوب النّاس عبر الأسماع. و استطاعت أن تؤثّر فيها، وذلك لقدرة الأدباء و العلماء و براعتهم في صياغة الكلام و حسن التّركيب، بما أفاضه عليهم القرآن، لبّ الكلام العربيّ و الأدب ككلّ؛ فكان البيان و الحجّة الّتي تدعّم الكلام وتؤثّر على قلب المسلم من مسلم، بسحر الحكمة البالغة للنبي الكريم ﷺ. فكلّ ذلك كسبه الأديب حتّى نقل غرضه، و أكسبه معجما أدبيّا دينيّا، مع حسن التّنسيق و حسن الرّبط.

[1] – " مجلة الحضارة الإسلامية": الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي. المعهد الوطني للتعليم العالي، وهران، العدد 1، 1414هـ/1993هـ عن محاضرة للدكتور : عبد العزيز شرف: تحت عنوان:"التفسير الإعلامي للمدائح النبوية في الأندلس"، ص 165 – 166.

فالأدب المغربيّ موجود، و أدباؤه من أشهر الأدباء، و لم يتركوا نوعا إلاّ نظموا فيه، ولا موضوعا إلاّ و كتبوا فيه. و إن انقسم الأدب بين الفترتين بحكم كثرة النّثر و قلّة الشّعر إلاّ أنّ التّكامل يجمعها، و حتّى الفترة الأغلبيّة الّتي كانت قبلهما تركت تراثا استفاد منه الفاطميّون والصنهاجيّون. فكان المغرب في أبهى حلّته من جهة الأدب، لولا الحروب التي عكّرت صفو سمائه.

كما كان للهجرة دور، إذ ظل المغرب يستقطب اهتمام الأدباء و الشعراء، حتّى سمّي بعض الشعراء بالمغاربة مع أنّهم أندلسيّون مثلا : كابن هانئ الذي أضحى مغربيّا، لأنّ مدّة إقامته في الأندلس لم يعثر له فيها على أية قصيدة.

كما تأثّر الأدباء المغاربة بسابقيهم، فكانت كتاباتهم تحمل الأثر واضحا، مع محاولة للتخلّص من بعضه. و كانت محاولاتهم قليلة، إلاّ أنّ براعتهم تدلّ على قدرتهم، و تلك القدرة هي الّتي أظهرت أدب المغاربة و براعتهم؛ و كلّ ذلك يرجع إلى الحكّام و اعتنائهم بالأدباء، و تشجيعهم على الكتابة و حثّهم عليها.

الفهرس

لقد اتّضح من خلال الحديث في فصول الرّسالة أنّ النهضة الأدبية في المغرب العربي من (296هـ إلى 547هـ)، قد شملت عهد الفاطميّين و عهد الصنهاجيّين، حيث عمل حكّامها و ملوكها على تطوير الحركة الأدبيّة الّتي لا تخلو من إبداع و اهتمام كبيرين تجّاه أهمّ مجال من مجالات الحياة. و الّذي لمسته من خلال محاولتي هذه، و التي أفضت إلى نقاط اختصرتها في القضايا الآتية :

- شهد العصر عدّة تغيّرات مسّت حياته السياسيّة و الأدبيّة و الفكريّة، فقد مرّت به عاصفة حملت معها حروبا و صراعات و فتنا، لم تبرح العصر حتّى قرب على مشارف نهايته. طبعت فيه و تركت رواسب احتفظت بها كتب عديدة على مرّ السنين، مع أنّ التقلّبات قد مسّت أقطار المغرب كلّه، مع كلّ شمس حضارة سطعت على أرضه.

إلاّ أنّ تلك الحروب و ظهور النّزاعات، و دخول عرب بني هلال إلى تلك الأراضي، ساهم في التّعريب و قدّم خدمة للأدب من خلال الاحتكاك الذي تمّ إثر ذلك.

- ظهر الأدب في الفترة المذكورة فحمل معه إبداعا من جانب الملوك و من عامّة القوم؛ فحظيت الدّولة الفاطميّة - على الرّغم من قصر الفترة التي حكمتها - بنخبة طيّبة من الأدباء و المؤرّخين والعلماء، في حين انتعشت حياة العهد الصّنهاجي بأكثر من أيّ عهد مضى، و ازدهرت معالم حضارتها؛ و اعتبرت فترة حكمهم بمثابة العصر الذهبي لبلاد المغرب في ميادين شتّى. و ما طبع الفترتين هو الخصام و الجدال الذي حدث بين الشّيعيّين و السنّيّين، مما أسفر عن نوع من الجدال الأدبي، و محاولة تبيان عيوب المذهبين.

- تطوّر النثر بجميع أنواعه تقريبا، فظهرت الخطب التي اقتصرت على الحكّام و الملوك إلى مواليهم و شعوبهم؛ و الرّسائل التي احتكرت الجانب الكبير من الأهميّة، كما ظهر فنّ التّوقيع، و المناظرات، إضافة إلى الكتابات العادية المسجوعة.

أمّا القسم الثاني، الذي أخذ النّصيب الكبير فهو الشّعر، صاحب المكانة المرموقة منذ القدم؛ و الّذي تعدّدت موضوعاته و اختلفت أغراضه، و تنوّعت بحوره. و في هذه الفترة، كان له ارتباط كبير بالملوك و ولاتهم، و لم يواكب كثيرا الأحداث السياسيّة. و ما ميّز أسلوب هؤلاء، هو التّقليد الذي برز عند الكثير منهم، مع محاولة للتخلّص من هذا القيد، و لكن بمحاولات قليلة. و من جديد العصر الصنهاجي، ظهور النقّد الشعري الذي انفرد به العصر دون سواه. و قد ظهر في الفترتين مجموعة من الشعراء و الكتّاب و النقّاد البارزين، اشتهروا بأسلوبهم و إبداعهم و حسن صياغتهم.

فاهتمام الحكّام و تشجيعهم للعلم، إضافة إلى براعة العلماء و الأدباء مع محافظتهم على القيمة و الرّوح الدّينيّة، و الصّراعات القائمة بين أهل السنّة و أهل الشّيعة، زيادة على ذلك، التّأثير الشرقي، و الرّحلات للاستفادة و الإفادة؛ كلّ ذلك ساهم و بشكل كبير في تدفّق ينبوع الأدب على أرض المغرب.

كانت هذه بعض أخبار السّلف للخلف، أخبار تحكي عن الأيام الخوالي التي عاشها المغرب العربي تحت حكم إحدى الحضارات، التي ارتقت به نحو الأفضل. مع أنّ الحروب مزّقت أوصاله إلى دويلات، تصارع و تنافس عليها المتنافسون لضمّها و بسط نفوذهم عليها.

على أني لم آت فيها بجديد أو مبتكر حديث، وإنما الذي قمت به هو جمع و تدوين لما كنت سطرته في خطة وضعتها . و ما صياغتي إلا صياغة تاريخية تحمل الصدق و الإخلاص و الأمانة العلمية.

و مهما يكن فلا زالت هناك افتراضات و تساؤلات تتطلب المزيد من البحث و التنقيب؛ وكما قالوا : " الكتاب يتصفح أكثر مما يتصفح الخطاب، لأن الكاتب متخير، و المخاطب مضطر، و من يرد عليه كتابك، فليس بعلم أأسرعت فيه، أم أبطأت، و إنما ينظر أأخطأت أم أصبت، فإبطاؤك غير قادح في إصابتك، كما أن إسراعك غير مغط على غلطك" . و بهذا فالكمال لله سبحانه و تعالى.

الملحق

بأهم أدباء هذه الفترة و بنصوص من إنتاجاتهم

ابن هانئ المغرب الأندلسي (326 هـ؟ - 362 هـ)

أبو القاسم محمّد بن هانئ الأزدي، ولد بمدينة إشبيلية و نشأ بها، و اشتغل بالعلم والأدب فبرع و فاق؛ وقال الشعر فمهر فيه، و كان كثير الانهماك في الملاذ. اتّهم بمذهب الفلاسفة، و هذا ما جعله يبتعد عن بلده، فخرج عنها و عمره سبعة و عشرون سنة.

فاتّصل بجوهر الصقلّي ثم المعزّ نفسه، فبالغ في إكرامه حين مدحه و علت منزلته عند الخليفة الفاطمي، فجعله الشاعر الخاص.

و قد اختلف المؤرّخون في سبب موته، بين القتل، و موته من شدّة البرد و كان سكرانا، وبين وجوده مخنوقا بشكّة سراويله، و مهما كان الأمر فإنّه مات و لم يتجاوز 36 سنة. وهو الذي قسّمت حياته إلى نصفين بين الأندلس و المغرب، إلاّ أنّ الضباب يغطي فترات شاسعة من حياته ولاسيما الفترة الأندلسيّة، فهي لغز محيّر: سبعة و عشرون عاما قضاها بالأندلس ولم يذكر لها صدى في شعره و لا حتّى بيتا واحدا. تنقل عبر أقطار المغرب، فمرّ بفاس ثمّ انتقل إلى المغرب الأوسط (الجزائر) و استقرّ مدّة بالمسيلة، ثمّ دخل إفريقية (تونس). من مؤلّفاته : الدّيوان، حيث يحوي شعره قصائد متفاوتة الطّول، تتراوح بين 11 بيتا و مائة بيت، و تبلغ قصيدة أخرى 200 بيت.

من مراجع ترجمته :

- "الإحاطة في أخبار غرناطة" : لسان الدين بن الخطيب، ص 288 .. 293.
- "ديوان ابن هانئ الأندلسي" : كرم البستاني ، ص 5 .. 7.
- "عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب" : محمد النيفر ، ص 29 .. 31.
- "ابن هانئ المغربي الأندلسي" : محمد اليعلاوي ، ص 6 ..81.

من قصائده الكثيرة في مدح الخليفة المعزّ، قال في إحداها :

أنت الواحد القهّار .

مَا شِئْتَ لاَ مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ * فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الوَاحِدُ القَهَّارُ

وَكَأَنَّمَا أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ * وَكَأَنَّمَا أَنْصَارُكَ الأَنْصَارُ

أَنْتَ الَّذِي كَانَتْ تُبَشِّرُنَا بِهِ * فِي كُتْبِهَا الأَحْبَارُ وَالأَحْبَارُ

هَذَا إِمَامُ المُتَّقِينَ وَمَنْ بِهِ * قَدْ دُوِّخَ الطُّغْيَانُ وَالكُفَّارُ

هَذَا الَّذِي تُرْجَى النَّجَاةُ بِحُبِّهِ * وَبِهِ يُحَطُّ الإِصْرُ وَالأَوْزَارُ

هَذَا الَّذِي تُجْدِي شَفَاعَتُهُ غَدًا * حَقًّا وَتُحْمَدُ أَنْ تَرَاهُ النَّارُ

مِنْ آلِ أَحْمَدَ كُلُّ فَخْرٍ لَمْ يَكُنْ * يُنْمَى إِلَيْهِمْ لَيْسَ فِيهِ فَخَارُ

كَالبَدْرِ تَحْتَ غَمَامَةٍ مِنْ قَسْطَلٍ * ضَحْيَانُ لاَ يُخْفِيهِ عَنْكَ سِرَارُ

فِي جَحْفَلٍ هَتَمَ الثَّنَايَا وَقْعَهُ * كَالبَحْرِ فَهْوَ غَطَامِطٌ زَخَّارُ

غَمَرَ الرِّعَانَ البَاذِخَاتِ وَأَغْرَقَ * القَنَنَ المَنِيفَةَ ذَلِكَ التَّيَّارُ

زَجِلٌ يُبَرِّحُ بِالفَضَاءِ مَضِيقُهُ * فَالسَّهْلُ يَمٌّ وَالجِبَالُ بِحَارُ

لِلّهِ غَزْوَتُهُمْ غَدَاةَ فَرَاقِسٍ * وَقَدِ اسْتَشِبَّتْ لِلكَرِيهَةِ نَارُ

وَالمُسْتَظِلُّ سَمَاؤُهُ مِنْ عِثْيَرٍ * فِيهَا الكَوَاكِبُ لَهْذَمٌ وَغِرَارُ

وَكَأَنَّ غَيْضَاتِ الرِّمَاحِ حَدَائِقٌ * لُمِعَ الأَسِنَّةِ بَيْنَهَا أَزْهَارُ

وَثِمَارُهَا مِنْ عِظْلِمٍ أَوْ أَيْدَعٍ * يَنِعٍ فَلَيْسَ لَهَا سِوَاهُ ثِمَارُ

وَالخَيْلُ تَمْرَحُ فِي الشَّكِيمِ كَأَنَّهَا * عِقْبَانُ صَارَةَ شَاقَهَا الأَوْكَارُ

مِنْ كُلِّ يَعْبُوبٍ سَبُوحٍ سَلْهَبٍ * حَصُّ السِّيَاطِ عِنَانَهُ الطَّيَّارُ

لاَ يَطْبِيهِ غَيْرُ كَبَّةٍ مِعْـــرَكٍ * أَوْ هَبْوَةٍ مِنْ مَأْقِطٍ وَ مَغَـــارِ

سَلِطُ السَّنَابِكِ بِاللُّجَيْنِ مُخَـدَّمٌ * وَ أُذِيبَ مِنْهُ عَلَى الأَدِيمِ نِضَارِ

وَ كَأَنَّ وَفْرَتَهُ غَدَائِرُ غَـــادَةٍ * لَمْ يَلْقَهَا بُؤْسٌ وَ لاَ إِقْتَـــارُ

وَ أَحَمَّ حُلْكُوكٌ وَ أَصْفَرَ فَاقِـعٌ * مِنْهَا وَ أَشْهَبَ أَمْهَقَ زَهَّـــارِ

يَعْقِلْنَ ذَا الْعُقَّالِ عَنْ غَايَاتِـــهِ * وَ تَقُولُ أَنْ لَنْ يَخْطُرَ الأَخْطَـارِ

مَرَّتْ لِغَايَتِهَا فَلاَ وَ اللهِ مَـــا * عَلِقَتْ بِهَا فِي عَدْوِهَا الأَبْصَارِ

وَ جَرَتْ فَقُلْتُ أَسَابِحٌ أَمْ طَائِـرٌ * هَلاَّ اسْتَشَارَ لِوَقْعِهِنَّ غُبَـارِ

مِنْ آلِ أَعْوَجَ وَ الصَّرِيحِ وَ دَاحِسٍ * فِيهِنَّ مِنْهَا مِيسَمٌ وَ نِجَـــارُ

وَ عَلَى مَطَاهَا فِتْيَةٌ شِيعِيَـــةٌ * مَا إِنْ لَهَا إِلاَّ الْوَلاَءَ شِعَـــارِ

مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ بَاسِلٍ مُتَخَمِّـطٍ * كَاللَّيْثِ فَهُوَ لِقَرْنِهِ هَصَّـــارُ

قَلِقٌ إِلَى يَوْمِ الْهِيَاجِ مُغَامِـــرٌ * دَمُ كُلِّ قَيْلٍ فِي ظُبَاهُ جُبَـــارِ

إِنْ تَخْبُ نَارُ الْحَرْبِ فَهُوَ بِفَتْكِهِ * مِيقَادُهَا مِضْرَامُهَا الْمِغْـــوَارُ

فَأَدَاتُهُ فَضْفَاضَةٌ وَ تَرِيكَـــةٌ * وَ مُثَقَّفٌ وَ مُهَنَّدٌ بَتَّـــارُ

أُسْدٌ إِذَا زَارَتْ وَ جَارَ ثَعَالِبٍ * مَا إِنْ لَهَا إِلاَّ الْقُلُوبَ وِجَارُ

حَفُّوا بِرَايَاتِ الْمَعَزِّ وَ مَنْ بِـــهِ * تَسْتَبْشِرُ الأَمْلاَكُ وَ الأَقْطَارُ

هَلْ لِلدِّمَشْقِيِّ بَعْدَ ذَلِكَ رَجْعَةٌ * قُضِيَتْ بِسَيْفِكَ مِنْهُمُ الأَوْطَارُ

أَضْحَوْا حَصِيدًا خَامِدِينَ وَ أَقْفَرَتْ * عَرَصَاتُهُمْ وَ تَعَطَّلَتْ آثَـــارُ

كَانَتْ جِنَاناً أَرْضُهُم مَعْرُوشَـــــةٌ * فَأَصَابَهَا مِنْ جَيْشِهِ إِعْصَـــارُ

أَمْسَوْا عَشَاءَ عَرُوبَةٍ فِي غِبْطَـــــةٍ * فَأَنَاخَ بِالمَوْتِ الزُّؤَامِ شِيَـــــارُ

وَاسْتَقْطَعَ الخَفَقَانُ حَبَّ قُلُوبِهِـــــم * وَجَلَا الشُّرُورَ وَحُلَّتِ الأَدْعَار

صَدَعَتْ جُيُوشَكَ فِي العِجَاجِ وَعَانَشَتْ * لَيْلَ العَجَاجِ فَوَرْدُهَا إِصْـــدَار

مَلَأُوا البِلَادَ رَغَائِبًا وَكَتَائِبَـــــا * وَقَوَاضِبًا وَشَوَازِبًا إِنْ سَارُوا

وَعَوَاطِفًا وَعَوَارِفًا وَقَوَاصِفَـــــا * وَخَوَانِفًا يُشْتَاقُهَا المِضْمَـــارُ

وَجَدَاوِلاً وَأَجَادِلاً وَمَقَـــــاوِلاً * وَعَوَامِلاً وَذَوَابِلاً وَاخْتَـــارُوا

. . .

"ديوان ابن هانئ" : م س ، ص 146 .

... الحُصري (؟ – 413 هـ)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري القيرواني، الشاعر المشهور و النّاقد؛ ولد بالقيروان و بها نشأ و أخذ عن علمائها . نشأ على الوراقة و النّسخ لجودة خطّه، و الحصري : نسبة إلى عمل الحصر و بيعها، فقال الشّعر الفائق و ألّف المؤلّفات النّفيسة منها : كتاب : "زهر الآداب و ثمر الألباب"، جمع فيه كلّ غريب من النثر و النظم.

و له كتاب : "المصون في سرّ الهوى المكنون"، و له ديوان شعر، و له كتاب آخر اسمه "جمع الجواهر في الملح و النوادر"، طبع باسم آخر هو : "ذيل زهر الآداب".

توفي بالقيروان، و بشأن ما ذكر عنه أنّه يحب المجانسة و المطابقة، و يرغب في الاستعارة.

و من الكتب التي تناولته بالترجمة :

- " عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب " : محمد النيفر ، (ج1) ، ص 43.
- " أنموذج الزمان في شعراء القيروان " : للحسن بن رشيق ، ص 45.
- " زهر الآداب و ثمر الألباب " : للحصري ، (ج2) ، ص 4.
- " وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان " : ابن خلكان ، (مج1) ، ص 54 – 55.

الحسن بن رشيق : (390 هـ - 463 هـ؟)

هو أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي القيرواني، إذ ولد بالمسيلة (المحمديّة)، و مكث طويلا بالقيروان؛ أديب من كبار الأدباء، باحث، شاعر و ناقد .علّمه أبوه صنعته، و هي الصّياغة، و خدم ملوك القيروان طوال مكوثه بها؛ و لكن هذا لم يمنعه من أن ينهل من شيوخ متعدّدي الثّقافات و الاتّجاهات، بين مشتغل باللّغة، و من غلب عليه النّقد أو الشّعر؛ و منهم : أبو عبد الله النحوي المعروف بالقزّاز (ت 412 هـ)، و ابن أبي سهل الخشني البقّال الضّرير (ت406 هـ)، و أبو عبد الله الحصري (ت 413 هـ) .

كما اتّصل بالكاتب الشّاعر، أبي الحسن علي بن أبي الرجّال و مدحه. و واصل ابن رشيق حياته في صحبة المعزّ لدين الله الصنهاجي من ملوك بني زيري المشهورين بعد اتّصاله به. أمّا عن وفاته فقد اختلف من ترجموا له في السّنة، أمّا عن المكان فقيل في "مازر" بصقليّة. وقد توّج الحركة الأدبيّة و النقديّة بمجموعة من المؤلفات و الرّسائل، أذكر منها : " العمدة في محاسن الشّعر و آدابه"، الذي رفعه إلى ابن أبي الرجّال؛ "قراضة الذهب"، "كشف المساوئ"، "أنموذج الزّمان"؛ و من رسائله : رسالة "ساجور الكلب"، و رسالة "قطع الأنفاس"، و غيرها؛ أمّا عن شعره فقد جمع في ديوان، مجموع أبياته 743 بيتا موزّعة

من الكتب التي ترجمت له :

- " خريدة القصر و جريدة العصر " : للعماد الأصفهاني ، ص 121.
- " ديوان ابن رشيق القيرواني " : لعبد الرحمن ياغي ، ص 7.
- " العمدة في محاسن الشعر و آدابه " : للحسن بن رشيق القيرواني ، ص 9 (ج1) .
- " معجم أعلام الجزائر " : عادل نويهض ، ص 150.

على 214 قصيدة و مقطوعة، و أبيات مفردة تبلغ العشرين؛ و أطول قصيدة له كانت في رثاء القيروان، و قد بقي منها 56 بيتا، و قيل أنها بلغت 122 بيتا .

و من كلماته في رثاء القيروان يقول :

كَمْ كَانَ فِيهَا مِنْ كِرَامٍ سَادَةٍ * بِيضِ الوُجُوهِ شَوَامِخِ الإِيمَانِ

مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الدِّيَانَةِ وَ التُّقَى * لِلّهِ فِي الإِسْرَارِ وَ الإِعْلاَنِ

وَ مُهَذَّبٍ جَمِّ الفَضَائِلِ بَاذِلٍ * لِنَوَالِهِ وَبِعِرْضِه صَوَّانَ

وَ أَئِمَّةٍ جَمَعُوا العُلُومَ وَ هَذَّبُوا * سَنَّ الحَدِيثِ وَ مُشْكِلَ القُرْآنِ

عُلَمَاءَ إِنْ سَاءَلْتَهُم كَشَفُوا العَمَى * بِفَقَاهَةٍ وَ فَصَاحَةٍ وَ بَيَانِ

وَ إِذَا الأُمُورَ اسْتَبْهَمَتْ وَ اسْتَغْلَقَتْ * أَبْوَابُهَا وَ تَنَازَعَ الخَصْمَانِ

حَلُّوا غَوَامِضَ كُلِّ أَمْرٍ مُشْكِلٍ * بِدَلِيلِ حَقٍّ وَاضِحِ البُرْهَانِ

هَجَرُوا المَضَاجِعَ قَانِتِينَ لِرَبِّهِم * طَلَبًا لِخَيْرٍ مَعَرَّسٍ وَ مَغَانِ

وَ إِذَا دَجَا اللَّيْلَ البَهِيمَ رَأَيْتَهُمْ * مُتَبَتِّلِينَ تَبَتُّلَ الرَّهْبَانِ

فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ أَكْرَمِ مَنْزِلٍ * بَيْنَ الحِسَانِ الحُورِ وَ الغِلْمَانِ

تَجَرُوا بِهَا الفِرْدَوْسَ مِنْ أَرْبَاحِهِمْ * نِعْمَ التِّجَارَةُ طَاعَةُ الرَّحْمَانِ

المُتَّقِينَ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ * وَ العَارِفِينَ مَكَايِدَ الشَّيْطَانِ

وَ تَرَى جَبَابِرَةَ المُلُوكِ لَدَيْهِمُ * خُضَعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَذْقَانِ

لاَ يَسْتَطِيعُونَ الكَلاَمَ مَهَابَةً * إِلاَّ إِشَارَةَ أَعْيُنٍ وَ بَنَانِ

خَافُوا الإِلَهَ فَخَافَهُم كُلَّ الوَرَى * حَتَّى ضِرَاءُ الأُسْدِ فِي الغِيلاَنِ

تُنْسِيكَ هَيْبَتُهُمْ شَمَاخَةَ كُلِّ ذِي * مُلْكٍ وَ هَيْبَةَ كُلِّ ذِي سُلْطَانِ

أَحْلَامُهُمْ تَزِنُ الجِبَالَ وَ فَضْلُهُمْ * كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانِ

كَانَتْ تُعَدُّ القَيْرَوَانُ بِهِمْ إِذَا * عُدَّ المَنَابِرُ زَهْرَةَ البُلْدَانِ

وَ زَهَتْ عَلَى مِصْرَ وَ حُقَّ لَهَا كَمَا * تَزْهُو بِهِمْ وَ غَدَتْ عَلَى بُغْدَانِ

حَسُنَتْ فَلَمَّا أَنْ تَكَامَلَ حُسْنُهَا * وَ سَمَا إِلَيْهَا كُلُّ طَرْفٍ رَانِ

وَ تَجَمَّعَتْ فِيهَا الفَضَائِلُ كُلُّهَا * وَ غَدَتْ مَحَلَّ الأَمْنِ وَ الإِيمَانِ

نَظَرَتْ لَهَا الأَيَّامُ نَظْرَةَ كَاشِحٍ * تَرْنُو بِنَظْرَةِ كَاشِحٍ مِعْيَانِ

حَتَّى إِذَا الأَقْدَارُ حَمَّ وُقُوعُهَا * وَ دَنَا القَضَاءُ لِمُدَّةٍ وَ أَوَانِ

أَهْدَتْ لَهَا فِتَنًا كَلَيْلٍ مُظْلِمٍ * وَ أَرَادَهَا كَالنَّاطِحِ العِيدَانِ

بِمَصَائِبٍ مِنْ فَادِحٍ وَ أَشَائِبٍ * مِمَّنْ تَجَمَّعَ مِنْ بَنِي دَهْمَانِ

فَتَكُوا بِأُمَّةِ أَحْمَدٍ أَتْرَاهُمُ * أَمِنُوا عِقَابَ اللهِ فِي رَمَضَانِ

نَقَضُوا العُهُودَ المُبْرَمَاتِ وَ أَخْفَرُوا * ذِمَمَ الإِلَهِ وَ لَمْ يَفُوا بِضَمَانِ

فَاسْتَحْسَنُوا غَدْرَ الجِوَارِ وَ آثَرُوا * سَبْيَ الحَرِيمِ وَ كَشْفَةَ النِّسْوَانِ

سَامُوهُمُ سُوءَ العَذَابِ وَ أَظْهَرُوا * مُتَعَسِّفِينَ كَوَامِنَ الأَضْغَانِ

وَ المُسْلِمُونَ مُقَسَّمُونَ تَنَالُهُمْ * أَيْدِي العُصَاةِ بِذِلَّةٍ وَ هَوَانِ

مَا بَيْنَ مُضْطَرٍّ وَ بَيْنَ مُعَذَّبٍ * وَ مُقَتَّلٍ ظُلْمًا وَ آخَرَ عَانِ

يَسْتَصْرِخُونَ فَلَا يُغَاثُ صَرِيخُهُمْ * حَتَّى إِذَا سَئِمُوا مِنَ الإِرْنَانِ

بَادُوا نُفُوسَهُمُ فَلَمَّا أَنْفَذُوا * مَا جَمَّعُوا مِنْ صَامِتٍ وَ صِوَانِ

وَ اسْتَخْلَصُوا مِنْ جَوْهَرٍ وَ مَلَابِسٍ * وَ طَرَائِفٍ وَ ذَخَائِرٍ وَ أَوَانِ

خَرَجُوا حُفَاةً عَائِدِينَ بِرَبِّهِمْ * مِنْ خَوْفِهِمْ وَ مَصَائِبِ الْأَلْوَانِ

هَرَبُوا بِكُلِّ وَلِيدَةٍ وَ فَطِيمَةٍ * وَ بِكُلِّ أَرْمَلَةٍ وَ كُلِّ حَصَانِ

وَ بِكُلِّ بِكْرٍ كَالْمَهَاةِ عَزِيزَةٍ * تَسْبِي الْعُقُولَ بِطَرْفِهَا الْفَتَّانِ

خَوْدٍ مُبَتَّلَةِ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا * قَمَرٌ يَلُوحُ عَلَى قَضِيبِ الْبَانِ

وَ الْمَسْجِدَ الْمَعْمُورَ جَامِعَ عُقْبَةٍ * خَرِبُ الْمَعَاطِنِ مُظْلِمُ الْأَرْكَانِ

قَفْرٌ فَمَا تَغْشَاهُ بَعْدُ جَمَاعَةٌ * لِصَلَاةِ خَمْسٍ لَا وَلَا لِآذَانِ

بَيْتٌ بِوَحْيِ اللهِ كَانَ بِنَاؤُهُ * نِعْمَ الْبِنَا وَ الْمُبْتَنَى وَ اللَّانِي

أَعْظِمْ بِتِلْكَ مُصِيبَةً مَا تَنْجَلِي * حَسَرَاتُهَا أَوْ يَنْقَضِي الْمَلَوَانِ

لَوْ أَنَّ ثَهْلَانًا أُصِيبَ بِعُشْرِهَا * لَتَدَكْدَكَتْ مِنْهَا ذُرَا ثَهْلَانِ

حَزِنَتْ لَهَا كُوَرُ الْعِرَاقِ بِأَسْرِهَا * وَ قُرَى الشَّامِ وَ مِصْرُ وَ الْخُرَسَانِ

وَ تَزَعْزَعَتْ لِمُصَابِهَا وَ تَنَكَّدَتْ * أَسَفًا بِلَادُ الْهِنْدِ وَ السِّنْدَانِ

وَ عَفَا مِنَ الْأَقْطَارِ بَعْدَ خِلَائِهَا * مَا بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إِلَى حُلْوَانِ

...

"ديوان الحسن بن رشيق": م س، ص 204.

أبو الفضل النحوي: (433 هـ - 513 هـ)

هو يوسف أبو الفضل بن النحوي، يوسف بن محمّد بن يوسف أبو الفضل التّوزري الأصل، من قلعة بني حمّاد، عرف بابن النحوي ناظم المنفرجة، فقيه مالكي يميل إلى النظر والاجتهاد؛ ولد بتلمسان و أصله من توزر بالجمهوريّة التونسيّة، سكن سجلماسة وتوفي بقلعة بني حمّاد بالمغرب الأوسط (الجزائر).

و هو من العلماء العاملين و على سنن الصّالحين، له اعتقاد تامّ بإحياء الغزالي، ويذكر أنّ أبا الفضل ما دعا قطّ إلاّ استجيب. أمّا علمه فأخذه عن الفقيه أبي زكرياء يحي بن علَي الشّقراطسي و غيره، إلى جانب الفقه كان أديبا بارعا، يجيد نظم الشّعر في مختلف فنونه. تميّز بتنقّلاته، زائرا الحجاز و مصر و غيرها من البلدان؛ فقد استفاد و أفاد.

أمّا دفنه فكان خارج قلعة بني حمّاد بجانبها الغربي، قرب باب الجنان، حيث يوجد مسجد قرية صغيرة لا تزال موجودة، سمّيت باسم أبي الفضل. و لم تذكر له مؤلّفات غير قصيدته المنفرجة التي ذاع صيته بها.

ترجم له في كتب لا بأس بها منها:

- " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان": ابن مريم الشريف، ص 299.
- "تعريف الخلف برجال السلف" : أبو القاسم محمد الحفناوي، ص 227.
- " كتاب الوفيات" : ابن قنفذ القسطنطيني، ص 268.

نصّ قصيدة المنفرجة :

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنفَرِجِـــي * قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالبَلَـــجِ

وَ ظَلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُـــــرُجُ * حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السَّـــرَجِ

وَ سَحَابُ الخَيْرِ لَهَا مَطَـــرٌ * فَإِذَا جَاءَ الإِبَّان تَـــجِ

وَ فَوَائِدُ مَوْلَانَا جُمَـــلٌ * لِسُرُوحِ الأَنفُسِ وَ المُهَجِ

وَ لَهَا أَرَجٌ مُحَيِّ أَبَـــدًا * فَاقْصِدْ مُحَيَّـا ذَاكَ الأَرَجِ

فَلَرُبَّمَا فَاضَ المُحَيَّـــا * بِبُحُورِ المَوْجِ مِنَ اللُّجَـــجِ

وَ الخَلْقُ جَمِيعًا فِي يَـــدِهِ * فَذَوُو سِعَةٍ وَ ذَوُو حَـــرَجِ

وَ نُزُولُهُمُ وَ طُلُوعُهُـــمَ * فَإِلَى دَرَكٍ وَ إِلَـــى دَرَجِ

وَ مَعَايِشُهُمْ وَ عَوَاقِبُهُـــمْ * لَيْسَتْ فِي المَشْيِ عَلَى عِوَجِ

حِكَمٌ نُسِجَتْ بِيَدٍ حَكَمَتْ * ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالمُنْتَسَـــجِ

فَإِذَا اقْتَصَدَتْ ثُمَّ انْعَرَجَتْ * فَبِمُقْتَصِدٍ وَ بِمُنْعَـــرِجِ

شَهِدَتْ لِعَجَائِبِهَا حُجَـــجٌ * قَامَتْ بِالأَمْرِ عَلَى الحُجَجِ

وَ رِضَى بِقَضَاءِ اللهِ حِجًا * فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ فَعَـــجِ

وَ إِذَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هُدًى * فَاعْجِلْ لِخَزَائِنِهَا وَلَـــجِ

وَ إِذَا حَاوَلْتَ نِهَايَتَهَـــا * فَاحْذَرْ إِذْ ذَاكَ مِنَ العَرَجِ

لِتَكُونَ مِنَ السَّبَّـــاقِ إِذَا * مَا جِئْتَ إِلَى تِلْكَ الفُرَجِ

فَهُنَاكَ العَيْشُ وَ بُهْجَتُـــهُ * فَلِمُبْتَهِجٍ وَ لِمُنْتَهِـــجِ

فَهِجِ الأَعْمَالَ إِذَا رَكَـــدَت * فَإِذَا مَا هِجْتَ إِذَا نَهَـجِ

وَ مَعَاصِي اللهِ سَمَاحَتُهَـــا * تَزْدَانُ لِذِي الخُلُقِ السَّمِجِ

وَ لِطَاعَتِهِ وَ صَبَاحَتُهَـــا * أَنْوَارُ صَبَاحٍ مُتَبَلِّـــجِ

مَنْ يَخْطُبْ حُورَ الخُلْدِ بِهَـــا * يَظْفَرْ بِالحُورِ و بِالغُنْـــجِ

فَكُنِ المَرْضِيَّ لَهَا يَتَقَـــى * تَرْضَاهُ غَدًا وَ تَكُونَ نَجِ

وَاتْلُ القُرْآنَ بِقَلْـــبٍ ذِي * حُرَقٍ وَ بِصَوْتٍ فِيهِ شَجِ

وَ صَلَاةَ اللَّيْلِ مَسَافَتُهَـــا * فَاذْهَبْ فِيهَا بِالفَهْـمِ وَجِ

وَ تَأَمَّلْهَا وَ مَعَانِيهَـــا * تَأْتِ الفِرْدَوْسَ وَ تَنْفَـرِجِ

وَ اشْرَبْ تَسْنِيمَ مُفَجَّرَهَـــا * لَا مُمْتَزَجًا وَ بِمُمْتَـــزِجِ

مَدِحَ العَقْلَ الآتِيهِ هُـــدًى * وَ هَوَى مُتَوَلٍّ عَنْهُ مُـــزِجِ

وَ كِتَابَ اللهِ رِيَاضَتُـــهُ * لِعُقُولِ الخَلْقِ بِمُنْـــدَرِجِ

وَ خِيَارَ الخَلْقِ هُدَاتُهُـــمَ * وَ سِوَاهُم مِنْ هَمَجِ الهَمَجِ

فَإِذَا كُنْتَ المِقْدَامَ فَـــلَا * تَجْزَعْ فِي الحَرْبِ مِنَ الرَّهَجِ

وَ إِذَا أَبْصَرْتَ مَنَارَ هُـــدًى * فَاظْهَرْ فَرْدًا فَوْقَ الثَّبَـجِ

وَ إِذَا اشْتَاقَتْ نَفْسٌ وَجَدَت * أَلَمًا بِالشَّوْقِ المُعْتَلِـــجِ

وَ ثَنَايَا الحَسْنَا ضَاحِكَـــةٌ * وَ تَمَامُ الضَّحِكِ عَلَى الفَلَجِ

وَعِيَابُ الأَسْرَارِ اجْتَمَعَـــت * بِأَمَانَتِهَا تَحْتَ الشَّـــرَجِ

وَ الرِّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِـــهِ * وَ الخُرْقُ يَصِيرُ إِلَى الهَرَجِ

صَلواتَ اللهِ عَلَى المَهْدِي * الهَادِي النّاس إِلَى النَّهجِ

وَ أَبِي بَكْرٍ فِي سِيَرتِـــهِ * وَ لِسَانُ مَقَالَتِهِ اللّهَـــجِ

وَ أَبِي حَفْصٍ وَ كَرَامَتِـــهِ * فِي قِصَّةِ سَارِيَةَ الخَلَـــجِ

وَ أَبِي عَمْرٍ ذِي النّورَيْنِ الـ * مُسْتَحْيِي المُسْتَحْيَا البَهِجِ

وَ أَبِيّ حُسْنٍ فِي العِلْـــمِ إِذَا * وَافَى بِسَحَائِبِهِ الخَلَـــجِ.

"الأدب في عصر دولة بني حمّاد": م س ،ص 287.

رسالة: " المعزّ لدين الله الفاطمي" إلى عبده الأستاذ "جوذر" عامله على المهديّة، لمّا توفي والده "المنصور بالله" سنة 341 هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله ربّ العالمين على ما أبلى و أولى حمدا كثيرا، سلّمك الله يا جوذر. و قد تعلم اتّصالك بنا و تمسّكك بولايتنا، و محلّك في صدورنا، و تقرّبك عندنا، من ذلك ما يكفي ويغني عن الإطالة و التّعداد، و ما أظنّه يخفى على الموسوسين و القردة المخرسين، فضلا عن ذوي الولاية و الطّاعة، فكيف بمن اجتمعت له الولاية مع القديم و الجديد، من جميع الأئمّة المهديّين الفاضلين، صلوات الله عليهم أجمعين، في الأوّلين و الآخرين. و إنّ الله، و له الحقّ، خلق الخلق لإظهار جوده و فضله ، و رزقهم، بمنّه و إحسانه، و قهرهم بالموت ليعلم المخلوقين أنّه جلّ جلاله، هو المتفرّد بالبقاء و الوحدانيّة، فلم يبق في هذه الدّنيا الخسيسة الدّنيئة بنيّ مرسل، و لا ملك مقرّب، و لا إمام فاضل، و لا خسيس أذلّ، إلّا صاروا إلى الحكم العدل، فتعالى الله ذو الجلال و الإكرام. ومن كانت حاله عندنا كحالك، وجب أن نشركه في سرورنا و حزننا، و في جميع ما تصرّفت به أحوالنا، و كان من قضاء الله السّابق، و أمره النّافذ، أن أجرى على مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين من حكمه و قضائه ما أجراه على آبائه المهديين و جدّه محمّد خاتم النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين، فامتحنني بفقده، وأوحدني من بعده، في الدّيار الموحشة، و القصور الخالية، و البلد المشاقق، بين كلّ عدوّ و فاسق، قد اجتمعوا من أقطار الأرض من شرق و غرب و برّ و بحر ، فألفا فيهم الفريد

الغريب الوحيد المتوكّل على ذي القوّة المجيد، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، و لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ما أعظم محنتي، و أشدّ بليّتي، و أكبر رزيتي، فعلى الله أتوكّل، و إليه أفوّض.

و عليك فيما قبلك بالاحتراز ما أمكنك، و الضّبط ما استطعت، و منع هؤلاء القردة من الوصول إلينا، و الخروج من أبواب بيوتهم، فضلا عمّا سوى ذلك و الكتمان ثمّ الكتمان على الأهل و الخاصّ و العامّ، وإن اتّصل بهم شيء من ذلك فكذّبه ما استطعت، و خوّفهم ما قدرت، و لا تحمّل نفسك من الهمّ و الغمّ مالا تحمله، واعلم أنّه لو كان ذلك نافعا لتقدّمتك أنا فيه و الخلق أجمعين، و اصطلحت نفسي من قبل هذا اليوم، ولكن لا رادّ لأمر الله، و لا دافع لقضائه، و لا متوفّى دون أجله؛ فيقول الله عزّ و جلّ: " فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لاَ يَسْتَقْدِمُونَ. "[1]

فواغوثاه بالله من شدّة فجيعتنا، و واغوثاه من عظيم مصيبتنا، عجّل الله لنا الاجتماع معه، والحشر في زمرته، و الورود معه على حوض جدّه، فيا سرورا اتّصل بالمهدي بالله القائم بأمر الله، و بآياته البررة من كريم هذه الجوهرة، ويا عظيم داهية ولد فاطمة بعده. استغفر الله لنفسي من الزّلل، و أتوكّل عليه في التّوفيق للعمل بما يرضيه و يزلف لديه. و السّلام عليك، وصلّى الله على محمّد خاتم النبيّين، و على الإمام المنصور صفوة الوصيّين، و الحمد لله ربّ العالمين."

"عيون الأخبار و فنون الآثار": م س، ص 347.

[1] – الآية 32 من سورة الأعراف : قال تعالى:" وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لاَ يَسْتَقْدِمُونَ."

توقيع: "المعزّ لدين الله" إلى القاضي "النعمان بن محمّد". فوقّع له بخطّه في ظهر رسالة النّعمان، و هذا نصّه:

" يا نعمان، و الله لولا معرفتي بك، لنسبتك عند وقوفي على رقعتك هذه إلى الجهل؛ إذا كنت قد علمت ما مرّ على مواليك من أذى من نصب لهم و عاداهم، ورد أمر الله عزّ و جلّ وكذّب رسوله فيهم، من المحن العظيمة، لكنّ أنفسنا قد تمرّنت على حمل المكروه، و ظهورنا قد قويت على النّهوض بأثقاله، و أنت بحمد الله فلم ينلك ما يدخل عليك منه نقص في دينك، و لا ذلّ في دنياك، و قد ضقت من هذا الذي وصفته و بلغ منك. أفما علمت أنّك الجاني على نفسك ما منه ضجرت، إذ تبيّن لك مخالفة السفّل الرّعاع لأولياء الله و رفضهم لأحكام الله، و نصبهم و طعنهم على اتّباع الحقّ و أهله، و أردت أن لا يكون منهم ما قد كان إليك، فكنت تدعنا و تتبعهم فتتعافى ممّا بلينا و بلي أتباعنا منهم، و إذا كنت تبعتنا على بصيرة و معرفة، فاصبر على ما لابدّ منه، فقد قال مولاك عليّ صلوات الله عليه [كذا]: رضى الناس غاية لا تدرك. و حسبك عملك بطاعة الله و عملهم بمعاصيه، و أنت أعلم بنفسك منهم بك، فإن كان بينك و بين الله شيء تخافه، فمنه الحذر، و إن لم يكن فهذا لك زيادة في الأجر.

و لقد كان الواجب عليك أن تسأل الله الزّيادة لك من هذا الحسد، فإنّك لا تزداد بقربنا رفعة إلاّ زدت من كثرة الحاسد، و كيد الكائد، فإن كنت تسأل الله رفع ذلك عنك في حين ضيّق صدرك، فاستقل الآن فقد كان بعض الحكماء إذا دعى الله لنفسه، قال: ربّ

اجعلني محسودا و لا تجعلني مرحوما [كذا]. ثق بالله ربّك و بنا فوالله لا تنالك مع الثّقة بالله و عزّ الدّولة مكروه تحذره في دين و لا دنيا، هذه الألسنة الحداد هي متاجر النّساء و السفّل الأوغاد تذهب بالإعراض عنها، و تزول بالإطراح لها، و تزيد و تعظّم ما علم السفّل نفاقها، فلا تصغ إلى سماعها، و لا تلقي بالا بها، فوالله ما سبيلهم عندي إلاّ كسبيلهم كانت عند المنصور بالله صلوات الله عليه [كذا]، فلقد سمعته يقول و يؤكّد ذلك، و يحلف عليه، و ذكر كلاما و لاّهم الله ما تولّوه، و جزاهم بما اعتقدوا، و مع هذا فللملك سياسة يساس بها ، و لنا حدود لن نتعدّاها، و الله يظهر أمره على رغم الرّاغمين، و لو كره المشركون، و الله يوتي فضله من يشاء، و الله سميع عليم."

" عيون الأخبار . . . " م س ، ص 334 .

خطبة: ألقاها "المنصور بالله" يوم عيد الفطر، صلّى صلاة العيد، و قام خطيبا:

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله الذي أحسن إلينا في قضائه، و أضفى علينا بالجزيل من عطائه، أحمده حمد من شكر حسناه، و أثر في الأمور كلّها رضاه، و أستعينه استعانة من لا يرجو غيره، و لا يثق بسواه، و لا يتوكّل إلاّ عليه في أولاه و أخراه، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، اصطفاه لوحيه، و اختاره لتبليغ رسالته، فابتعثه داعيا إلى الحقّ، و شاهدا على الخلق، فبلّغ رسالة ربّه، و نصح لعباده، و جاهد في سبيله، صلّى الله عليه، نبيّا مصطفى، و رسولا مرتضى وعلى آله سلامه و رحمته و بركاته.

عباد الله: إنّ يومكم هذا يوم عيد شرّفه الله، و عظّمه، وفضّله، وكرّمه، و ختم به شهر رمضان، و افتتح به حجّ بيته الحرام، فأخلصوا فيه نيّاتكم، و ارفعوا إلى الله توفية طلباتكم، و استغفروا الله لسيّئاتكم، فإنّه يقول جلّ ثناؤه، و تقدّست أسماؤه: "..اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا"[1]. اتّقوا الله عباد الله، فبتقواه أنجح الطّالبون، و فاز الفائزون، وهي وصيّة الله عزّ وجلّ في الأوّلين و الآخرين، و تمسّكوا بطاعته، و حافظوا على ما استحفظكم الله تبارك وتعالى من دينه، و كتابه، و استرعاكم من حقوقه، وحدوده، فلمثل ما رغبكم الله فيه جزيل ثوابه، و كريم مآبه، و خوفكم من عقابه، و أليم عذابه، فليعمل العاملون، ألهمنا الله و إيّاكم رشدنا، و عزم لنا و لكم على تقواه، و اتّباع هداه، و بلوغ رضاه."

---

[1] – الآية 10 من سورة نوح.

و جلس عليه السّلام [كذا] جلسة خفيفة، ثم قام، وقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله منبع النعماء، و كابت الأعداء، و مستحق الشكر و الثناء، و صلى الله أفضل صلواته على أفضل أنبيائه، محمد خاتم النبيين، و سيد المرسلين،و على آله الطيبين الطاهرين، اللهم صلي على محمد، و على آل محمد، و ارحم محمدا و آل محمد، و بارك على محمد وعلى آل محمد، كأفضل صلواتك و بركاتك، و رحمتك على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد؛ اللهم صلي على شمس الهدى الذي بضيائه أشرق الإسلام، و انجاب الظلام، وعز الدين، وتمت النعمة على المؤمنين، عبد الله أبي محمد الإمام أمير المؤمنين المهدي بالله ابن المهديين، الكريم ابن الأكرمين صلى الله و ملائكته عليه، و أكرم الله مثواه لديه، في المقام الكريم، و النعيم المقيم، اللهم و صلي على ولي ولي [كذا] الأمر، و وارث المجد و الفخر، الذي أعظمت عليه منتك، و أسبغت عليه نعمتك، و ألبسته حلل الكرامة، و توجته تاج البهاء و الخلافة، و جمعت له خلافة الأنبياء و المرسلين، و إرث آبائه الأئمة المستخلفين، الهداة المهديين، الأوصياء المنتجين، محمد الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، اللهم عرفه في ما وليته، و استرعيته، و استحفظته عليه أتمنته، أفضل ما عرفت أحدا قبله، من خلفائك الأئمة الطاهرين الراشدين، آبائه المهديين، و من النصر و الإعزاز، و التأييد و الإظهار.

و أوقع بأعدائه شرقا و غربا، و برّا و بحرا، أشدّ ما أوقعت و أحللت بأحد من أعدائك، من السّطوات، و النّقمات، و القوارع، و المبيدات، و المثلات المخزيات، و دمّرهم تدميرا، وأصلهم سعيرا .

اللهمّ انصر به الدّين و أيده بالظّهور و التّمكين، و العلوّ، و القهر و النّصر، و الظّفر، واجعل كلمته العليا، و يدهه الطّولى، و جنده الغالبين، و حزبه المنصورين، و افتح له فتحا مبينا تعزيه للدّين، و تشفي به صدور المؤمنين، إله الخلق ربّ العالمين، إنّك سميع الدعاء، فقال: لمّا تشاء لا تخلف الميعاد . "

مناظرة: بين "ابن الحدّاد" و "أبي العبّاس"-أخو أبي عبد الله الشيعي-كان المجلس الأوّل:

قال أبو عثمان سعيد بن محمّد، أتاني رسوله يعني أبا العبّاس، فدخلت عليه في قصر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، و حوله وجوه أصحابه، و معي موسى القطّان، فسلّمت وجلست، وقد كان أتاه قبل ذلك جميع أهل بلدنا، أعني من أهل العلم بغير إرسال، فقلت له: قد كان من كان قبلك في هذا القصر، و قد علم الله و علم من حضر من أصحابنا أنّي لم أكن بجيّاء للملوك، و لا آتى أحدا منهم بغير رسول، فتكلّم ثمّ قال لي: من أين، قلت بالقياس، قال: قلته بكتاب الله، قال: و أين هو في كتاب الله، قلت: قال الله :" يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُم مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلِ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ."[1] فالصّيد منصوص، و الذي أمرنا أن نمثّله بالمنصوص ليس بمنصوص، فعلمنا بذلك، إن من دين الله تمثيل ما لم ينصّ بما نصّ.

ثمّ قال أبو عثمان: و من ذوا عدل و أومأ إلى أنّهم قوم دون قوم، فقلت: هم الّذين قال الله فيهم، في المراجعة من الطّلاق و أشهدوا ذوى عدل منكم * قال أبو عثمان، و أجابه موسى القطّان من فورى بحديث عليّ في الخمر، إذ قال في السّكران: إذا سكر هذى و إذا هذى افترى، وجب عليه ضرب ثمانين، أدنى أن يضرب ثمانين، فقال له: ألم يقل النبيّ صلّى الله عليه و سلّم، عليّ أفضلكم، قال أبو عثمان: فقلت لموسى و هو إلى جنبي، و في الحديث و معاذ أعلمكم بالحلال و الحرام و عمر أفواكم في دين الله، فكلّمه بذلك، فغضب، وقال: يكون أفواهم في دين الله من فرّ بالرّاية يوم خيبر، فقال له موسى: ما سمعنا

[1] - الآية 97 من سورة المائدة.

61- " محاضرات في الشعر المغربي القديم": عبد العزيز نبوي.

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1983م.

62- " المدائح النبوية في الأدب العربي": زكي مبارك.

منشورات المكتبة العربية، بيروت، (د،ط)، (د،ت).

63- " مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم": العربي دحو.

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1988م.

64- " المعجب في تلخيص أخبار المغرب": عبد الواحد المراكشي، تقديم: أحمد بدر.

منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د،ط)، 1978م.

65- " معجم الأدباء: المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب": لياقوت الحموي الرومي

ص: د.س مرجليوت. المطبعة الهندية، مصر، ط2،1923 م، ج1

66- " معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر": عادل نويهض.

مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت، ط3، 1403هـ/1983م.

67- " معجم الأنساب و الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي": المستشر زامباور، تح:

مجموعة من الأساتذة. دار الرائد العربي، بيروت، (د،ط)، 1400هـ/1980م.

68- " معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع": ابن عبد العزيز البكري الأندلسي،

تح: مصطفى السقا. مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط1،1368هـ/1949م.

69- " المغربالعربي": محمود شيت خطاب.

دار الفكر، ليبيا، ط2 ، 1393هـ/1973م، ج1

70- " المغرب العربي تاريخه و ثقافته": رابح بونوار.

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1968م.

71- " المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق": للإدريسي، تح: محمد حاج صادق.

دار النشر، الجزائر، (د،ط)، 1983م

72- " المقتبس من أنباء أهل الأندلس": ابن حيان القرطبي، تح: محمود علي المكي.

دار الكتاب العربي، بيروت، (د،ط)، 1393هـ / 1973 م

73- " المقدمة": عبد الرحمن بن خلدون

دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ط) ، 1408 هـ/ 1988م

74- " المنفرجة": لأبي الفضل يوسف بن النحوي، شرح: أبي الحسن علي البويصري،

تح: أحمد بن محمد أبو رزاق. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د،ط)، 1984م

75- " المؤنس في أخبار إفريقية و تونس": أبو عبد الله محمد القيرواني، تح: محمد شمام.

المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387هـ

76- " النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟": لعبد المالك مرتاض

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1983.

77- " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب": أحمد بن محمد المقري التلمساني

تح: إحسان عباس. دار مصادر، بيروت، (د،ط)، 1388 هـ/1968م، مج2،3،4

78- " نقائض ابن المعتز و تميم بن المعز": أحمد سيد محمد.

دار البعث، الجزائر، ط2، 1400 هـ/1980م

79- " النقد الأدبي في المغرب العربي":عبده عبد العزيز قلقيلة

مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة، ط1، 1973م

80- " النقد" شوقي ضيف

دار المعارف، مصر، ط3، 1974م.

81- " ابن هانئ المغربي الأندلسي": شاعر الدولة الفاطمية: محمد اليعلاوي (320 هـ - 913 م/ 362 هـ- 973م) . دار المغرب الإسلامي، بيروت، (د،ط)، 1405 هـ/ 1985م

82- "كتاب الوفيات": ابن قنفد القسنطيني، تح: عادل نويهض

منشورات للكتب، بيروت، ط1، 1971 م

83- " وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان": ابن خلكان، تح: إحسان عباس

دار صار، بيروت، (د،ط)، 1969 م، مج 1 و 2.

المجلات:

84- " مجلة الحضارة الإسلامية": الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الإسلامي، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلاميّة، وهران، العدد1، 1414هـ- 1993م.

52- " طبقات علماء إفريقية": أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم.

دار الكتاب، بيروت، (د،ط) ، (د،ت)

53- " العقد الفريد": ابن عبد ربه الأندلسي، ش: أحمد أمين، أحمد الزين و إبراهيم الأبياري. دار الكتب العربي، بيروت، (د،ط)، 1402 هـ/1986م، ج1

54- " العمدة في محاسن الشعر و آدابه": أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد قرقزان. دار المعرفة، بيروت، ط1 ، 1408هـ/1988 م، ج1 و ج2.

55- " عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار": عماد الدين القرشي. تح:مصطفى غالب. دار الأندلس، بيروت، (د،ط) 1975 م، السبع الخامس

56- " فوات الوفيات و الذيل عليها": محمد بن شاكر الكتبي، ت: إحسان عباس.

دار الثقافة، بيروت ، (د،ط)، 1973م ، مج1.

57- " في التاريخ العباسي و الفاطمي": أحمد مختار العبادي.

دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1971م.

58- " في تاريخ المغرب و الأندلس": أحمد مختار العبادي.

دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، 1978م.

59- " الكامل في التاريخ":لابن الأثير.

دار صار، بيروت، (د،ط)، 1399 هـ/1979 م، مج8.

60- "كتب و شخصيات": أبو العيد دودو.

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1970م

44- " ديوان ابن هانئ الأندلسي": كرم البستاني.

دار بيروت للطباعة، بيروت ، (د،ط)، 1400هـ / 1980م.

45- " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة": أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح: إحسان عباس.

الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، (د،ط)، 1395هـ/ 1975 م، 1981 م، مج1،ق1

46- " رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة": أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي.

مطبعة السعادة، محافظة مصر، (د،ط)، 1344هـ،ج1 و ج2.

47- " زهر الآداب و ثمر الألباب": لأبي إسحاق بن علي الحصري، تح: علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب، القاهرة، ط1، 1372 هـ/1953 م، ج1 و ج2

48- " سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب": لأبي الفوز محمد أمين البغدادي، الشهير بالسويد. المكتبة العلمية، بغداد، (د،ط) ، (د،ت)

49- " السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي": مرمول محمد الصالح. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1983م

50- " سير الأئمة و أخبارهم": المعروف بتاريخ أبي زكرياء: لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر. تح: إسماعيل العربي. دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1402 هـ/1982م

51- " صبح الأعشى في كتابة الإنشا": للقلقشندي، تعليق: عبد القادر زكّار.

منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د،ط)، 1981م، السفر الأول.

بهذا * قال أبو عثمان: فقلت: قال الله إلاّ متحرّفا لقتال أو متحيّزا إلى فئة، فعمر ممّن تحرّف لقتال أو تحيّز إلى فئة، فقال: و أيّ فئة أكثر من النبيّ، وقد كان حاضرا و لم يتحيّز إليه، فقلت: جاء عنه صلى الله عليه وسلّم: إنّه قال: عمر فئة، فمن تحيّز إلى عمر، فقد تحيّز إلى فئة، فسكت فحرّكه بعض أصحابه، و قال: ألا تسمع ما يقول هذا الشّيخ، فقال: صدق أو نحو هذا من القول، سمعتها أنا منه و من كان يليه.*

قال أبو عثمان: ثمّ عطف فقال: أنتم تبغضون عليّا يا أهل المدينة، قال أبو عثمان: على مبغض عليّ لعنة الله و الملائكة و النّاس أجمعين. و كيف أبغض عليّا و قد سمعت سحنون بن سعيد، و هو إمام أهل المدينة بالمغرب، يقول: عليّ بن طالب إمامي في ديني، أهتدى بهديه، و استنّ بسنّته، رحمة الله عليه؛ فقال لي: بلى صلوات الله عليه، قال: فرفعت صوتي و قلت: إنّ الصّلاة في كلام العرب الدّعاء، وقلت قال الأعشى:

تَقول بنتي وَ قَد قرّبت مرتَحـــــلا * يَا رَبّ جَنِّب أَبي الأَوصَاب وَ الوَجَعَا

عَلَيك مثل الذِي صلّيت فاغتَمِضِي * نَوما فَإِنّ لجنب المَرء مُضطَجعـــــا .

فقال أبو عثمان: ثمّ قلت نعم، فصلّى الله على عليّ بن أبي طالب و الحسن و الحسين، و أهل طاعة الله أجمعين من أهل السموات و الأرضين*. قال أبو عثمان: ثمّ قال لي،أليس عليّ مولاك يقول: النبيّ اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، قال: قلت هو مولاي بالمعنى الذي أنا به مولاه. و لا ولاية لا، و لا عتاقة، لأنّ المولى في كلام العرب متصرّف يكون المولى، و يكون ابن العمّ، و يكون المعتق، و يكون المنعم عليه، ثمّ قلت: قال الله حكاية عن زكرياء، و إنّي خفت الموالي من ورائي يريد العصبة، و قال ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا،

و إن الكافرين لا مولى لهم يريد أن الله ولي المؤمنين، وإن الكافرين لا ولي لهم، وقال في المؤمنين: بعضهم أولياء بعض، فعلي مولى المؤمنين، لأنه وليهم، و هم مواليه بأنهم أولياؤه، فعلي مولاي بالمعنى الذي أنا به مولاه.

قال أبو عثمان: ثم قال لي بالحديث الآخر، أنت مني بمنزلة هارون من موسى، قال: قلت هارون كان حجة في حياة موسى، و علي لم يكن حجة في زمان محمد صلى الله عليه وسلم، و لم يكن بأخيه و إنما كان له وزيرا، و المؤمنين وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم*

قال: ثم قال لي، ليس علي بأفضلهم، قال: فقلت له الحق متفق عليه، غير مختلف فيه، قال لي: نعم، قال: فقلت له قد ملكت مدائن كثيرة قبل مدينتنا هذه، و هي أعظم مدينة، و استفاض الخبر عنك أنك لم تكره أحدا خالفك في مذهبك على الدخول فيه، فاسلك بنا مسلك غيرنا، قال: فألح عليه بعض أصحابه في قصدنا، فقال بقول كما قال: سعيت و إن كانت طائفة منهم آمنوا بالذي أرسلت به، و طائفة لم يومنوا، فاصبروا حتى يحكم الله بيننا، و هو خير الحاكمين، ثم خرجنا.

قائمة المصادر والمراجع

1- " الإحاطة في أخبار غرناطة": لسان الدّين بن الخطيب، تح: محمد عبد الله عنان.
مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1394 هـ/1974 م، مج2

2- "أخبار ملوك بني عبيد و سيرتهم": لأبي عبد الله محمد الصنهاجي، تح: جلول أحمد بدوي. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1984م.

3- " اختيار من كتاب: الممتع في علم الشعر و عمله": لعبد الكريم النهشلي القيرواني، تح: منجي الكعبي. الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، (د،ط)، 1398 هـ/1978م.

4- "الأدب في عصر دولة بني حماد": أحمد بن محمد أبو رزاق.
الشركة الوطنية، الجزائر، (د،ط)، 1979م.

5- " أدب المغرب العربي قديما": عمر بن قينة
ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1994 م.

6- " الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم الأديب":محمد النيفر.
المطبعة التونسية، تونس،ط1 ، 1351 هـ، ج1

7- " الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين": خير الدين الزركلي دار النشر، بيروت، ط3، 1389 هـ/1969م ،ج1 ،ج2 .

8- " أنموذج الزمان في شعراء القيروان": الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد العروسي المطوي، و بشير بكوش. الدار التونسية للنشر، تونس، (د،ط)، 1406 هـ/1986م.

26- " جمهرة أشعار العرب": ابن أبي الخطاب القرشي.

دار بيروت للطباعة، لبنان، (د،ط)، 1400هـ/1980م

27- " الحركة النقدية على أيام رشيق المسيلي": بشير خلدون

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1981م

28- " ابن حمديس الصقلي": علي مصطفى المصراتي.

دار مكتبة الفكر، طرابلس (ليبيا)، (د،ط)، 1972م

29- " خريدة القصر و جريدة العصر": للعماد الأصفهاني، تح: عمر الدسوقي و علي عبد العظيم. دار النهضة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ق4، ج1 و ج2.

30- " خصائص الأدب العربي": أنور الجندي.

دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د،ط)، (د،ت)

31- " الخطابة و إعداد الخطيب": عبد الجليل عبده شلبي.

دار الشروق، بيروت، ط1، 1401 هـ/1981م

32- " دائرة معارف القرن العشرين": محمد فريد وجدي.

دار المعرفة، بيروت، ط3، 1971 م ، مج1.

33- " الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي": (296 هـ-184هـ / 909 م - 800 م): محمد الطالبي، ترجمة: المنجي الصيادي. دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985 م

34- " دولة بني حماد": عبد الحميد عويس.

دار الشروق، بيروت ، ط1، 1400هـ/1980م

35- " دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية": إسماعيل العربي.

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1980م

36- " الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها": رشيد بورويبة.

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1397هـ/1977م.

37- " دولة بني زيري ملوك غرناطة": إسماعيل العربي.

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1982م.

38- " دراسات في الأدب المغربي القديم": عبد الله حمادي.

دار البعث، قسنطينة، ط1، 1406هـ/1986م.

39- " دراسات و صور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي": محمد طه الحاجري.

دار النهضة العربية، بيروت، ط1 ، 1403 هـ/1983م.

40- " الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية": أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، تح: رابح بونار. الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط) ، (د،ت)

41- " دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي": محمد بن عميرة.

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1984 م.

42- " ديوان ابن رشيق القيرواني": ج: عبد الرحمن ياغي.

دار الثقافة، بيروت، (د،ط)، (د،ت) .

43- " دوركتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)": موسى لقبال. الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، (د،ط)، 1979م.

9- " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان": ابن مريم الشريف.

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ط)، 1986م.

10- " البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب" : لابن عذاري المراكشي. تح ج س كولان و إ. ليفي بروفسال. دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ج1

11- " تاريخ آداب اللغة العربية": جرجي زيدان، ت: إبراهيم صحراوي.

المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، (د،ط)، 1993 م، ج1

12- " تاريخ الأدب الجزائري": محمد الطمّار.

الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،ط1، 1981م

13- " تاريخ الأدب العربي": أحمد حسن الزيات.

دار النهضة، مصر، ط25، (د،ت)

14- " تاريخ الأدب العربي":د. ر بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني.

دار الفكر، دمشق، ط2، 1404هـ/1984م

15- " تاريخ الأدب العربي": عمر فروخ.

دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1978م، ج1 و ج2.

16- " تاريخ إفريقية الشمالية": شارل أندري جوليان، تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة. الدار التونسية للنشر، تونس، (د،ط)، 1398 هـ/1978م.

17- " تاريخ الجزائر العام": عبد الرحمن بن محمد الجيلالي.

دار الثقافة، الجزائر، (د،ط)، 1402 هـ/1982 م، ج2.

18- " تاريخ الجزائر في القديم و الحديث": محمد الميلي.

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د،ط)، 1989م ، ج2

19- " تاريخ الشعر العربي": محمد عبد العزيز الكفراوي.

دار النهضة، مصر، (د،ط)، (د،ت)، ج1 .

20- " تاريخ صقلية الإسلامية": عزيز أحمد، ترجمة: أمين توفيق الطيبي.

الدار العربية للكتاب، تونس، (د،ط)، 1980م ، 1399 هـ/1979م

21- " تاريخ العلامة ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر": عبد الرحمن بن خلدون.

دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د،ط)، 1981م، مج 6 و 7، ج11و13

22- " تعريف الخلف برجال السلف" : أبو القاسم محمد الحفناوي، تقديم: محمد رؤوف القاسي الحسني. المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، (د،ط)، 1991 م، ج1 .

23- " تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، لمدية، مليانة ": عبد الرحمن الجيلالي.

مطبعة صاري، الجزائر، ط2، 1392 هـ/1972م

24- "تاريخ المغرب و حضارته" من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر: لحسين المؤنس. العصر الحديث للنشر، بيروت، ط1،1412 هـ/1992 م، مج1،ج1

25- "كتاب الجزائر": أحمد توفيق المدني.

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م

فهرس المواد

كلمة شكر..... أ

إهداء.....

المقدمة.....

تمهيد : الحياة السياسية و أثرها على الحركة الثقافية 1

- عهد الفاطميين..... 2

- عهد الصنهاجين..... 8

* عهد بني زيري..... 8

* عهد بني حماد..... 11

الفصل الأول : النثر الفني على عهد الفاطميين و الصنهاجيين..... 16

- الرسائل..... 18

- الخطب..... 29

- المناظرات..... 36

- النقد..... 40

الفصل الثاني : الشعر و موضوعاته في هذين العهدين..... 56

- الوصف. 57

- المدح..... 77

- الفخر..... 91

- الغزل..... 93

- اللوعة و العتاب..... 100

- الهجاء..... 102

- الرثاء 106

- المديح النبوي (التصوف و الزهد)..... 113
- موضوعات أخرى. 117

الفصل الثالث: المقومات الفنية لأدب هذه الفترة..... 123

أ- اللغة 123

ب- الإيقاع..... 129

ج- الصورة الشعرية 131

د- المعجم الشعري 147

* المعجم الديني..... 147

* المعجم التاريخي..... 148

* المعجم الاجتماعي..... 149

*المعجم الطبيعي..... 150

- الخاتمة 157

- الملحق (بأهم أدباء هذه الفترة و بنصوص من إنتاجاتهم)..... 162

- قائمة المصادر و المراجع..... 186

- فهرس المواد..... 196